



ويلي كولينز

# الفندق المسكون

مكتبة 1239

ترجمة

سارة شيان

Novel  
رواية



إهداء لـ..  
من تسكنه غريزة الحق  
ويكشف الجاني سريعا سريعا  
ثم ينطلق إلى الـ عملاء .. نحو العدالة

# الفندق المسكون

مكتبة | 1239

# مكتبة

t.me/soramnqraa

٢٠٢٣ ٩ ٤

الكتاب: الفندق المسكون

الكاتب: ويلكي كولينز

المترجم: سارة شيبان

الطبعة الأولى  
**2021**

تصميم الغلاف: يونس زيدان

التقيق اللغوي: ريهام الغنام

الإخراج الفني: القسم الفني في دار الحلاج

© جميع الحقوق محفوظة



دار الحلاج للطباعة والنشر والتوزيع  
DAR AL HALLAJ PUBLISHING AND DISTRIBUTION

محلة حسن باشا - شارع المتنبي

بغداد - العراق

**009647801991695 - 009647718539445**

Email: daralhallaaj@yahoo.com

**ISBN 978-9922-9305-5-3**

# الفندق المسكون

مكتبة | 1239

رواية

ويلقي كولينز



## ويلكي كولينز

بقلم: علي الياسين

عرف العالم الغربي الروايات البوليسية وأدب الفانتازيا عمومًا وبما يتضمن من مذاهب أدبية متنوعة كالرعب والخيال العلمي والبوليسي منذ زمن بعيد، وفترة طويلة قبل عالمنا العربي، الذي كان يعيش في فترة ظلامية أدبية، وبينما كان المؤسسون الأوائل لمذاهب الأدب الروائي والقصصي، يضعون أعمالهم الأدبية بين أيدي القراء - سواء عبر الصحف أو الكتب المطبوعة - بمشقة كبيرة، كالأخوان (برونتي) و(تشارلز ديكنز) في بريطانيا، و(فيكتور هوغو) و(غوستاف فلوبر) في فرنسا، و(إدغار الان بو) و(مارك توين) في الولايات المتحدة؛ كان البعض الآخر يقتفي أثرهم ويضع كلماته على الورق لتبقى باسقة عبر الأجيال.

ولد (ويلكي كولينز) في 8 يناير من العام 1824م في لندن، وعاش هناك حتى العام 1836م، حينها انتقل إلى إيطاليا، وعاش فيها ثلاث سنوات برفقة عائلته ثم عاد إلى لندن وعمل بالتجارة، وبعد مدة انصرف إلى العمل بالمحاماة، ويبدو أن عمله في المحاماة أتاح له فرصة التعرف على (تشارلز ديكنز) الذي كان يعمل لدى

أحد المحامين الإنجليز في لندن، بدأ (كولينز) مسيرته الكتابية بعد وفاة والده في العام 1847م، حيث صدر كتابه الأول والذي سرد من خلاله سيرة والده في العام 1848م، لكنه انتظر بعد ذلك مرور عقد من الزمن لتحقيق رواياته نجاحًا كبيرًا، كرواية (ذات الرداء الأبيض) 1860، ورواية (دون اسم) 1862، و(ممنوع المرور) 1867 بالاشتراك مع تشارلز ديكنز، و(حجر القمر) 1868، والواقع أن هذا العمل ليس الوحيد الصادر بالاشتراك مع ديكنز، فهناك العديد من الأعمال المشتركة التي أشرك (ديكنز) فيها بعض الأدباء الذين لم يلاقوا نجاحًا كبيرًا مثله، إلا أنه أثرى بأقلامهم مجلته الشهرية التي كانت تصدر تحت اسم (على مدار العالم) ومنهم ويلكي كولينز، وأبرزها (المساكين السبعة المسافرون) و(نزل الشجرة المقدسة) و(حطام سفينة غولدن ماري) و(منزل يُترك) و(البيت المسكون) و(رسالة من البحر) والعديد من الأعمال الأخرى.

في العام 1870م، توفي الأديب (تشارلز ديكنز) فحزن عليه (كولينز) حزنًا شديدًا، وكان يقول حين يسأله الآخرون: "كنت أراه كل يوم، ويحترم أحدنا الآخر كما يفعل الرجال."

لم يعرف بدقة حتى الآن كيف توطدت العلاقة بين (ويلكي كولينز) الكاتب الشاب، و(تشارلز ديكنز) الأديب الإنجليزي المعروف، فديكنز قد وصلت شهرته أقصى بقاع الأرض من خلال جرأته في الكتابة وانتقاده للنظام الاجتماعي والقضائي والسياسي في بريطانيا، وانتقاده لوضع السجون والمؤسسات الاجتماعية الأخرى، وكان يكتب باسمه البارز بعيدًا عن المؤلفين الآخرين الذين غالبًا ما

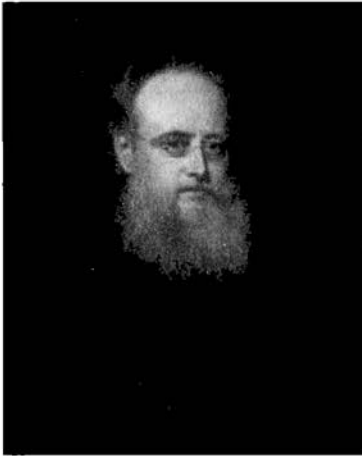
كانوا ينشرون كتاباتهم بأسماء وهمية ليضعوا مسافة آمنة بينهم وبين مشاكل ذلك العصر، إلا أن تلك الصداقة ربما جلبت ل (كولينز) قدر البقاء خلف (ديكنز) من ناحية الشهرة والانتشار، فديكنز يكبر كولينز باثني عشر عامًا، ويفوقه خبرة أيضًا، أي عندما نشر (كولينز) روايته الأولى (أنطونينا) في العام 1850م، كان قد مضى على نشر رواية (ديكنز) الأولى أحد عشر عامًا، نشر خلالها ثلاثة عشر عملاً روائيًا، بضمنها مذكرات بيكويك، وأوليفر تويست، وترنيمه أعياد الميلاد، ودايفيد كورفيلد.

يعتقد الباحثون في الأدب الإنجليزي أن (كولينز) اقتفى أثر صاحبه (ديكنز) وظل يسير خلفه بالرغم من موهبته الإبداعية في الكتابة، إلا أن الرجل لم يستطع الخروج من عباءته حتى وفاة الاثنين، وهذا ما أثر عليه حتى وقتنا الحاضر، ويكفي أن نبين أن من بين الأعمال العديدة لكولينز، لم يتم ترجمة سوى ثلاث أو أربع روايات، وغالبًا ما تكون ترجمات مختصرة وغير رصينة.

في العام 1884م، وصل (كولينز) إلى قمة نضجه الأدبي، وتم انتخابه كنائب لرئيس جمعية الكتاب الإنجليزي، والتي أسسها زميله الكاتب الإنجليزي (والتر بيسانت) وخلال السنوات الخمسة اللاحقة، تمكن المرض والشيخوخة منه، فكان نادرًا ما يغادر المنزل، وانغمس في الكتابة والاستفادة من مهارته القانونية في مساعدة الكتاب الشباب في توجيههم وحماية حقوقهم الفكرية أثناء التعاقد مع الناشرين في بريطانيا، وفي العام 1889م، توفي (ويلكي كولينز) عن

عمر 65 عامًا بسبب السكتة الدماغية، ودفن في لندن تاركًا خلفه إرثًا ثقافيًا كبيرًا.

وإيمانًا منا بأهمية هذا الكاتب العظيم؛ وجدنا أنفسنا مرغمين دون منية أو رياء على ترجمة أعماله، وخصوصًا تلك الروايات التي لم تُترجم من قبل للغة العربية، وكانت هذه الرواية (الفندق المسكون).. هي باكورة الأعمال المترجمة لهذا الكاتب عن دار الحلاج.



الاسم: ويليام ويلكي كولينز.

الولادة: 8-1-1824، لندن

المهنة: كاتب وروائي وقاص بريطاني.

الزوجة: لم يكن يؤمن بنظام الزواج.

عاشر امرأتين (كارولين غريفز)

و(مارثا رود) أنجب من الأخيرة

ثلاثة أبناء.

الوفاة: 23-9-1889 لندن.



# القسم الأول



# الفصل الأول

وصلت شهرة الدكتور (ويبرو) كطبيبٍ في لندن إلى ذروتها في عام 1860، وقد أُعلن من مصدرٍ موثوقٍ؛ أنه كان يتلقى أحد أكبر الأجرور المتحققة من ممارسة الطب في العصر الحديث.

بعد ظهر أحد الأيام، وقرب نهاية موسم عمله في لندن، كان الطبيب قد تناول للتو غداءه بعد صباحٍ عملٍ شاقٍ للغاية في غرفة المعاينة الخاصة به، وكان لديه قائمةٌ هائلةٌ من مواعيد الزيارات للمرضى في منازلهم ليملاً بها بقية يومه، عندما أعلن الخادم أن سيدةً ترغب في التحدث إليه.

سأل الطبيب قائلاً:

- من هي؟ هل هي غريبة؟
- نعم يا سيدي.
- لا أرى غرباء خارج ساعات المعاينة، أعلمها بالمواعيد، وأخبرها أن تغادر الآن.
- لقد أخبرتها يا سيدي.
- حقاً؟

• لن تذهب.

• لن تذهب!؟

ابتسم الطبيب بينما يكرر الكلمات، وكان في أسلوبه شيء من الفكاهة، بالأحرى، كان هناك جانبٌ غريبٌ في الأمر يسليه.. سأل قائلاً:

• هل أعطتك هذه السيدة العنيدة.. اسمها؟

• لا يا سيدي، لقد رفضت إعطائي أي اسم، وأخبرتني أنها ستأخذ من وقتك خمس دقائق فقط، وأن الأمر مهمٌ جدًّا، ولا يحتمل الانتظار حتى الغد، إنها في غرفة المعاينة الآن؛ ولست أدري كيف سأخرجها من هناك مرةً أخرى!

فكّر الطبيب (ويبرو) بالأمر للحظة، لقد استندت معرفته بالنساء (من الناحية المهنية) إلى خبرته الواسعة لأكثر من ثلاثين عامًا؛ لقد التقى بمختلف أنواعهن، وخصوصًا هذا النوع الذي لا يعرف شيئًا عن قيمة الوقت؛ ولا يتردد أبدًا في حماية نفسه تحت امتيازات جنسه، أخبرته نظرةٌ سريعةٌ على ساعته؛ أن عليه بدء جولاته بين المرضى الذين كانوا ينتظرونه في منازلهم قريبًا، فقرر على الفور اتخاذ المسار الحكيم الوحيد الذي كان متاحًا تحت هذه الظروف، وبعبارةٍ أخرى، قرر الهروب.

سأل قائلاً:

• هل العربة عند الباب؟

• نعم يا سيدي.

• ممتاز، افتح باب المنزل لي دون إحداث أي ضجيج، واترك السيدة تسيطر على غرفة المعاينة دون أن يزعجها أحد، وعندما تتعب من الانتظار، تعرف ماذا ستقول لها، إذا سألت عن موعد عودتي، أخبرهم أنني أتناول العشاء في النادي الخاص بي، وأقضي المساء في المسرح، إذا الآن، تحرك بهدوء.. (توماس)!

مشى نحو القاعة، وتبعه الخادم على رؤوس أصابعه،

هل انتبهت السيدة في غرفة المعاينة له أم أحدث حذاء (توماس) صوتاً، وصادف أن حاسة السمع لديها قوية بشكلٍ غير اعتيادي؟!!

مهما كان التفسير، فإن الذي حدث بالفعل كان أبعد من كل التوقعات، فتماماً عندما مرّ الطبيب (ويبرو) من غرفة المعاينة الخاصة به، فُتح الباب، وظهرت السيدة على العتبة، ووضعت يدها على ذراعه قائلة:

• أرجوك يا سيدي، ألا تذهب دون السماح لي بالتحدث إليك أولاً.

كانت لهجتها أجنبية، ونبرتها منخفضة وثابتة، شدت بأصابعها برفقٍ وعزم، على ذراع الطبيب.

لم تكن لغتها أو تصرفها ما حثه على قبول طلبها، بل كان التأثير الصامت لوجهها، هو الذي أوقفه على الفور بينما كان في طريقه إلى عربته، التناقض المذهل بين شحوب بشرتها الذي يشبه شحوب الجثة، والحياة الصارخة والضوء في عينيها السوداوين الكبيرتين اللتين تتلألآن ككرتين معدنيتين، هذا التناقض، استحوذ

عليه حرفياً، ترتدي ألواناً داكنة ذات ذوقٍ رائع؛ متوسطة الطول، وعلى ما يبدو في منتصف العمر، لنقل سنة أو سنتين فوق الثلاثين، تتميز ملامحها السفلية (الأنف، والفم، والذقن) بنعومةٍ ودقةٍ في الشكل غالباً ما تُرى بين النساء من الأعراق الأجنبية أكثر من النساء اللواتي ولدن في إنجلترا، كانت سيدةً جميلةً بلا شك، مع عيبٍ خطيرٍ وحيدٍ؛ هو بشرتها المروعة، ومع عيبٍ آخر أقل وضوحاً، يتمثل في انعدام الرقة بعينيها، وبغض النظر عن شعوره الأول بالدهشة، يمكن وصف الشعور الذي أحدثته في الطبيب بأنه شعورٌ طاغٍ للفضول المهني، فقد تكون القضية شيئاً جديداً تماماً في خبرته المهنية..

"يبدو أنها كذلك، وهو أمرٌ يستحق الانتظار."

قال محدثاً نفسه.

أدركت أنها تركت انطباعاً قوياً من نوعٍ ما عليه، وأسقطت قبضتها عن ذراعه.

قالت:

• لقد أرحت الكثير من النساء البائسات في وقتك اليوم، أرح واحدةً أخرى.

دون انتظار الرد، عادت أدراجها إلى الغرفة.

تبعها الطبيب، أغلق الباب، ووضعها على كرسي المريض المقابل للنوافذ، حتى في لندن، كانت الشمس في عصر ذلك اليوم الصيفي مشرقةً بشكلٍ مذهل، فتدفق الضوء المشع عليها، وقابلته عيناها بلا تردد، مع الثبات الفولاذي لعيني النس، بدت بشرتها الملساء بيضاء

وشاحبة بشكلٍ مخيفٍ أكثر مما سبق، ولأول مرة، على مدى سنواتٍ طويلة، شعر الطبيب بنبضه يتسارع في حضور مريض.. بعد أن استحوذت على انتباهه، بدا وبشكلٍ غريبٍ للغاية أنها ليس لديها ما تقوله، لامبالاة غريبة قد استحوذت على هذه المرأة العنيدة، مما أجبر الطبيب على التحدث أولاً، وسألها في العبارة التقليدية، عما يمكن أن يفعله لها.. بدا أن صوته أيقظها، قالت فجأةً بينما تنظر مباشرةً إلى الضوء:

• لدي سؤال مؤلم، يجب أن أسأله.

• ما هو؟

تحركت عيناها ببطءٍ من النافذة إلى وجه الطبيب، وبدون أدنى انفعال، طرحت "السؤال المؤلم" بهذه الكلمات غير العادية:

• هل سأعرض لخطر الإصابة بالجنون؟

قد يكون بعض الرجال مستمتعين، وربما يكون البعض قد انزعج، لم يكن الطبيب (ويبرو) يدرك سوى الشعور بخيبة الأمل؛ هل كانت هذه هي الحالة النادرة التي توقعها بحكمه المتسرع على المظاهر؟ هل كانت المريضة الجديدة مجرد امرأة تعاني من فقر الدم، ذات مرضٍ في المعدة وكان سوء حظها ضعف الدماغ؟

سأل بجدّة قائلاً:

• لماذا أتيت إلي؟ لماذا لا تستشيرني طبيباً متخصصاً في علاج

المجانين؟!

كانت إجابتها جاهزةً في الحال..

• أنا لا أذهب إلى طبيبٍ من هذا النوع، لكونه متخصصًا؛ هؤلاء لديهم عادة قاتلة في الحكم على الجميع من خلال سطورهم وقواعدهم الخاصة، لقد جئت إليك لأن حالي خارج كل الحدود والقواعد، ولأنك مشهورٌ في مهنتك باكتشافك الألغاز في الأمراض، هل أنت راضٍ؟

لقد كان أكثر من راضٍ، فبعد كل شيء، كانت فكرته الأولى هي الفكرة الصحيحة، إلى جانب ذلك، تم إخبارها عن منصبه المهني بشكلٍ صحيح، كانت القدرة التي رفعته إلى الشهرة والثروة هي قدرته (منقطعة النظر بين أقرانه) على اكتشاف المرض قبل حدوثه. أجاب قائلاً:

• أنا تحت تصرفك، دعيني أحاول معرفة المشكلة.

طرح أسئلته الطبية، وأجابت بسرعة وبشكلٍ واضح؛ ولم يتوصلا إلى استنتاجٍ آخر سوى أن السيدة الغريبة كانت - عقليًا وجسديًا - في صحةٍ ممتازة، غير راضٍ عن الأسئلة فقط، قام بفحص أعضاء الحياة العظيمة بعناية، ولم تستطع يده أو سماعة الطبيب، اكتشاف أي شيءٍ خطأ، بصره المحبب والتفاني في فنه اللذين ميزاه منذ أن كان طالبًا، ظل يخضعها لاختبارٍ تلو الآخر، وكانت النتيجة نفسها دائمًا، لم يكن هناك ميلٌ للإصابة بأمراض الدماغ كما لم يكن هناك حتى اختلال محسوس في الجهاز العصبي، فقال:

• لا أستطيع أن أجد أي شيءٍ غير عادي، لا يمكنني حتى حساب الشحوب غير العادي لبشرتك، أنت تحيريني تمامًا! أجابت بنفاد صبر:



• شحوب بشرتي ليس بالأمر المهم الآن، فقد نجوت بأعجوبة من الموت بالتسمم عندما كنت صغيرة، فقدت لون بشرتي منذ ذلك الحين، كما أنها أصبحت حساسةً للغاية، لا يمكنني التزين دون الحصول على طفحٍ جلديٍّ بشع، لكن هذا ليس له أهمية، كنت أرغب في أن تعطي رأيك بشكلٍ ثابت، لقد آمنت بك، وخيبت أمني.

سقط رأسها على صدرها، وقالت محدثة نفسها بمرارة:

• وهكذا ينتهي الأمر!

تأثرت مشاعر الطبيب، وربما يكون من الأصح القول بأن الأمر ألم كبرياءه المهني بعض الشيء، فقال:

• قد نتوصل لنتيجةٍ بالطريقة الصحيحة، إذا اخترت مساعدتي.

نظرت مرةً أخرى بعينين وامضتين، وقالت:

• تحدث بوضوح، كيف يمكنني مساعدتك؟

• بوضوح يا سيدي، ستأتين إليَّ على شكل لغز، وتتركيني لأقوم بالتخمين الصحيح من خلال مهاراتي المجردة، ستقوم مهارتي بالكثير، لكن لن تنجز كل شيء، على سبيل المثال، لا بد أن شيئًا ما قد حدث، غير مرتبطٍ تمامًا بحالة صحتك الجسدية، ليقلقك على نفسك، وإلا لما أتيتِ إلى هنا لاستشارتي، هل هذا صحيح؟!

شبكت يديها في حجرها، وقالت بلهفة:

• هذا صحيح! بدأت أومن بك مرةً أخرى.

• ممتاز، لا يمكنك أن تتوقعي مني معرفة السبب النفسي الذي أزعجك، أستطيع أن أكتشف بشكلٍ قاطع أنه لا يوجد أي سببٍ جسديٍّ للقلق؛ وإن لم تعطني ثقتك الكاملة، لا يمكنني فعل المزيد.

نهضت وأخذت جولةً في الغرفة ثم قالت:

• سأخبرك، ولكن انتبه! لن أذكر أي أسماء!

• ليست هناك حاجةٌ لذكر الأسماء، الحقائق هي كل ما أريد.

• الحقائق لا شيء، ليس لدي سوى انطباعاتي الخاصة

لأعترف بها، ومن المحتمل جدًّا؛ أن تعتقد أنني حمقاء خيالية عندما

تعرف ما هم عليه، لا يعني.. سأبذل قصارى جهدي لإرضائك،

سأبدأ بالحقائق التي تريدها، لكن خذ كلامي على محمل الجد، فهي

لن تساعدك كثيرًا.

جلست مرةً أخرى، وبأبسط كلماتٍ ممكنة، بدأت تروي أغرب

وأعنف اعترافٍ وصل إلى أذني الطبيب.

## الفصل الثاني

قالت:

- إنها حقيقةٌ واحدةٌ يا سيدي، أنني أرملة، وإنها حقيقةٌ أخرى، أنني سأتزوج مرة ثانية.

هنا توقفت وابتسمت لبعض الأفكار التي جالت في خاطرها، لم تؤثر ابتسامتها بالطبيب (ويبرو) بشكلٍ إيجابي، فقد كان يتخللها شيءٌ حزينٌ وقاسٍ في آنٍ واحد، جاءت ببطءٍ وتلاشت فجأة، بدأ يشك فيما إذا كان حكيماً في التصرف بناءً على انطباعه الأول، عاد تفكيره إلى المرضى العاديين والأمراض القابلة للاكتشاف التي كانت تنتظره، بشيءٍ من الندم الشديد، تابعت السيدة..

- يوجد ظرفٍ محرجٍ مرتبط بزواجي الذي اقترب موعده، فالرجل الذي سأكون زوجته، قد تمت خطبته لسيدةٍ أخرى عندما التقى بي، خارج البلاد؛ تلك السيدة تكون من عائلته، ابنة عمه، لقد سلبتها ببراءة عشيقها، ودمرت آمالها في الحياة.. أقول ببراءة لأنه لم يخبرني بأي شيءٍ عن خطبته إلا بعد أن قبلت به، أخبرني الحقيقة عندما التقينا في المرة التالية بإنجلترا، وعندما أصبح هناك خطر بلا

شك، في أن أعلم بهذه العلاقة، غضبت بشكلٍ طبيعي، وكان عذره جاهزًا، أراني رسالة من السيدة نفسها، تفسخ بها الخطبة، رسالة أكثر نبلًا وإشراقًا، مما قرأته في حياتي كلها، بكيت فوقها، أنا التي لا تذرف الدموع على أحزانها الخاصة! لو أن الرسالة قد تركت أي أمل في أن يغفر له، لرفضت الزواج به بلا أي جدل، لكن الرسالة كانت حازمة، خالية من الغضب، لم أجد بها كلمة عتابٍ واحدة، كما تنتهي بالتمنيات الصادقة في سعادته، حتى أن حزمها، كما أقول، لم يترك له أي أمل، ناشد رأفتي، ناشد حبه لي، وأنت تعرف كيف هم النساء! أنا أيضًا كنت رقيقة القلب، فقلت: حسنًا نعم! وفي غضون أسبوع (أرتجف كلما أفكر في الأمر) سنتزوج.

لقد ارتجفت حقًا، واضطرت إلى التوقف وجمع شتات نفسها قبل أن تتمكن من المتابعة؛ أما الطبيب، الذي كان في انتظار المزيد من الحقائق، فبدأ خوفه بعد أن بات مجبرًا على سماع قصةٍ طويلة.

• سأليني لتذكيرك أنني بانتظار أشخاص يعانون، كلما أسرع في الوصول إلى النقطة المهمة، كان ذلك أفضل لمرضي ولي.

ظهرت الابتسامة الغريبة الحزينة والقاسية في آنٍ واحد على شفتي السيدة مجددًا، وأجابت:

• كل كلمة قلتها هي جوهر الموضوع، ستري ذلك بنفسك بعد قليل.

ثم استأنفت قصتها..

• أمس، لا داعي للخوف، القصة ليست طويلة يا سيدي؛ أمس فقط، كنت من بين الحاضرين في أحد احتفالات الغداء

الإنجليزية، فجاءت سيدة متأخرة، كانت غريبة تمامًا عني، وهذا بعد أن كنا قد غادرنا الطاولة، وانتقلنا إلى قاعة الاستقبال، صادف أن أخذت كرسيًا بالقرب مني؛ وتم تقديمنا لبعضنا البعض، عرفتها بالاسم كما عرفتني، كانت المرأة التي سلبتها حبيبها، المرأة التي كتبت الرسالة النبيلة، استمع الآن! لقد نفذ صبرك معي، وذلك لعدم اهتمامك بما قلته للتو، قلت ذلك لأرضي تفكيرك بأنه ليس لدي أي عداً تجاه السيدة، من جانبي، لقد أعجبت بها، كما شعرت بها أيضًا.. لذا ليس لدي سبب لأعاتب نفسي، هذا أمر مهم جدًا، كما سترى الآن، من جانبها هي، لدي سبب لأؤكد أنه قد تم شرح الظروف لها حقًا، وأنها فهمت أنني لست في موضع لوم بأي حال، الآن، بعد معرفتك كل هذه الأشياء الضرورية، اشرح لي، إذا كنت تستطيع، لماذا عندما قمت وقابلت عيني تلك المرأة التي نظرت إلي، شعرت بالبرد من رأسي وحتى أسفل قدمي، ارتجفت وارتعدت، وعرفت معنى الذعر المميت، لأول مرة بحياتي.

أخيرًا بدأ الطبيب يشعر بالاهتمام..

سأل قائلاً:

- هل كان هناك أي شيء مميز في مظهر السيدة!؟
- لا شيء على الإطلاق! كان الرد قويًا، هذا هو الوصف الحقيقي لها؛ السيدة الإنجليزية العادية؛ العينان الزرقاوان الباردتان الصافيتان، والبشرة الوردية الرقيقة، والأسلوب المهذب بشكل غير طبيعي، والفم الكبير المرح، والذقن الممتلئة للغاية، هذه ولا شيء أكثر من ذلك!

• هل كان هناك أي شيء في تعبيرها قد فاجأك، عندما نظرت إليها لأول مرة؟

• كان هناك فضول طبيعي لرؤية المرأة التي فضلت عليها؛ وربما بعض الدهشة أيضًا، إن لم تر شخصًا أكثر جاذبيةً أو جمالاً؛ كلا الشعورين مقيدتين في حدود التربية الصالحة، وكلاهما لم يدم لأكثر من بضع لحظات، إلى هذا الحد استطعت أن أرى.. أقول "إلى هذا الحد" لأن الشعور المهتاج الرهيب الذي نقلته إلي أربك حكومي، لو كان بإمكانني الوصول إلى الباب، لخرجت من الغرفة، لقد أخافتني للغاية! لم أتمكن حتى من الوقوف، لقد غرقت في مقعدي؛ حدقت بالعينين الزرقاوين الهادئتين اللتين تنظران إلي بتعبير الدهشة اللطيفة، لو قلت بأن تأثيرها كان كتأثير عيني الثعبان، لن أكون مبالغة، شعرت أن روحها تكمن فيهما، تحديق بروحي، تحديق كما لو كان الأمر بلا وعيٍ ممكنًا لنفسها الفانية، أخبرك انطباعي بكل فظاعته وحماقته! تلك المرأة مقدره - دون أن تدري بذلك - أن تكون الشيطانة في حياتي، رأت عيناها البريقتان القدرات الخفية للشر الكامن في داخلي التي لم أدركها، حتى شعرت بها تتقلب تحت نظرتها، إذا ارتكبت أخطاء في حياتي القادمة - إذا أذنبت بارتكاب جرائم - فستعاقبني هي، دون - كما أعتقد اعتقادًا راسخًا - أي تصرفٍ واعٍ ينبع من إرادتها، شعرت بكل هذا في لحظة لا توصف، وأعتقد أن وجهي أظهره، استلهم المخلوق الجيد الساذج نوعًا من الإنذار اللطيف بأن خطبًا ما قد حل بي.. "أخشى أن تكون حرارة الغرفة مرتفعة أكثر من اللازم بالنسبة لك؛ هل تجربين زجاجة العطر

الخاصة بي؟" سمعتها تقول هذه الكلمات الرقيقة، ولا أتذكر أي شيء آخر، فلقد سقطت مغشياً عليّ، عندما استعدت حواسي، اختفت الصحبة بالكامل؛ كانت معي سيدة المنزل فقط، في ذلك الوقت لم أستطع أن أقول شيئاً؛ الانطباع المروع الذي حاولت أن أصفه لك، عاد إلي مع عودة وعيي، بمجرد أن استطعت الكلام، ناشدتها أن تخبرني بالحقيقة الكاملة عن المرأة التي حللت محلها، انظر، كان لدي أملٌ ضعيف في أن شخصيتها الجيدة هذه قد لا تكون فاضلة حقاً، وأن رسالتها النبيلة كانت مخطوطة بنفاقٍ متقن، باختصار، أنها كرهتني سرّاً، وكانت ماهرة بما يكفي لإخفاء ذلك، لكن لا! كانت السيدة صديقتها منذ الطفولة، وتعرفها كما لو كانتا أختين، تعرفها بشكلٍ قاطع بأنها بالطيبة والبراءة، اللذين يجعلانها غير قادرة على كره أي شخص، مثلها مثل أعظم قديس قد وجد على الإطلاق، كان أملي الأخير، بأن أشعر بإنذارٍ طبيعي بالخطر في وجود عدوٍ عادي، إنه أمل قد تدمر إلى الأبد، كان هناك شيءٌ آخر يمكنني القيام به، ولقد قمت به بالفعل، ذهبت إلى الرجل الذي يجب علي الزواج به، ناشدته أن يحررني من وعدي، رفض، فأعلنت أنني سأفسخ خطبتي، أراني رسائل من أخواته، وإخوته، وأصدقائه الأعداء، كلهم يحثونه على التفكير مرة أخرى قبل أن يجعلني زوجته؛ كلهم يكررون الشائعات المتداولة نفسها حولي في باريس وفيينا ولندن، وهي تشمل الكثير من الأكاذيب الحقيرة، قال: "إذا رفضت الزواج بي، فأنتِ تعترفين بأن هذه الشائعات صحيحة، وتقرين بأنك تخشين مواجهة المجتمع كزوجتي" ماذا يمكنني أن أجيب؟ لم يكن هناك مجال للتناقض معه،

لقد كان محققًا بشكلٍ واضحٍ؛ إذا أصرت على رفضي، فستكون النتيجة، التدمير التام لسمعتي، وافقت على عقد حفل الزفاف كما رتبناه وغادرت، مر الليل، وها أنا هنا، مع القناعة التامة بأن تلك المرأة البريئة ستؤثر بشكلٍ قاتلٍ على حياتي، أنا هنا مع سؤالي الوحيد الذي أطرحه على الرجل الوحيد الذي يمكنه الإجابة عليه، للمرة الأخيرة يا سيدي، ماذا أكون؟ شيطان رأى الملاك المنتقم أم مجرد امرأة مسكينة ومجنونة، يضللها وهم عقلها المشوش؟

نخض الدكتور (ويبرو) من كرسيه، مصرًّا على إنهاء المقابلة.

لقد تأثر بشدةٍ وتألَّم لما سمعه، فكلما استمع إليها لفترةٍ أطول، كان مجبرًا بشكلٍ لا يقاوم، على الاقتناع بالشر القابع في أعماقها، لقد حاول عبثًا أن يفكر فيها على أنها امرأة يُشَفِّقُ عليها، امرأة لديها خيال مَرَضِي مشبع، مدركة لقدرات الشر الكامنة فينا جميعًا، وتسعى بجديةٍ لفتح قلبها للتأثير المضاد لطبيعتها الجيدة؛ كانت تتطلب جهدًا يفوق قدراته، شعر بغريزةٍ فاسدةٍ داخله، لو تترجم لكلام ستخبره: احذر! كيف تؤمن بها؟!

قال:

• لقد أعطيتك رأيي بالفعل، كما أرى لا توجد علامة تدل على أن عقلك مشوش، أو من المحتمل أن يكون مشوشًا ويستطيع الطب اكتشافها، أما بالنسبة للانطباعات التي أوضحتها لي، فلا يسعني إلا أن أقول أن حالتك (كما أجرؤ على التفكير) هي حالة روحية، لا تحتاج نصيحة طبية، وتأكدي أن ما قلته لي في هذه الغرفة، لن يخرج منها، اعترافك محفوظ في أمانٍ معي.



سمعته باستسلامٍ معاندٍ حتى النهاية، وسألت:

• أهذا كل شيء؟

• نعم، هذا كل شيء.

وضعت رزمة ورقية صغيرة من النقود على الطاولة..

• شكرًا لك يا سيدي، هذا أجرك.

وبهذه الكلمات نهضت، نظرت عيناها السوداوان الجامحتان إلى الأعلى، تفيضان باليأس الشديد، المتمرد والرهيب في عذابه الصامت لدرجة أن الطبيب أدار رأسه، غير قادرٍ على تحمل رؤيتهما، فكرة أن يأخذ أي شيءٍ منها، ثارت داخله فجأة، ليس المال فقط، ولكن أي شيءٍ لمستَه حتى، فقال دون أن ينظر إليها أيضًا:

• لا أريد أجرًا.

لم تكثرث ولم تسمعه حتى، قالت لنفسها ببطءٍ بينما لا تزال تنظر إلى الأعلى: "دع النهاية تأتي، لقد سئمت من النضال، أنا أستسلم."

أنزلت حجابها على وجهها وانحنت للطبيب ثم غادرت الغرفة. قرع الجرس وتبعها إلى الصالة، وعندما أغلق الخادم الباب خلفها، انبثق في ذهن الطبيب اندفاع مفاجئ من الفضول، لا يليق به على الإطلاق، وفي الوقت نفسه لا يمكن مقاومته، محمّرًا من الخجل كصبيٍّ صغير، قال للخادم:

• اتبعها للمنزل، واعرف اسمها.

للحظة نظر الرجل إلى سيده، متشككًا فيما سمعته أذناه! نظر إليه الطبيب (ويبرو) في صمت، عرف الخادم المطيع ما يعنيه هذا الصمت، فأخذ قبعته وهرع إلى الشارع.

عاد الطبيب إلى غرفة المعاينة، اجتاح عقله شعور مفاجئ من الاشمئزاز؛ هل تركت المرأة عدوى "شرّ" في البيت وهل أصيب بها؟ ما الشيطان الذي تملكه ليهين نفسه أمام خادمة؟ لقد تصرف بشكل سيئ، وطلب من رجل أمين، رجل خدمه بإخلاص لسنوات، أن يتجسس! بعد أن تأثر بهذه الأفكار، ركض إلى القاعة مرة أخرى وفتح الباب، لكن الخادم قد اختفى، فات الأوان للحاق به وإعادته، لكن مهرّبًا واحدًا من ازدرائه لنفسه كان مفتوحًا أمامه الآن، وهو ملجأ العمل، ركب عربته وبدأ جولاته بين مرضاه.

إذا كان من المحتمل أن يهز الطبيب الشهير سمعته، فقد فعل هذا بعد ظهر ذلك اليوم، لم يسبق له أن استقبل بغير الترحيب على جانب السرير، لم يسبق له أبدًا أن أجّل كتابة وصفة طبية حتى الغد، أو نصيحة يجب أن تُعطى اليوم، عاد إلى المنزل في وقت مبكر، مع شعور لا يوصف من عدم الرضا عن النفس.

عاد الخادم، كان الطبيب (ويبرو) خجلًا من سؤاله، لكن الرجل أبلغ عن نتيجة مهمته دون انتظار السؤال..

• اسم السيدة هو "الكونتيسة نارونا" .. وهي تعيش في ...

دون انتظار سماع اسم المكان الذي تعيش فيه، عبّر الطبيب عن شكره للاكتشاف المهم للغاية لاسمها بإيماءة رأس صامتة، ودخل غرفة المعاينة، المال الذي رفضه عبثًا، ما زال يقبع في غلافه الأبيض

الصغير على الطاولة، ختمه في ظرف، وجهه إلى "صندوق الفقراء" في أقرب مركز شرطة؛ واستدعى الخادم وأمره أن يأخذه إلى المأمور في صباح اليوم التالي، مخلصًا لواجباته، انتظر الخادم ليسأل سؤاله المعتاد:

• هل ستتناول طعامك في المنزل اليوم يا سيدي؟

بعد لحظةٍ من التردد، قال:

• لا، سأتناول العشاء في النادي.

من أكثر الصفات الأخلاقية عرضةً للتدهور بسهولة، هي الصفة التي تدعى "الضمير" .. في حالةٍ عقليةٍ لرجلٍ ما، يكون ضميره هو أشد قاضيٍّ يمكن أن يصدر حكمًا عليه، أما في حالةٍ أخرى، يكون هو وضميره على وفاقٍ تام مع بعضهما البعض في أكثر أشكال التواطؤ ارتياحًا، عندما غادر الطبيب (ويبرو) منزله للمرة الثانية، لم يحاول حتى أن يخفي عن نفسه أن هدفه الوحيد، من تناول الطعام في الملهى، هو سماع ما قاله العالم عن (الكونتيسة نارونا).



## الفصل الثالث

هناك أوقات يبحث فيها الرجل عن ملذات القيل والقال عند مجتمع السيدات، وكان الطبيب على دراية تامة بهذا الأمر، لهذا ذهب إلى غرفة التدخين في ناديه.

أشعل الطبيب (ويبرو) سيجارًا ونظر حوله إلى إخوته المجتمعين في اجتماعٍ سري، كانت الغرفة ممتلئة، لكن تدفق الكلام لا يزال ضعيفًا، فنثر الطبيب المحفز اللازم بكل براءة، عندما سأل عما إذا كان أي شخصٍ يعرف "الكونتيسة نارونا" أجيب بصيحات دهشةٍ واستغراب، إذ أنه لم يسبق أن طُرح مثل هذا السؤال السخيف من قبل (بموافقة جميع الحاضرين)! فكل مخلوقٍ بشريٍّ، مع أدنى مكانة في المجتمع، يعرف "الكونتيسة نارونا" ويعرف أنها مغامرة ذات سمعة أوروبية سوداء اللون، كان هذا هو الوصف العام للمرأة ذات البشرة التي تشبه الموت، والعينين المتألفتين.

نزولًا للتفاصيل، ساهم كل عضو في النادي بمخزونه الصغير من الفضيحة في سيرة حياة الكونتيسة، كان من المشكوك فيه ما إذا

كانت حقاً، سيدة دلماسية<sup>(1)</sup>.. كان من المشكوك فيه أيضاً، ما إذا كانت قد تزوجت من الكونت الذي ادعت أنها أرملته، كما كان من المشكوك فيه أن يكون الرجل الذي رافقها في أسفارها (تحت اسم بارون ريفار، وبصفته شقيقها) هو شقيقها فعلاً، فقد همست الإشاعة أن البارون هو مقامرٌ على كل "طاولة" في القارة، همست أيضاً أن التي تدعى أخته قد نجت بصعوبة من التورط في قضية تسميم شهيرة في فيينا، وأنها كانت معروفة في ميلانو بكونها جاسوسة لصالح حكومة النمسا، وأنها قد تم اتهامها عند الشرطة في باريس بأن شقتها ليست أكثر من بيت قمار خاص، وأن وجودها الحالي في إنجلترا هو نتيجة طبيعية لما حدث، فقط عضو واحد من أعضاء الجمعية في غرفة التدخين، اتخذ جانب هذه المرأة التي تعرضت للإيذاء الشديد، وأعلن أنها تعرضت للهجوم الأكثر وحشية وظلماً، لكن بما أن الرجل كان محامياً، فإن تدخله قد ذهب هباءً، كان من الطبيعي أن يُعزى رأيه لروح التناقض المتأصلة في مهنته، سُئل بسخرية عن رأيه في الظروف التي حُطبت فيها الكونتيسة لتتزوج؛ وقدم جوابه المميز، أنه يعتقد أن الظروف

مقبولة للغاية لكلا الطرفين، وأنه كان يرى زوج السيدة المستقبلية رجلاً محظوظاً للغاية ويُحسد لحصوله عليها.

عند سماع ذلك، أثار الطبيب صيحةً أخرى من الدهشة بسؤاله عن اسم الرجل الذي كانت الكونتيسة على وشك الزواج به.

---

(1) دلماسية: من دولة دلماسيا، واحدة من الأربع مناطق التاريخية في كرواتيا.

أجمع أصدقاؤه في غرفة التدخين، أنه لا بد أن طبيبهم المشهور هو "ريب فان وينكل"<sup>(2)</sup> نفسه، وأنه قد استيقظ للتو من نومٍ خارق للطبيعة، دام عشرين عامًا، كان من الجيد جدًا التصريح بأنه مخلص لمهنته، وأنه ليس لديه الوقت ولا الرغبة في التقاط أجزاء الثثرة في احتفالات العشاء والأمسيات، الرجل الذي لم يكن يعرف أن "الكونتيسة نارونا" قد اقترضت أموالاً في هومبورغ من شخص ليس سوى "اللورد مونباري" ثم خدعته ليتقدم بعرض الزواج عليها، كان رجلاً ربما لم يسمع عن "اللورد مونباري" نفسه، أرسل الأعضاء الأصغر سنًا في النادي بينما كانوا يمزحون، نادلاً ليجلب قائمة بأسماء "النبلاء" وقرأوا بعض التفاصيل عن حياة النبيل المعني، بصوتٍ عالٍ من أجل الطبيب، مع فئات معلوماتٍ توضيحية، كانوا قد حرفوها بأنفسهم.

"هربرت جون ويستويك هو أول بارون مونباري، من مونباري، مقاطعة كينغز، أيرلندا.. أنشأ نظيراً للخدمات العسكرية المتميزة في الهند، ولد عام 1812، يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عامًا، ويعمل كطبيبٍ، في الوقت الحاضر، غير متزوج، سيتزوج الأسبوع المقبل - أيها الطبيب - بال مخلوق المبهج الذي تحدثنا عنه، وريثه المفترض هو شقيقه الأصغر، (ستيفن روبرت) متزوج بـ (إيلا) الابنة الصغرى للقسيس (سيلاس ماردن) رئيس جامعة رونيغيت،

(2) قصة قصيرة للمؤلف الأمريكي (واشنطن إرفينغ) 1819 تتحدث عن قرويٍ هولنديٍّ أمريكيٍّ، يلتقي بهولنديين غامضين ويشرب الخمر ثم ينام في جبال كاتسكيل ليستيقظ بعد عشرين عامًا على عالم متغير للغاية.

ولديها ثلاث بنات، الأخوان الصغيران لسيادته (فرانسيس، وهنري) غير متزوجين، أخوات سيادته هم السيدة (بارفيل) متزوجة بالسيد المحترم (ثيودور بارفيل) و(آن) أرملة المرحوم (بيتر نوربيري) من تقاطع نوربيري، ضع علاقات سيادته في الاعتبار جيداً يا دكتور، ثلاثة أشقاء (ستيفن، وفرانسيس، وهنري) وشقيقتان (الليدي بارفيل) و(السيدة نوربيري) لن يحضروا الزواج؛ بل ولن يترك أيهم حجراً دون قلب لإيقاف الأمر، إذا منحتهم الكونتيسة الفرصة فقط.

\* قصة قصيرة للمؤلف الأمريكي (واشنطن إرفينغ) 1819  
تحدث عن قروي هولندي أمريكي، يلتقي بهولنديين غامضين ويشرب الخمر ثم ينام في جبال كاتسكيل ليستيقظ بعد عشرين عاماً على عالم متغير للغاية.

أضف إلى أفراد العائلة المعادين هؤلاء قريبةً أخرى، تمت إهانتها ولم يرد ذكرها مع (النبلاء) وهي سيدة شابة.

هنا أدى اندلاع احتجاج مفاجئ في أجزاءٍ مختلفة من الغرفة إلى وقف الكشف عن المعلومة التالية، وأنقذ الطبيب من المضايقة.

"لا تذكروا اسم الفتاة المسكينة، إنه لأمر مشين للغاية أن تستهزئوا بهذا الجزء من الموضوع؛ فقد تصرفت بنزاهةٍ ونبيلٍ رغم الاستفزاز المخزي، لا يوجد سوى عذر واحد لموتباري، إما أنه مجنون أو أحمق."

وبهذه الكلمات، شرح الاحتجاج نفسه من جميع الجوانب ثم في حديثٍ سرّيٍّ مع الصديق الجالس بجواره، اكتشف الطبيب أنه



كان يعرف السيدة المشار إليها بالفعل (من خلال اعتراف الكونتيسة) فهي السيدة التي هجرها اللورد (مونتباري).. اسمها "أغنيس لوكوود".. وصفت بأنها تتفوق على الكونتيسة في جاذبية شخصيتها، وبكونها أيضاً الأصغر بين الاثنتين، مع مراعاة الحماقات التي يرتكبها الرجال كل يوم خلال علاقاتهم مع النساء، كان وهم (مونتباري) لا يزال الوهم الأكثر فظاعةً على الإطلاق، أعلن جميع الحاضرين عن موافقتهم على وجهة النظر هذه، حتى المحامي، لم يستطع أحدهم أن يستذكر الحالات التي لا حصر لها، والتي أثبت فيها أن التأثير الجنسي في أشخاص النساء لا يقاوم، دون حتى الاعتماد على الجمال، أعضاء النادي الذين كان يسهل على الكونتيسة (على الرغم من عيوبها الشخصية) إيهارهم بسهولة، إذا كانت تعتقد أن الأمر يستحق عناءها، هم أنفسهم الأعضاء الذين تعجبوا بصوتٍ عالٍ من اختيار (مونتباري) لها كزوجة.

بينما كان موضوع زواج الكونتيسة، لا يزال هو الموضوع الوحيد للمحادثة، دخل أحد أعضاء النادي غرفة التدخين وأسفر ظهوره عن صميتٍ مميتٍ على الفور، همس الصديق المجاور للطبيب:

• إنه شقيق مونتباري، هنري ويستويك!

نظر الوافد الجديد حوله ببطءٍ، مع ابتسامةٍ مريرة.

قال:

• جميعكم تتحدثون عن أخي، لا تهتموا بي، لا يمكن لأحدكم

أن يحتقره أكثر مني، تابعوا أيها السادة، تابعوا!

وأخذ أحد الحاضرين كلامه على محمل الجد، كان هذا الرجل هو المحامي الذي تولى مسبقاً مهمة الدفاع عن الكونتيسة. وابتدأ الحديث قائلاً:

• لدي رأي مختلف بخصوص هذه المسألة، ولا أخجل من تكراره على مسمع أي شخص، أعتبر (الكونتيسة نارونا) امرأة عوملت بقسوة، لماذا يجب ألا تكون زوجة (اللورد مونتباري)؟ من يستطيع الجزم بأن زواجها به بدافع المنفعة؟

استدار شقيق (مونتباري) بحدة إلى المتحدث، وأجاب:

• أنا أجزم!

ربما كان الرد قد هزَّ بعض الرجال، لكن المحامي وقف بحزم كما كان دائماً.

قال:

• أعتقد أنني على حق.

وأضاف قائلاً:

• بفرض أن دخل سيادته ليس أكثر مما يكفي لدعم مكانته في الحياة؛ كما أنه دخلٌ يتم الحصول عليه بالكامل تقريباً من ملكية الأرض في أيرلندا، ويتضمن ذلك كل فدان.

أعطى شقيق (مونتباري) إشارة، معترفاً بأنه ليس لديه أي اعتراض ليقدمه حتى الآن.

تابع المحامي قائلاً:

• إذا مات سيادته أولاً، لقد أبلغت أن الشرط الوحيد الذي يمكنه توفيره لأرملته؛ هو رسم إيجار على الممتلكات، لا يزيد عن

أربعمئة سنوياً، ومن المعروف أن معاش تقاعده ومخصصاته تموت معه، لذلك فإن أربعمئة في العام هي كل ما يمكن أن يتركه للكونتيسة، إذا تركها كأرملة.

• أربعمئة في السنة ليست كل شيء، فقد أمّن أخي على حياته بعشرة آلاف جنيه، وستبقى كلها للكونتيسة، في حالة وفاته.  
رد (هنري).

أحدث هذا الإعلان ضجةً كبيرة، نظر الرجال إلى بعضهم البعض، وكرروا الكلمات الثلاث المذهلة: "عشرة آلاف جنيه!"  
اندفع المحامي نحو الحائط، لكن بذل جهداً أخيراً للدفاع عن موقفه.

فسأل قائلاً:

- هل لي أن أسأل؛ من جعل تلك التسوية شرطاً للزواج؟  
بالتأكيد لم تكن الكونتيسة نفسها!  
أجاب (هنري وستويك):
- لقد كان شقيق الكونتيسة.
- وأضاف قائلاً:
- ما يأتي بالنتيجة نفسها.

لم يعد هناك ما يقال أكثر من ذلك، تدفق الحديث إلى مواضيع أخرى، حدث هذا على الأقل في حضور شقيق (مونتباري) وذهب الطبيب إلى المنزل.. لكن فضوله المرضي حول "الكونتيسة" لم يكن قد هدأ بعد، وجد نفسه في أوقات فراغه يتساءل عما إذا كانت عائلة "اللورد مونتباري" ستنجح في وقف الزواج في نهاية

الأمر، وأكثر من ذلك، كان على إدراك تام بالرغبة المتزايدة داخله لرؤية الرجل المتيم، كل يوم خلال الفترة الزمنية القصيرة التي سبقت الزفاف، كان يبحث في النادي، على أمل سماع بعض الأخبار، لم يحدث شيء، على حد علمهم، كان موقف "الكونتيسة" آمناً، وقرار (مونتباري) بأن يكون زوجها، لم يتزعزع، كانا كلاهما من الروم الكاثوليك، ومن المقرر أن يتزوجا في الكنيسة الصغيرة في سبانيش بليس، اكتشف الطبيب هذه المعلومات الكثيرة، لكن ليس أكثر.

في يوم الزفاف، وبعد صراعٍ خاسرٍ مع نفسه، قرر التضحية بمرضاه وجنيهاتهم، وتسلسل سراً لرؤية الزواج ثم ظل غاضباً حتى نهاية حياته من أي شخصٍ يذكره بما فعله ذلك اليوم!

كان حفل الزفاف خاصاً للغاية، رُكنت عربة بالقرب من باب الكنيسة، وتناثر عددٌ قليلٌ من الناس، معظمهم من الطبقة الدنيا، ومن النساء المسنات، حول الجزء الداخلي من المبنى، هنا وهناك تعرّف الدكتور (ويبرو) على وجوه بعض إخوانه في النادي، مدفوعين بالفضول، مثله تماماً، وقف أربعة أشخاصٍ فقط أمام المذبح، العروسان وشاهداهما، ومن بين هؤلاء امرأة مسنة، ربما كانت رفيقة الكونتيسة أو خادمتها؛ كان الآخر بلا شك شقيقها "بارون ريفار" .. ارتدى أصحاب حفل الزفاف (وهذا يتضمن العروس نفسها) زيهم الصباحي العادي، كان (اللورد مونتباري) بشكلٍ شخصيٍّ، رجلاً عسكرياً في منتصف العمر من النمط العادي؛ لا يوجد شيءٌ مميّزٌ به سواء في الوجه أو الشكل، بالعودة إلى (بارون ريفار) مجدداً، كان بشخصيته يمثل نمطاً تقليدياً آخر معروف، ترى

شاربه الناعم، عينيه الجريئتين، شعره المجمع، والغرور المختال في وجهه، متكررين مئات المرات في شوارع باريس، النقطة الوحيدة الجديرة بالملاحظة به، وكانت من النوع السليبي، هي أنه لم يكن يشبه أخته على الإطلاق، حتى الكاهن المسؤول، لم يكن سوى رجل عجوز مسالم، متواضع المظهر، قام بواجباته بخضوع، وكان واضحًا عليه الألم من المشاكل الروماتيزمية في كل مرة ينحني فيها على ركبتيه، أما الشخصية الوحيدة الملفتة للنظر، فكانت الكونتيسة نفسها، فقد رفعت حجابها في بداية الحفل فقط، ولم تُظهر في لباسها البسيط شيئًا يستحق نظرة ثانية، وإن حكمنا بالظواهر، لا يوجد زواج أقل متعة وأقل رومانسية من هذا، من وقتٍ لآخر، كان الطبيب ينظر تجاه الباب أو صالات العرض، مترقبًا بشكلٍ غامضٍ ظهور غريبٍ محتج، بحوزته سر رهيب، مكلف بمنع إتمام المراسم، لم يحدث ما قد يُدعى حادثة، لا شيء غير عادي، لا شيء مثير، أُعلن الاثنان زوجًا وزوجةً، واختفيا، تبعهما الشاهدان للتوقيع على السجلات؛ ولا يزال الطبيب (ويبرو) ينتظر، حاملاً في داخله الأمل العنيد بأن شيئًا يستحق المشاهدة، يجب أن يحدث بالتأكيد.

مرت الفترة الفاصلة، وعاد الزوجان إلى الكنيسة ثم سارا معًا عبر الساحة إلى الباب، تراجع الطبيب (ويبرو) عندما اقتربا، وما أثار ارتباكاً ودهشته أن الكونتيسة اكتشفت وجوده، سمعها تقول لزوجها:

• لحظة واحدة، لقد رأيت صديقًا.

انحنى (اللورد مونتباري) وانتظر، تقدمت إلى الطبيب وأمسكت يده ثم عصرتها بشدة، شعر بعينيها السوداءين القاتلتين، تنظران إليه من خلال حجابها..

"كما ترى، خطوةٌ أخرى في الطريق إلى النهاية!"

همست بتلك الكلمات الغريبة ثم عادت إلى زوجها، وقبل أن يتمكن الطبيب من استعادة أنفاسه واللحاق بها، صعد (اللورد والليدي مونتباري) إلى عربتهما وابتعدا.

خارج باب الكنيسة، وقف ثلاثة أو أربعة أعضاء من النادي، مثل الدكتور (ويرو).. قد شاهدوا الحفل بدافع الفضول، بالقرب منهم كان شقيق العروس ينتظر وحده، من الواضح أنه كان مصرًّا على رؤية الرجل الذي تحدثت إليه أخته في وضوح النهار، استقرت عيناه الجريئتان على وجه الطبيب، مع وميض شكٍّ لحظيٍّ يلمع فيهما، اختفت السحابة فجأة عندما ابتسم البارون بلطفٍ ساحر، ورفع قبعته إلى صديق أخته، وخرج.

تجمع أفراد النادي السري على درجات الكنيسة، بدأوا بالبارون..

"الوغد اللعين سيئ المظهر!"

وتابعوا مع (مونتباري).

- هل سيأخذ تلك المرأة المروعة معه إلى أيرلندا؟
- كلا! فهو لا يستطيع مواجهة المستأجرين، إنهم يعرفون عن أغنيس لوكوود..

• حسنًا، ولكن إلى أين هو ذاهب؟

- إلى اسكتلندا.
- هل تحب هي ذلك؟
- فقط لمدة أسبوعين ثم يعودان إلى لندن، ويسافران إلى الخارج.
- ولن يعودا أبدًا إلى إنجلترا، أليس كذلك؟!
- من يدري؟ هل رأيت كيف نظرت إلى (مونتباري) عندما كان عليها أن ترفع حجابها في بداية المراسم؟ لو كنت مكانه، سأنسحب، أرايتها أيها الطبيب؟
- بحلول هذا الوقت، تذكر الطبيب (ويبرو) مرضاه، وكان قد سمع ما يكفي عن شائعات النادي، وكما فعل البارون ريفار، ترك الكنيسة وذهب.

"كما ترى، خطوة أخرى في الطريق إلى النهاية."

كررها لنفسه بينما كان في طريقه إلى المنزل..

"أي نهاية؟"





## الفصل الرابع

في يوم الزواج، جلست (أغنيس لوكوود) بمفردها في غرفة الرسم الصغيرة في مسكنها بلندن، وأحرقت الرسائل التي كتبها (مونتباري) لها في الماضي.

عندما وصفتها الكونتيسة بذكاءٍ وخبث، للطبيب (ويبرو) لم تلمح حتى إلى السحر الذي تميزت به أغنيس، لم تذكر الملامح البريئة النابعة من الخير والنقاء، والتي جذبت على الفور كل من اقترب منها، بدت أصغر مما كانت عليه في الواقع بسنواتٍ عديدة، ببشرتها الفاتحة وأسلوبها الخجول، بدا من الطبيعي التحدث عنها على أنها "فتاة صغيرة" على الرغم من أنها كانت تتقدم الآن نحو سن الثلاثين، عاشت بمفردها مع ممرضة عجوز مكرسة لها، بدخلٍ ضئيلٍ متواضع يكفي لإعالة الاثنتين، لم يكن هناك أي من علامات الحزن العادية على وجهها، بينما تمزق رسائل حبيبها الكاذب ببطءٍ إلى نصفين، وتلقي بهم في النار الصغيرة التي أضيئت لتلتهمهم، لسوء حظها، كانت واحدة من هؤلاء النساء اللواتي يتمتعن بعمقٍ في المشاعر، تجعل من الصعب عليهن أن يجدن الراحة في البكاء، بأصابعها

المرتعشة الباردة، جلست شاحبة وهادئة، دمرت الرسائل واحدةً تلو الأخرى دون أن تجرؤ على قراءتها مرةً أخرى، كانت قد مزقت الرسالة الأخيرة، ولا تزال تترنح بعد رميها فوق البقية في الشعلة المدمرة السريعة، عندما دخلت الممرضة العجوز، وسألتهما عما إذا كانت ستري (السيد هنري) أي أصغر عضو في عائلة ويستويك، الذي أعلن للجميع ازدراءه لأخيه في غرفة التدخين بالنادي.

ترددت (أغنيس).. خطف هذا السؤال اللون الخافت من وجهها.

منذ وقتٍ طويل اعترف (هنري ويستويك) أنه يجبها، وكانت قد اعترفت له حينها أن قلبها قد سلم لأخيه الأكبر، لقد استسلم لخيبة الأمل هذه، والتقيا منذ ذلك الحين كابني عمٍّ وصديقين، لم يسبق لها أن ربطت بينه وبين الذكريات المحرجة، ولكن الآن، في اليوم نفسه الذي انتهى فيه زواج أخيه من امرأةٍ أخرى بخيانة أخيه لها، كان هناك شيءٌ بغيضٍ وغامضٍ في احتمالية رؤيته، لاحظت الممرضة العجوز (التي تذكرتهما في صغرهما) ترددها، ومن تعاطفها بالطبع مع الرجل، وضعت كلمة في الوقت المناسب لهنري..

"إنه يقول، أنه راحلٌ يا عزيزتي؛ ويريد فقط أن يصفحك ويودعك."

هذا السبب الواضح للموقف كان له تأثيره، لذا قررت "أغنيس" استقبال ابن عمها.

دخل الغرفة بسرعة لدرجة أنه فاجأها بينما كانت تلقي شظايا رسالة (مونتباري) الأخيرة في النار، بدأت بالحديث أولاً على عجل.

• ستغادر لندن فجأة، هنري.. أعمل أم للمتعة؟

وبدلاً من الرد عليها، أشار إلى الرسالة المشتعلة، وإلى بعض

الرماد الأسود من الورق المحترق الملقى في الجزء السفلي من المدفأة.

• أتحرقين الرسائل؟

• نعم.

• رسائله؟

• نعم.

أخذ يدها برفقٍ، وقال:

• لم يكن لدي أي فكرة أنني أتطفل عليك، في الوقت الذي

يجب أن تكونين فيه بمفردك، ساحميني يا (أغنييس) سأراك عندما

أعود.

أشارت إليه بابتسامةٍ خافتة ليأخذ كرسيًا، وقالت:

• نحن نعرف بعضنا البعض منذ أن كنا طفلين.. لماذا يجب أن

أشعر بكبرياءٍ أحمقٍ تجاه نفسي في وجودك؟ لماذا عليّ أن أخفي أي

أسرارٍ عنك؟ لقد أرسلت كل هدايا أخيك، لقد نصحوني ببذل المزيد

من الجهد، وعدم الاحتفاظ بأي شيءٍ يذكرني به، باختصار، حرق

رسائله، لقد عملت بالنصيحة، لكنني اعترف بأنني انكشيت قليلاً

عند حرق آخر رسالة، ليس لأنها الأخيرة، ولكن لأن هذه كانت

بداخلها.

فتحت يدها، وأظهرت له خصلةً من شعر (مونتباري) مربوطةً

بقطعة من حبلٍ ذهبي..

ثم أكملت قائلة:

• حسنًا! حسنًا! دعها تحترق مع الباقي.

أسقطتها في اللهب، ولبرهة، وقفت وظهرها إلى هنري، متكئة على رف الموقد، تنظر إلى النار، أخذ الكرسي الذي أشارت إليه، مع تناقضٍ غريبٍ في تعابير وجهه؛ الدموع في عينيه بينما كان الحاجبان في الأعلى متماسكين في عبوسٍ غاضب، تتم قائلًا: "اللعنة عليه!"

استجمعت شجاعته، ونظرت إليه مرةً أخرى بينما قالت:

• حسنًا (هنري).. لماذا تغادر؟

• لقد فقدت طاقتي (أغنيس) وأريد التغيير.

توقفت قليلاً قبل أن تتكلم مرةً أخرى، أخبرها وجهه بوضوح أنه كان يفكر فيها عندما أجاب، كانت ممتنةً له، لكن عقلها لم يكن معه، عقلها لا يزال مع الرجل الذي هجرها، استدارت مرةً أخرى إلى النار.. سألت بعد صمتٍ طويل:

• هل تزوجا اليوم؟

أجاب بفظاظة بالكلمة الوحيدة اللازمة:

• نعم.

• هل ذهبتَ إلى الكنيسة؟

استاء من السؤال بتعبيرٍ دلّ على دهشةٍ ساخطة، كرر قائلًا:

• أذهب إلى الكنيسة! سأذهب فورًا إلى...

وانتبه إلى نفسه هناك..

• كيف يمكنك أن تسألني؟

أضاف بنبرةٍ أخف:

• لم أتحدث أبداً مع (مونتباري).. لم أره حتى، منذ أن عاملك مثل الوغد والأحمق الذي هو عليه.

نظرت إليه فجأة دون أن تنبس بينت شفة، لقد تفهمها وتوسل عفوها، لكنه لا يزال غاضباً.. قال:

• سيعاقب يوم الحساب كباقي الرجال، حتى في هذا العالم، سيعيش ليندم على اليوم الذي تزوج فيه بتلك المرأة!  
أخذت (أغنيس) كرسيًا بجانبه ونظرت إليه بمفاجأة لطيفة.  
سألت:

• هل من المنطقي أن أكون غاضبةً جدًا منها لأن أخاك فضلها علي؟

انقلب (هنري) عليها بجدة:

• أتدافع عن الكونتيسة، من بين كل الناس في العالم؟  
أجابت (أغنيس):

• لم لا؟ أنا لا أعرف شيئاً ضدها، في المرة الوحيدة التي التقينا فيها، بدت وكأنها شخصٌ خجول وقلق بشكلٍ فريد، كما بدت مريضةً بشكلٍ مخيف؛ مريضةً لدرجة أنها سقطت مغشياً عليها تحت درجة حرارة غرفةٍ كغرفتي، لماذا لا ننصفها؟ نحن نعلم أنها بريئة من أي نيةٍ لظلمي، نعلم أنها لم تكن على علمٍ بخطبتي.

رفع (هنري) يده بصبرٍ نافذ وأوقفها:

• هناك شيء مثل أن تكون عادلاً جداً ومتسامحاً جداً! لا يمكنني تحمل سماعك تتحدثين بهذه الطريقة الصبورة، بعد الطريقة

الفاضحة والوحشية التي عوملت بها، حاولي أن تنسي كلاهما (أغنيس).. أتمنى من الله أن أستطيع مساعدتك على القيام بذلك!

وضعت (أغنيس) يدها على ذراعه:

• أنت جيدٌ معي يا (هنري) لكنك لا تفهمني تمامًا، كنت أفكر في نفسي ومشاكلي بطريقةٍ مختلفةٍ كليًا، عندما دخلت، كنت أتساءل عما إذا كان ممكنًا لشعورٍ، قد ملأ قلبي بالكامل واستحوذ على الأفضل والأصدق في داخلي، كشعوري تجاه أخيك، يمكن أن يموت حقًا كما لو لم يكن موجودًا من قبل! لقد دمرت آخر الأشياء المرئية التي تذكرني به، وفي هذا العالم لن أراه بعد الآن، لكن هل انكسر للأبد الرابط الذي جمعنا ذات يوم؟ هل أنا منفصلة تمامًا الآن عن الخير والشر في حياته، وكأننا لم نلتق أبدًا؟ ما رأيك يا (هنري)؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك!

أجاب (هنري ويستويك) بصراحة:

• إذا كان بإمكانك أن تلحقني به الانتقام الذي يستحقه، فأنا أميل إلى الاتفاق معك.

وعندما خرج ذلك الرد من شفثيه، ظهرت الممرضة العجوز مرةً أخرى عند الباب معلنةً قدوم زائرٍ آخر.

"أنا آسف على إزعاجك يا عزيزتي، ولكن جاءت السيدة الصغيرة (فيراري) وتريد أن تعرف متى يمكنها أن تتحدث معك بضع كلمات."

التفت (أغنيس) إلى (هنري) قبل أن تجيب:

• هل تذكر (إميلي بيدويل) تلميذتي المفضلة منذ سنوات في مدرسة القرية، وبعد ذلك خادمتي؟ لقد تركتني لتتزوج ساعياً إيطالياً، يدعى (فيراري) وأخشى الأمر، أتمنع في وجودها هنا لدقيقةٍ أو دقيقتين؟

نحس (هنري) ليغادر قائلاً:

• سأكون سعيداً برؤية (إميلي) مرةً أخرى في أي وقتٍ آخر، لكن من الأفضل أن أذهب الآن، عقلي مضطربٌ يا (أغنيس).. قد أقول لك الكثير إذا بقيت هنا لفترةٍ أطول، من الأفضل ألا أقول الآن، سأعبر القناة بجانب مكتب البريد الليلة، ولنرى كيف سيساعدني التغيير لبضعة أسابيع.

أخذ بيدها وسأل:

• هل هناك أي شيءٍ في العالم، يمكنني أن أفعله لك؟

سأل بجديّةٍ شديدة، شكرته وحاولت أن تفلت يدها، أمسكها بقبضةٍ مرتجفةٍ طويلة، وقال بنبرةٍ متذبذبةٍ ناظرًا إلى الأرض:

• فليحفظك الله يا (أغنيس)!

احمر وجهها مرةً أخرى، وشحبت في اللحظة التالية أكثر من أي وقتٍ مضى؛ لقد عرفت قلبه كما عرفه هو بنفسه، كانت حزينةً جدًا لدرجة لا تستطيع فيها الكلام، رفع يدها إلى شفثيه، قبلها بحرارة، ودون أن ينظر إليها مرةً أخرى، غادر الغرفة، تعثرت الممرضة وراءه إلى رأس الدرج؛ لم تنس الوقت الذي كان فيه الأخ الأصغر منافسًا فاشلاً أمام الأكبر على يد (أغنيس)..

• لا تشعر بالإحباط يا سيد (هنري).

همست المرأة العجوز، بالحس المجرد من المبادئ الذي يمتلكه الأشخاص من المرتبة الدنيا في الحياة..

• جرب معها مرة أخرى، عندما تعود!

تركنت (أغنيس) بمفردها لبضع لحظات، أخذت تدور في الغرفة، محاولة أن تستجمع نفسها، توقفت أمام لوحة صغيرة مرسومة بالألوان المائية على الحائط، كانت تخص والدتها، إنها صورتها هي عندما كانت طفلة..

"كنا سنصبح سعداء!"

فكرت بحزن.. "لو أننا لم نكبر أبدًا!"

ظهرت زوجة الساعي في صورة؛ امرأة صغيرة، وديعة وحزينة، ذات رموش بيضاء، تنكمش بخجل وتعاني من سعال مزمن بسيط، صافحتها (أغنيس) بلطف وسألتها:

• حسنًا (إميلي).. كيف يمكنني مساعدتك؟

قدمت زوجة الساعي إجابة غريبة:

• أخشى أن أخبرك يا آنسة.

• هل هي خدمة صعبة للغاية؟ اجلسي واسمحي لي أن أعلم كيف تسير الأمور معك! ربما سيسقط الخوف أثناء حديثنا، كيف يتصرف زوجك معك؟

بدت الدموع في عيني (إميلي) بلوغهما الرمادي الفاتح، أكثر

من أي وقت مضى، هزت رأسها وتنهدت باستسلام قائلة:

• ليس لدي شكوى واضحة، أقدامها ضده يا آنسة، لكني

أخشى ألا يهتم بي؛ ويبدو أنه لا يهتم بمنزله، ربما أقول أنه سئم منزله،



قد يكون من الأفضل لكلينا يا سيدتي، أن يسافر لفترة، ناهيك عن المال، الذي بدأ يقل للأسف.

وضعت منديلها على عينيها، وتهدت مرة أخرى باستسلام أكثر من أي وقت مضى.

قالت (أغنيس):

• لا أفهم تمامًا.

• اعتقدت أن زوجك لديه التزام بأن يأخذ بعض السيدات إلى سويسرا وإيطاليا!

• كان هذا سوء حظه يا آنسة، مرضت إحدى السيدات، ولم يرحل الآخرون من دونها، دفعوا له راتب شهر كتعويض، لكنهم كانوا قد حجزوه لفصلي الخريف والشتاء، وهذه الخسارة خطيرة.

• أنا آسفة لسماع ذلك يا (إميلي).. دعينا نأمل أن تتاح له فرصة أخرى قريبًا.

• إنه ليس دوره يا سيدتي، ليتم التوصية به عند وصول فرص العمل التالية إلى مكتب البريد، كما ترين، هناك الكثير منهم عاطلون عن العمل الآن، إذا كان من الممكن التوصية به بشكل خاص.. "توقفت وتركت الجملة غير المكتملة للتحدث عن نفسها". فهمتها (أغنيس) مباشرة:

• أتريدين توصيتي؟ لماذا لم تقولي ذلك فورًا من البداية؟!

احمرت (إميلي) خجلًا، وأجابت بارتباك:

• ستكون فرصة جيدة لزوجي، جاء خطاب يطلب ساعيًا جيدًا (عقد لستة شهور سيدتي!) إلى المكتب هذا الصباح، لكن

حان دور رجلٍ آخر ليتم اختياره، وسيوصي السكرتير به - إذا كان زوجي يستطيع فقط إرسال شهادته عبر البريد نفسه - مع كلمةٍ واحدة فقط، يذكر فيها اسمك يا سيدي، فقد قلب الميزان، كما يقولون، التوصية الخاصة بين الرفقاء لها تأثير قوي.

توقفت وتهدت مرة أخرى ثم نظرت إلى السجادة، وكأن لديها سببًا خاصًا للشعور بالخجل قليلًا من نفسها.

بدأت (أغنيس) تشعر بالضجر من نبرة الغموض المستمرة التي تحدثت بها زائرتها.. قالت:

• إذا كنت تريد أن أطلب مساعدة صديق لي، فلماذا لا يمكنك إخباري بالاسم؟

أجهشت زوجة الساعي بالبكاء قائلة:

• أشعر بالخجل من إخبارك يا آنسة.

ولأول مرة، تحدثت (أغنيس) بجدّةٍ قائلة:

• هراء يا (إميلي)! قولي الاسم مباشرةً أو أغلقني الموضوع..

أيهما تفضلين؟

قامت (إميلي) بجهدٍ يائسٍ أخير، اعتصرت منديلها بقوةٍ في حجرها، وتركت الاسم يخرج من فمها كما لو كانت تطلق رصاصةً من مسدسٍ محشو:

• اللورد مونباري!

نهضت (أغنيس) ونظرت إليها.

قالت بهدوءٍ شديد:

• لقد خيّت أملي.

بنظرة، لم ترها زوجة الساعي في وجهها من قبل.

• بمعرفة ما تعرفينه، يجب أن تدركي أنه من المستحيل بالنسبة لي التواصل مع اللورد (مونتباري).. لطالما افترضت أن لديك شعورًا مرهقًا، يؤسفني أن أجد نفسي مخطئة!

ضعيفة كما كانت، شعرت (إميلي) بتوبيخها، سارت في طريقها الوديع الهادئ نحو الباب..

• أستمحك عذرًا يا سيدتي، أنا لست بهذا السوء كما تعتقدين، لكنني أستمحك عذرًا، في كل الأحوال.

فتحت الباب، نادتها (أغنيس).. شيء ما في اعتذار المرأة، جذب طبيعة (أغنيس) العادلة والسخية بشكلٍ لا يقاوم.. فقالت:

• تعالي.. يجب ألا ننفصل بهذه الطريقة، يجب ألا أسيء فهمك، ما الذي توقعت مني أن أفعله؟

كانت (إميلي) حكيمة بما يكفي للإجابة هذه المرة دون أي تحفظ..

• سيرسل زوجي شهاداته يا سيدتي، إلى اللورد (مونتباري) في اسكتلندا، أردت فقط أن تدعيه يقول في رسالته أنك تعرفين زوجته منذ أن كانت طفلة، وأنت تشعرين ببعض الاهتمام برفاهيتها على هذا الحساب، أنا لا أطلب الأمر الآن يا سيدتي، لقد جعلتني أفهم أنني كنت مخطئة.

هل كانت حقًا مخطئة؟ تضرعت ذكريات الماضي مع المشاكل الحالية، بقوة لـ (أغنيس) من أجل زوجة الساعي، قالت متحدثةً بدافعٍ من اللطف الذي كان أقوى دافعٍ في طبيعتها:

• تبدو هذه مجرد خدمة صغيرة تطليبنها.. لكنني لست متأكدةً من وجوب السماح بذكر اسمي في خطاب زوجك، اسمحي لي أن أسمع مرةً أخرى بالضبط ما يود قوله.

كررت (إميلي) الكلمات ثم قدمت أحد تلك الاقتراحات، والتي لها قيمة خاصة عند الأشخاص غير المعتادين على استخدام أسمائهم..

• لنفترض أنك حاولت يا سيدي، ماذا يجب أن نكتب؟

كانت الفكرة صبيانية، لكن جربت (أغنيس) التجربة، فقالت:

• إذا سمحت لك بذكري، فعلينا على الأقل أن نقرر ما ستقولينه.

كتبت الكلمات في أقصر وأبسط شكل:

• أجرؤ على القول بأن زوجتي على معرفةٍ بالآنسة (أغنيس لوكوود) منذ الطفولة، والتي بدورها تشعر ببعض الاهتمام بمصلحتي على هذا الأساس.

مختصرةً بهذه الجملة الواحدة، لم يكن يوجد أي إثبات أنها قد سمحت بذكر اسمها، أو أنها كانت على علمٍ بالأمر حتى.

بعد صراعٍ أخيرٍ مع نفسها، سلمت الورقة المكتوبة إلى (إميلي) وقالت:

• يجب على زوجك أن يقلدها بالضبط دون تغيير أي شيء، في هذه الحالة فقط، أوافق على طلبك.

لم تكن (إميلي) شاكراً فحسب، لقد تأثرت حقاً، سارعت (أغنيس) إلى إخراج المرأة الصغيرة من الغرفة قائلة:

• لا تعطني الوقت لأتوب وأستعيدها منك مرة أخرى.

فاختفت (إميلي).

• لكن هل انكسر للأبد الرابط الذي جمعنا ذات يوم؟ هل أنا

منفصلة تمامًا الآن عن الخير والشر في حياته، وكأننا لم نلتق أبدًا؟!

نظرت (أغنييس) إلى الساعة على الرف، منذ عشر دقائق فقط،

كانت تلك الأسئلة الجادة على شفيتها، لقد صدمتها طريقة

الإجابة، كان يريد تلك الليلة، يذهب مرة أخرى ليذكر (مونباري)

بها، وهذا باختيار خادمة.

بعد يومين، جلب البريد بضعة سطور امتنانٍ من (إميلي)..

حصل زوجها على عمل، وقع (فيراري) عقدًا، لمدة ستة شهور

مؤكدة، كساعي للورد (مونباري).



## القسم الثاني





## الفصل الخامس

بعد أسبوعٍ واحدٍ فقط من السفر داخل اسكتلندا، عاد سيدي وسيدي بشكّلٍ غير متوقّعٍ إلى لندن، عند ذهابهما إلى الجبال والبحيرات في المرتفعات، رفضت سيادتهما بشكّلٍ قاطع البقاء وتحسين معرفتها بهم، وعندما سُئلت عن سببها، أجابت بإيجازٍ روماني:

- لقد رأيت سويسرا.

لأسبوعٍ آخر، بقي العروسان الجديدان في لندن، في كوخ التقاعد، وفي أحد أيام ذلك الأسبوع، عادت الممرضة في حالة من الإثارة غير المعتادة من مهمةٍ أرسلتها (أغنيس) لتقوم بها، مازّة من باب طيب أسنانٍ عصري، قابلت اللورد (مونتباري) بينما يغادر منزل الطبيب، ووصفته المرأة الطيبة بسرورٍ خبيث، أنه كان يبدو مريضاً وبائساً..

"لحيته تتحول إلى اللون الرمادي، أتمنى أن يكون قد ألحق طبيب الأسنان الأذى به!"

مع علمها بمدى كره خادمتها العجوز المخلصة للرجل الذي هجرها، لكن سمحت (أغنيس) بضخ كميةٍ كبيرةٍ من المبالغة في

الصورة المقدمة لها، كان الانطباع الرئيسي الذي تولد في ذهنها هو الشعور بعدم الارتياح والعصبية، فلو هامت بنفسها في الشوارع في وضح النهار خلال فترة بقاء اللورد (مونتباري) في لندن، فكيف يمكنها التأكد أن اجتماعه القادم بالصدفة لن يكون معها؟ انتظرت في المنزل في اليومين التاليين، تشعر بالخجل من سلوكها المهين، وفي اليوم الثالث، أعلنت المخابرات العصرية للصحف أن اللورد والليدي (مونتباري) قد رحلا إلى باريس، وأتت في طريقهما إلى إيطاليا.

اتصلت السيدة (فيراري) في الليلة نفسها، وأبلغت (أغنيس) أن زوجها قد غادر المنزل وتركها بكل تعبيرات اللطف الزوجية الممكنة؛ تحسنت معاملته بفعل السفر إلى الخارج، لكن خادمة أخرى رافقت المسافرين، خادمة السيدة (مونتباري) بل كانت امرأة صامتة وغير اجتماعية، كما سمعت (إميلي).. كان شقيق سيادتها (البارون ريفار) موجوداً بالفعل في القارة، وقد تم الترتيب ليلتقي بأخته وزوجها في روما، تلاشت الأسابيع المملة، الواحد تلو الآخر في حياة (أغنيس).. واجهت موقفها بشجاعة رائعة، برؤية صديقاتها، كما شغلت نفسها في أوقات فراغها بالقراءة والرسم، لم توفر أي وسيلة، تصرف بها ذهنها عن ذكرى الماضي الحزين، لكنها أحبت بصدق شديد، وأصبحت بجروح عميقة جداً، ولن تشعر بتأثير العلاج الأخلاقي الذي استخدمته، الأشخاص الذين عرفوها في علاقات الحياة العادية، وخدعهم هدوؤها الخارجي، وافقوا على فكرة أن "تبدو الآنسة لوكوود وكأنها تتغلب على خيبة أملها".. لكن صديقة قديمة ورفيقة مدرسة، رأتها خلال زيارة قصيرة إلى لندن، كانت حزينة

بشكلٍ لا يوصف بسبب التغيير الذي اكتشفته في (أغنيس).. هذه السيدة كانت السيدة (ويستويك) زوجة شقيق اللورد (مونباري) الذي يأتي بعده في السن، والذي وصفه "النبلاء" بأنه الوريث المفترض لهذا اللقب، كان حينها بعيدًا، يدير مصالحه في بعض منشآت التعدين التي كان يمتلكها في أمريكا، أصرت السيدة (ويستويك) على إعادة (أغنيس) معها إلى منزلها في أيرلندا..

• تعالي بصحبي فزوجي بعيد، ستجعلك فتياي الثلاث الصغيرات زميلتهن في اللعب، والغريب الوحيد الذي ستلتقين به هو المريية، التي أؤكد لك مسبقًا أنك ستعجبين بها، احزمي أغراضك، وسأمر عليك غدًا في طريقي إلى القطار.

وبهذه العبارات النابعة من القلب، تم توجيه الدعوة التي قبلت بها (أغنيس) لحسن الحظ، عاشت تحت سقف صديقتها لمدة ثلاثة شهورٍ سعيدة، تعلقت الفتيات حولها، يبكين عند رحيلها؛ أرادت أصفرهن العودة مع (أغنيس) إلى لندن، نصف مازحة، والنصف الآخر جادة، قالت لصديقتها القديمة عند الفراق:

• إذا تركتك مريبتك، اتركي المكان متاحًا لي.  
ضحكت السيدة (ويستويك).. أخذ الأطفال الأكثر حكمة، الأمر على محمل الجد، ووعدوا (أغنيس) بإعلامها بذلك.

في اليوم نفسه الذي عادت فيه الأنسة (لوكوود) إلى لندن، تم تذكيرها بتلك الارتباطات بالماضي التي كانت حريصةً على نسيانها، بعد انتهاء التقبيل والتحية الأولى، كان لدى الممرضة العجوز (التي

تركت لتشرف على المسكن) بعض المعلومات المذهلة لتعلمها بها، وهي معلومات مستمدة من زوجة الساعي.

"عزيزتي، لقد كانت السيدة (فيراري) الصغيرة هنا في حالة ذهنيةٍ مخيفة، وسألت عن موعد عودتك، لقد ترك زوجها (اللورد مونتباري) دون إنذارٍ مسبق، ولا أحد يعرف ماذا حل به."

نظرت إليها (أغنيس) بدهشةٍ، وسألتها:

• هل أنت متأكدة مما تقولين؟

كانت المريضة متأكدة تمامًا..

• لماذا؟ حفظك الرب! إن الأخبار تأتي من مكتب الساعة في جولدن سكوير، من السكرتير، آنسة (أغنيس) السكرتير نفسه!

عند سماع ذلك، بدأت (أغنيس) تشعر بالقلق والدهشة، لا يزال الوقت مبكرًا في المساء، فأرسلت على الفور رسالةً إلى السيدة (فيراري) تعلمها بها أنها قد عادت.

بعد ساعة ظهرت زوجة الساعي في حالة هياجٍ، لم يكن من السهل السيطرة عليها، أكدت روايتها التقرير الذي قدمته المريضة، عندما تمكنت أخيرًا من التحدث بشكلٍ مترابط.

بعد أن كانت على تواصلٍ منتظم مع زوجها من باريس وروما والبندقية، كانت (إميلي) قد كتبت إليه مرتين بعد ذلك، ولم تلتق أي رد، ولشعورها بعدم الارتياح، ذهبت إلى المكتب في "جولدن سكوير" للاستعلام عما إذا كانوا قد سمعوا عنه هناك، كان البريد الصباحي قد أحضر رسالةً إلى السكرتير من ساعٍ في البندقية آنذاك،

تتضمن بعض الأخبار المروعة عن (فيراري) وشُح لزوجته بأخذ نسخةٍ منها، سلمتها الآن إلى (أغنيس) لقراءتها.

ذكر الكاتب أنه وصل مؤخرًا إلى البندقية، كان قد سمع سابقًا أن (فيراري) كان مع اللورد والسيدة (مونباري) في أحد قصور البندقية القديمة التي استأجروها لفترة، ولأنه صديق (فيراري) فقد ذهب لزيارته، طرق الباب الذي كان يطل على القناة، ولم ينجح في جعل أي شخصٍ يسمعه، فذهب إلى مدخل جانبي، يفتح على أحد الممرات الضيقة لمدينة البندقية، هنا، واقفًا عند الباب (كما لو كانت تنتظره أن يجرب هذه الطريقة بعد ذلك) وجد امرأةً شاحبة ذات عينيْن داكنتين رائعتين، أثبتت أنها ليست سوى السيدة (مونباري) نفسها.

سألت بالإيطالية: ماذا تريد؟

أجاب أنه يريد أن يرى الساعي (فيراري) إذا كان ذلك مناسبًا، أخبرته على الفور أن (فيراري) قد غادر القصر، دون إبداء أي سبب، ودون حتى ترك عنوان، يمكن فيه دفع راتبه الشهري (المستحق له في ذلك الوقت).. اندهش من الرد، واستفسر الساعي عما إذا كان أي شخصٍ قد أساء إلى (فيراري) أو تشاجر معه، أجابت السيدة:

• بالتأكيد لا، أنا سيدة (مونباري) ويمكنني أن أؤكد لكم بشكلٍ قاطع، أن (فيراري) عومل بأكثر قدرٍ من اللطف في هذا المنزل، نحن مندهشون من اختفائه غير العادي، وإن سمعتم عنه، رجاءً دعونا نعلم، حتى نتمكن على الأقل من دفع ما يستحق.

بعد سؤالٍ أو سؤالين آخرين (تمت الإجابة عليهما بسهولة) فيما يتعلق بوقت وتاريخ اليوم الذي غادر فيه (فياري) القصر، غادر الساعي.

قام على الفور بالتحقيقات اللازمة دون أي نتيجة حتى الآن فيما يتعلق بـ (فياري).. لم يره أحد، ولم يظهر أحد حل محل ثقة، لم يكن أحد يعرف أي شيء (ما يعني دنو أهمية الأمر) حتى عند أشخاصٍ متميزين مثل اللورد والسيدة (مونتباري) فقد جاءت الأخبار أن خادمة السيدة الإنجليزية تركتها، قبل اختفاء (فياري) لتعود إلى أقاربها في بلدتها، وأن السيدة (مونتباري) لم تتخذ أي خطواتٍ لمعرفة مكانها، ذكرت الرسالة أن السيد في حالةٍ صحيةٍ حساسة، عاش أقسى فترات التقاعد، لم يسمح لأحد بالدخول إليه أو زيارته، ولا حتى أبناء وطنه، تم جلب امرأة عجوز غبية لتقوم بالأعمال المنزلية في القصر، تصل في الصباح وتذهب مرةً أخرى في الليل، لم تر ساعي البريد المفقود من قبل، لم تر اللورد (مونتباري) من قبل، الذي كان محبوباً في غرفته بعد ذلك، كانت سيادتها "العشيقة الأكثر رقةً وروعةً" حاضرةً دائماً للعناية بزوجها النبيل، لم يكن هناك أي خادمةٍ أخرى في المنزل (حسب علم المرأة العجوز) غيرها، تم طلب الوجبات من مطعمٍ دائماً، وقيل أن سيدي كان يكره الغرباء، كان صهر سيدي (البارون) مغلقاً على نفسه معظم الوقت في جزءٍ بعيدٍ من القصر، مشغولاً (كما قالت العشيقة الرقيقة) بتجارب في الكيمياء، وكانت تفوح من هذه التجارب في بعض الأحيان، رائحة كريهة، تم استدعاء طبيبٍ مؤخراً ليعاين سيادته، طبيب إيطالي أقام

لفترة طويلة في البندقية، الاستفسارات التي وجهت إلى هذا الرجل (الطبيب ذو القدرة والاحترام اللا شك فيهما) أوضحت أنه لم ير (فيراري) أبداً، بعد أن تم استدعاؤه إلى القصر (كما أظهر كتاب مذكراته) في تاريخٍ لاحقٍ لاختفاء الساعي، وأقر الطبيب أن اللورد (مونتباري) مصاب بالتهاب الشعب الهوائية، حتى الآن، لم يكن هناك سبب للشعور بأي قلق، رغم أن الهجوم كان حاداً، إذا ظهرت أعراض مقلقة، فقد رتب مع السيدة لاستدعاء طبيبٍ آخر، بالنسبة للبقية، كان من المستحيل أن أشيد بسيدتي بإسهابٍ أكثر؛ فقد ظلت ليلاً ونهاراً بجانب سرير سيدها.

مع هذه التفاصيل، بدأت وانتهت الاكتشافات التي قام بها صديق الساعي (فيراري).. وكانت الشرطة قد باشرت البحث عن الرجل المفقود، وكان هذا هو الأمل الوحيد الذي يقدم في الوقت الحاضر لزوج (فيراري).

سألت المرأة المسكينة بلهفة:

• ما رأيك في ذلك يا سيدتي؟ ماذا تنصحيني أن أفعل؟

كانت (أغنيس) في حيرةٍ من أمرها، لا تدري بم ترد عليها؛ لقد كان صعباً حتى محاولة الاستماع إلى ما كانت تقوله (إميلي).. الأخبار في رسالة الساعي عن (مونتباري).. تقرير مرضه، الصورة الكئيبة لحياته المنعزلة، كلها أعادت فتح الجرح القديم، لم تكن تفكر حتى في (فيراري) المفقود؛ كان عقلها في البندقية، بجانب سرير الرجل المريض.

أجابت:

• بالكاد أعرف ما أقول، ليس لدي أي خبرة بمثل هذه الأمور الجادة.

• أتعتقدين أنه سيساعدك يا سيديتي، إذا قرأت رسائل زوجي لي؟ هناك ثلاث فقط، ولن تستغرق وقتًا طويلاً لقراءتها.  
(أغنيس) تقرأ الرسائل بتعاطف.

لم تكن مكتوبة بنبوة رقيقة.. "إميلي العزيزة"، و"مع تحياتي".  
كانت هذه العبارات التقليدية هي العبارات الوحيدة التي احتوتها، في الرسالة الأولى، لم يتحدث بشكلٍ محبب عن اللورد (مونتباري): "سنغادر باريس غداً، أنا لا أحب سيدي كثيراً، إنه متكبرٌ وبارد، والأمر بيننا بخيلٌ فيما يخص المال، لقد اضطررت إلى الجدل في تفاهات مثل بضعة سنتات في فاتورة الفندق؛ ودارت بعض الملاحظات الحادة بين الزوجين الحديثين، مرتين بالفعل، نتيجة انفلات سيادتها في شراء أشياء مغرية جداً من المتاجر في باريس."  
"لا أستطيع تحمل تكاليف هذا؛ يجب أن تتعلمي إدارة أمورك."  
"اضطرت أن تسمع هذه الكلمات بالفعل، من ناحيتي، أنا معجب بها، لديها أخلاق أجنبية لطيفة وسهلة بالتعامل، تتحدث معي كما لو كنت إنساناً مثلها."

الرسالة الثانية مؤرخة في روما.

كتب (فيراري): "تقلبات مزاج سيدي، أبقنتنا في حالة تنقلٍ دائم، إن قلقة يزداد بشكلٍ، لا يمكن علاجه، أظن أن ذهنه غير مرتاح، أظنها الذكريات الأليمة ما تفعل به هذا، أجده يقرأ باستمرار الرسائل القديمة، عندما لا تكون سيادتها موجودة، علينا أن نتوقف



في (جينوا) لكنه سارع بنا إلى الأمام، الأمر نفسه حدث في (فلورنسا) لكن تصر سيدي على الراحة هنا في (روما).. التقينا شقيقها في هذا المكان.

هناك لقد وقع شجار بالفعل (أخبرتني خادمة السيدة) بين سيدي و(البارون).. أراد الأخير اقتراض أموال من سيدي، رفض سيادته في لهجة أساءت إلى (البارون ريفار) فقامت سيدي بتهدئتهم، وجعلهم يتصافحون.

الرسالة الثالثة والأخيرة، كانت من البندقية.

"المزيد من اقتصاد سيدي! فبدلاً من البقاء في الفندق، قمنا باستئجار قصرٍ قديمٍ رطب، متعفنٍ ومتداعٍ، تصر السيدة على امتلاك أفضل أجنحة الغرف أينما ذهبنا، وإيجار القصر أرخص لمدة شهرين، لذا حاول سيدي الحصول عليه لفترة أطول؛ يقر أن هدوء البندقية سيفيد أعصابه، لكن سمسارًا أجنبيًا، قام بتأمين القصر، وسيحوّله إلى فندق، لا يزال (البارون) معنا، وهناك المزيد من الخلافات حول الأمور المالية، أنا لا أحب (البارون) ولا أجد إعجابي بسيدي يزداد أيضًا، كانت أكثر لطفًا قبل أن ينضم إلينا (البارون).. سيدي ينفق ماله بدقةٍ متناهية، إنها مسألة شرف بالنسبة إليه، يكره أن ينفق ماله، لكنه يفعل ذلك لأنه يفي بالتزاماته، فأنا أتقاضى راتي بانتظامٍ نهاية كل شهر، من دون أي فرنك إضافي، على الرغم من أنني قمت بالعديد من الأشياء التي لا تعد جزءًا من الأعمال المناسبة الساعي، تخيلي أن (البارون) يحاول اقتراض المال مني! إنه مقامرٌ متأصل، لم أصدق ذلك عندما أخبرتني خادمة سيدي بذلك

لأول مرة، لكنني رأيت ما يكفي منذ ذلك الحين لإقناعي بأنها كانت على حق، لقد رأيت أشياء أخرى إلى جانب ذلك، والتي لا تزيد من احترامي للسيدة و(البارون).. تقرر الخادمة أنها تنوي إعطاء إشعارٍ بالرحيل، إنها أنثى بريطانية محترمة، ولا تأخذ الأمور بهذه السهولة كما أفعل، إنها حياةٌ مملّة هنا، ممنوع وجود الصحبة، لا يوجد صحبة في المنزل، ولا أي مخلوق يرى سيدي، ولا حتى القنصل أو المصرفي، وعندما يخرج، يذهب بمفرده، وعمومًا نحو حلول الظلام، في الداخل، يغلق على نفسه بغرفته مع كتبه، ويرى زوجته و(البارون) بأقل قدرٍ ممكن، أتخيل أن الأمور ستأزم هنا، إذا استيقظت شكوك سيدي مرة، فستكون العواقب وخيمة، تحت استفزازات معينة، فإن النبيل (مونتباري) هو رجل لن يتمسك بأي شيء، ومع ذلك، فإن الأجر جيد، ويجب ألا أتحدث عن مغادرة المكان، مثل خادمة سيدي."

أعدت (أغنيس) الرسائل مما يوحي بالعقوبة لافتتانه بالرجل الذي هجرها! مغمورةٌ بمشاعر الخجل والضيق، التي جعلتها مستشارة للمرأة التي لا حول لها ولا قوة، والتي كانت تعتمد على نصيحتها.

قالت، بعد أن تحدثت أولاً ببعض الكلمات اللطيفة التي تبعث الراحة والأمل: "الشيء الوحيد الذي يمكنني اقتراحه، هو أننا يجب أن نستشير شخصًا، يتمتع بخبرة أكبر من خبرتنا، لنفترض أن أكتب وأطلب من المحامي (الذي هو أيضًا صديقي والوصي علي) أن يأتي وينصحنا غدًا بعد ساعات عمله؟"

قبلت (إميلي) الاقتراح بشغفٍ وامتنان، تم ترتيب ساعة للقاء في اليوم التالي؛ تركت الرسائل تحت رعاية (أغنيس) وغادرت زوجة الساعي.

استلقت (أغنيس) المرهقة العقل والقلب على الأريكة لتستريح وتستعيد قوتها، أحضرت الممرضة الحريصة كوبًا من الشاي.. كانت شائعاتها الغريبة عن نفسها وعملها عندما كانت (أغنيس) بعيدة، بمثابة ارتياح لعقل سيدتها المثقل بالأعباء، أثناء الحديث، أرعبتهن طريقة عالية على باب المنزل.. خطوات متعجلة صعدت الدرج، فُتح باب غرفة الجلوس بعنف، وهرعت زوجة الساعي كامرأة مجنونة قائلة:

• إنه ميت! لقد قتلوه!

كانت تلك الكلمات الجامحة كل ما يمكن أن تقوله، سقطت على ركبتيها عند أسفل الأريكة، مدت يدها بشيء كانت ممسكة به، وفقدت الوعي.

أشارت الممرضة لـ (أغنيس) لتفتح النافذة، واتخذت الإجراءات اللازمة لاستعيد المرأة وعيها، صاحت:

• ما هذا؟ إنها رسالة التي في يدها، انظري ما تحوي يا آنسة!

تم توجيه الظرف المفتوح (كما هو واضح بخط يد زائف) إلى (السيدة فيراري).. كانت عليه علامة بريدية من (البندقية) ومحتويات الظرف عبارة عن ورقة ملاحظاتٍ وعلبة مطوية.

على ورقة الملاحظات، تمت كتابة سطرٍ واحدٍ فقط، كان مرة أخرى بخط يدٍ زائف، ويحتوي هذه الكلمات:

"تعازينا لفقدان زوجك."

فتحت (أغنيس) العلبة التالية..

كانت ورقة نقدية من بنك إنجلترا بقيمة ألف جنيه.

## الفصل السادس

في اليوم التالي، اتصل بها صديق ومستشار (أغنيس لوكوود) السيد تروي، ليجروا مقابلةً في المساء.

السيدة (فيراري) التي لا تزال مصرة على الإدانة بوفاة زوجها، قد تعافت بما يكفي لتكون حاضرة في الاستشارة، وبمساعدة (أغنيس) أخبرت المحامي بالقليل الذي كانتا تعرفانه بشأن اختفاء (فيراري) ثم أخرجت المراسلات المتعلقة بهذا الحدث، قرأ السيد تروي (أولاً) الرسائل الثلاث التي وجهها (فيراري) إلى زوجته.. (ثانيًا) الرسالة التي كتبها صديق (فيراري) والتي تصف زيارته للقصر ومقابلته مع السيدة (مونباري) و(ثالثًا) السطر الوحيد من الكتابة المجهولة التي رافقت الهدية الاستثنائية بقيمة ألف جنيه لزوجة (فيراري).

لأنه معروف جيدًا، في فترة سابقة، بصفته المحامي الذي عمل لصالح السيدة (ليديارد) في قضية السرقة التي انتشرت بين العامة على أنها قضية "أموال سيديتي" .. لم يكن السيد (تروي) مجرد رجل علم وخبرة في مهنته، بل كان أيضًا رجلًا رأى شيئًا من المجتمع في الداخل والخارج، كان لديه عينٌ تحرص على الشخصيات، وروح الدعابة

الغريبة، والطبيعة اللطيفة التي لم تتدهور حتى بسبب خيرة المحامي المهنية للبشرية، مع كل هذه المزايا الشخصية، فإن السؤال المطروح هو؛ ما المستشار الأصح الذي كان يمكن أن تختاره (أغنيس) في ظل هذه الظروف؟ بينما كانت السيدة الصغيرة (فيراري) مع العديد من المزايا في شخصيتها، امرأةً تقليديةً بشكلٍ أساسي، كان السيد (تروي) آخر شخصٍ على قيد الحياة من المرجح أن يجذب تعاطفها، لقد كان تمامًا على عكس الرجال التقليديين.

"إنها تبدو مريضة للغاية، مسكينة!"

بهذه الكلمات افتتح المحامي العمل في المساء، مشيرًا إلى السيدة (فيراري) بشكلٍ غير رسمي كما لو كانت خارج الغرفة.  
أجابت (أغنيس):

• لقد عانت من صدمةٍ رهيبة.

التفت السيد (تروي) إلى السيدة (فيراري) ونظر إليها مرة أخرى باهتمام لأنها ضحية الصدمة، كان يطرق بأصابعه بصمتٍ على الطاولة، وفي النهاية تحدث معها..

• سيدتي الطيبة، ألا تصدقين حقًا أن زوجك قد مات؟

وضعت السيدة (فيراري) منديلها على عينيها، كانت كلمة (ميت) ليست المناسبة للتعبير عن مشاعرها، وقالت بصرامةٍ خلف منديلها:

• قُتل!

• لماذا؟ ومن سيقته؟

سأل السيد (تروي).

بدا أن السيدة (فيراري) تجد صعوبة في الإجابة، بدأت قائلة:

- لقد قرأت رسائل زوجي يا سيدي، أعتقد أنه اكتشف... وصلت إلى هذا الحد، وتوقفت عن الكلام.
- ماذا اكتشف؟

هناك حدود لصبر الإنسان، حتى صبر الزوجة الشكلى، أثار هذا السؤال اللطيف حفيظة السيدة (فيراري) ودفعها للتعبير عن نفسها بوضوح في النهاية.

- لقد اكتشف الليدي (مونتباري) و(البارون)!

أجابت بنوبة هستيرية..

• لو كنت أنا أخت تلك المرأة الحقيرة، فسيكون (البارون) أخاها كذلك، لقد وصل شرّ هذين الخسيسين إلى علم زوجي العزيز المسكين، خادمة السيدة تركت عملها بسبب ذلك، ولو رحل (فيراري) أيضاً، لكان على قيد الحياة في هذه اللحظة، لقد قتلوه، أقر بأنهم قتلوه، لمنعه من الوصول إلى آذان اللورد (مونتباري).

هكذا، في جملٍ قصيرةٍ وحادة، وبلهجةٍ أعلى وأعلى، أعربت السيدة (فيراري) عن رأيها في القضية، أما هو فلا يزال يحتفظ بوجهة نظره الخاصة، استمع السيد (تروي) بتعبيرٍ، ينم عن الموافقة الساخرة.. قال:

• لقد صرحت بقوة يا سيدة (فيراري).. أنت تبين جملك جيداً؛ وتتوصلين إلى استنتاجاتك بطريقةٍ بارعة، لو كنت رجلاً، لأصبحت محامياً جيداً، ستمسكين بهيئة المحلفين من مؤخرة أعناقهم، أكملني القضية يا سيدتي الطيبة، أكملني القضية، أخبرينا بعد ذلك

من أرسل لك هذا الخطاب، مرفقًا به الورقة البنكية؟.. (الحسيسان)  
الليدان قتلا السيد (فيراري) سيضعان أيديهما في جيوبهما ويرسلان  
إليك ألف جنيه، من هو.. ها؟ أرى أن العلامة المرفقة بالرسالة هي  
علامة (البندقية).. هل لديك أي صديق في تلك المدينة المثيرة،  
صاحب قلب كبير، وحافضة تتوافق معه، تم الكشف عن السر له  
ويرغب في مواساتك دون الكشف عن هويته؟

لم يكن من السهل الرد على هذا، بدأت السيدة (فيراري)  
تشعر بالذنو الأول لشعورٍ من الكراهية تجاه السيد (تروي)..  
أجابت:

• أنا لا أفهمك يا سيدي، لا أعتقد أن هذه المسألة قابلة  
للمزاح.

تدخلت (أغنيس) لأول مرة، اقتربت بكرسيها من مستشارها  
القانوني وصديقها.. وسألت:

• ما التفسير الأكثر احتمالاً في رأيك؟  
أجاب السيد (تروي):

• سأسيء إلى السيدة (فيراري) إن أخبرتك.  
صرخت السيدة (فيراري) قائلة:

• لا، يا سيدي، لن تفعل!

شعرت بالكراهة تجاه السيد (تروي) بشكلٍ غير مقنعٍ بحلول هذا  
الوقت.

انحنى المحامي على كرسيه قائلاً:

• حسنًا.



بأسلوبٍ فكاهي ثم أكمل:

• سأوضح الأمر، انظري يا سيدتي، أنا لا أعترض على وجهة نظرك بشأن الوضع في القصر بالبنديقية، لديك رسائل زوجك تبرر لك؛ ولديك أيضًا حقيقة مهمة؛ وهي أن خادمة السيدة (مونتباري) غادرت المنزل بالفعل، سنقول إذا إنه من المفترض أن اللورد (مونتباري) قد وقع ضحية لخطأ فادح، وأن السيد (فيراري) كان أول من اكتشف ذلك، وأن الأشخاص المذنبين يخافون لسببٍ ما، ليس فقط أنه سيطلع اللورد (مونتباري) باكتشافه، لكنه سيكون شاهداً رئيسياً ضدهم إذا تم الإعلان عن الفضيحة في محكمة قانونية، لاحظي الآن! مع الاعتراف بكل هذا، استنتجت استنتاجًا مختلفًا تمامًا عن الاستنتاج الذي توصلت أنت إليه، ها هو زوجك تُرك في هذا المنزل البائس المكون من ثلاثة أفراد، في ظل ظروفٍ مخرجةٍ للغاية بالنسبة له، ماذا يفعل؟ لكن بالنسبة للورقة البنكية والرسالة المكتوبة المرسلة إليك معها، يجب أن أقر بأنه سحب نفسه بحكمة من الارتباط باكتشافٍ وفضيحة مشينة، عبر السفر سرًا، يعدل المال هذا الرأي، بشكلٍ غير ملائم بقدر ما يتعلق الأمر بالسيد (فيراري).. ما زلت أعتقد أنه يخفي نفسه عن الجميع، لكنني أقر بأنه يتقاضى أجرًا مقابل الابتعاد عن الطريق، وأن الورقة البنكية الموجودة على الطاولة هي ثمن غيابه، التي يرسلها المذنبون إلى زوجته.

أشرفت عينا السيدة (فيراري) الرماديتان الدامعتان فجأة؛ وأصبح لون بشرتها الباهت مفعمًا بالحيوية بتوهجٍ أحمر لامع.

صرخت قائلة:

• هذا خطأ! إنه لأمرٌ مخزٍ أن أتحدث عن زوجي بهذه الطريقة!

قال السيد (تروي):

• أخبرتك أنني سأسيء إليك!

تدخلت (أغنيس) مرة أخرى للسلام، أخذت يد الزوجة المستاءة وناشدت المحامي لأن يعيد النظر في هذا الجانب من نظريته التي انعكست بشدة على (فيراري).. بينما لا تزال تتحدث، قاطعتها الخادمة بدخول الغرفة ببطاقة زيارة، كانت بطاقة (هنري ويستويك) وكان هناك ورقة مشؤومة مكتوب عليها بالقلم الرصاص.. "أحمل أخبار سيئة، دعيني أراك دقيقة في الطابق السفلي."

غادرت (أغنيس) الغرفة على الفور.

وحده مع السيدة (فيراري) سمح السيد (تروي) للطف قلبه الطبيعي أن يظهر على السطح أخيراً، وحاول التصالح مع زوجة الساعي، فقال:

• معك كل الحق، يا روحي الطيبة، أن تستائي من الاتهام الملقى على زوجك، ربما سأقر بأنني أحترمك لموقفك الصارم في الدفاع عنه، لكن في الوقت نفسه، تذكرني أنني ملزم، في مثل هذه المسألة الخطيرة، أن أخبرك بما يدور في ذهني حقاً، ليس لدي أي نية للإساءة إليك لأنني أرى أنني غريبٌ تماماً عنك وعن السيد (فيراري).. ألف جنيهٍ مبلغٌ كبيرٌ من المال، وقد يغري الرجل الفقير بحجة ألا يفعل شيئاً أكثر من الابتعاد عن الطريق لفترة، اهتمامي الوحيد، بالعمل نيابةً عنك، هو الوصول إلى الحقيقة، إذا أعطيتني الوقت، فلا أرى أي سببٍ لليأس من العثور على زوجك بعد.

استمعت زوجة (فيراري) دون أن تفتنع، عقلها الصغير الضيق، الذي يملؤه رأيها المعارض للسيد (تروي) بأقصى طاقته، لم يتبق فيه مكان لعملية تصحيح الانطباع الأول، كان كل ما قالته:

• أنا ممتنة لك كثيرًا، يا سيدي.

لكن كانت عيناها تتواصلان معه بشكلٍ أعمق، فأضافتا بلغتهما: "يمكنك أن تقول ما تريد؛ لن أسامحك أبدًا حتى يوم مماتي."

استسلم السيد (تروي).. أدار كرسيه بثبات، ووضع يديه في جيبه ثم نظر من النافذة.

بعد فترة من الصمت، فُتح باب غرفة المعيشة، استدار السيد (تروي) مرة أخرى بخفة نحو الطاولة، متوقعًا رؤية (أغنيس) ولدهشته ظهر في مكانها، رجل غريب تمامًا عنه، رجلٌ نبيل، في مقتبل العمر، مع تعبيرٍ واضحٍ من الألم والخرج على وجهه الوسيم، نظر إلى السيد (تروي) وانحنى بشدة ثم قال:

• من سوء حظي الشديد أنني جلبت أخبارًا إلى الآنسة (أغنيس لوكوود) قد أزعجتها بشدة، لقد سعدت إلى غرفتها، طُلب مني أن أعتذر منك وأتحدث معك مكانها.

بعد أن قدم نفسه بهذه العبارات، لاحظ السيدة (فيراري) ومد يده إليها بلطفٍ قائلاً:

• مرت بضع سنوات منذ آخر لقاءٍ لنا يا (إميلي).. أخشى نسيانك لـ (السيد هنري).

قامت (إميلي) بالتحية بينما تشعر بالارتباك، وتوسلت لمعرفة ما إذا كان من المحتمل أن تكون ذات فائدةٍ للآنسة (لوكوود).. أجاب (هنري) قائلاً:

- الممرضة العجوز معها.. سيكون من الأفضل تركهما معًا.
- التفت مرة أخرى إلى السيد (تروي) قائلاً:
- يجب أن أخبرك، أن اسمي (هنري ويستويك).. أنا الأخ الأصغر للراحل (اللورد مونباري).
- الراحل اللورد مونباري!
- صاح السيد (تروي).
- مات أخي في البندقية مساء أمس، هذه البرقية.
- بهذه الإجابة المذهلة، سلم الورقة للسيد (تروي).
- كانت الرسالة في هذه الكلمات:

"ليدي مونباري، البندقية، إلى ستيفن روبرت وستويك، فندق نيويورك، لندن، من غير المجدي أن تتكبد عناء الرحلة، توفي اللورد (مونباري) لالتهاب الشعب الهوائية في الساعة 8:40 هذا المساء، كل التفاصيل المطلوبة موجودة بالبريد."

- هل كان هذا متوقعًا يا سيدي؟
- سأل المحامي.

أجاب (هنري) قائلاً:

- لا أستطيع أن أقر أن الأمر فاجأنا تمامًا، تلقى شقيقي ستيفن (وهو الآن رب الأسرة) بريقةً منذ ثلاثة أيام، تخبره أن الأعراض المقلقة قد أعلنت عن نفسها، وأنه تم استدعاء طبيبٍ ثانٍ،

وردَ بَرقيةٍ ليقر بأنه غادر أيرلندا ليذهب إلى لندن، وفي طريقه إلى البندقية، ولإعطاء العلم بأن أي رسالة أخرى، يجب أن يتم إرسالها إلى فندقه، جاء الرد في بَرقيةٍ ثانية، أعلنت أن اللورد (مونتباري) كان في حالة من عدم الإحساس، وأنه في فترات وعيه القصيرة، لم يتعرف إلى أحد، ونُصح أخي بالانتظار في لندن للحصول على معلوماتٍ لاحقة، البَرقية الثالثة الآن بين يديك، هذا كل ما أعرفه، حتى الوقت الحاضر.

عند إلقاء نظرة على زوجة الساعي، صُدم السيد (تروي) بالتعبير عن الخوف الفارغ الذي ظهر على وجه المرأة.

• سيدة (فيراري).. أسمعت ما قاله السيد (وستويك) للتو؟

• كل كلمة مما قاله يا سيدي.

• ألدريك أي أسئلة تريدين طرحها؟

• لا يا سيدي.

فأصر المحامي قائلاً:

• يبدو أنك منزعجة، أما زال الأمر يتعلق بزواجك؟

• لن أرى زوجي مرةً أخرى يا سيدي، لقد اعتقدت ذلك

طوال الوقت، كما تعلم، أما الآن أصبحت متأكدةً من ذلك.

• تأكدتِ من ذلك، بعد ما سمعته للتو؟

• نعم يا سيدي.

• هل تستطيعين أن تخبريني لماذا؟

• لا يا سيدي، إنه شعور لدي، لا أستطيع أن أخبر أحدًا به.

• أوه، شعور؟!

كرر السيد (تروي) بنبرة من الازدراء الرحيم..

• عندما يتعلق الأمر بالمشاعر، يا روجي الطيبة...!

وترك الجملة معلقة هنا ثم قام ليغادر مودعًا السيد (ويستويك)..

الحقيقة هي أنه بدأ يشعر بالحيرة، ولم يختر السماح للسيدة (فيراري) برؤية هذا..

• اقبل تعازي يا سيدي.

قال للسيد (ويستويك) بأدب..

• أرجو لك مساءً جيدًا.

التفت (هنري) إلى السيدة (فيراري) بينما أغلق المحامي الباب..

• لقد سمعت عن مشكلتك يا (إميلي) من الأنسة (لوكوود)..

هل هناك أي شيء يمكنني القيام به لمساعدتك؟

• لا شيء يا سيدي، شكرًا لك، ربما كان من الأفضل أن

أعود إلى المنزل بعد ما حدث، سأتي غدًا إذا احتاجتني الأنسة (أغنيس).. أنا حزينة جدًا لأجلها.

انسحبت بانحناءٍ رسمية، وخطواتٍ صامتة، وعزمها العنيد على

اتخاذ أكثر التفسيرات كآبةً لقضية زوجها.

نظر (هنري ويستويك) حوله في عزلة غرفة المعيشة الصغيرة، لم

يكن هناك شيءٌ ليقبه في المنزل، ومع ذلك بقي فيه، يجب أن يكون

قريبًا من (أغنيس) لرؤية الأشياء الخاصة بها، والتي كانت مبعثرة في

جميع أنحاء الغرفة، هناك في الزاوية، كان كرسيها مع قطعة مرصعة

على طاولة العمل بجانبها، على الحامل الصغير بالقرب من النافذة

كانت رسمتها الأخيرة، التي لم تنته بعد، الكتاب الذي كانت تقرأه

موضوع على الأريكة، مع حقيبة أقلام رصاصٍ صغيرة لتحديد المكان الذي توقفت عنده، واحدًا تلو الآخر، نظر إلى الأشياء التي تذكره بالمرأة التي أحبها، رفعهم بحنان، ووضعهم مرةً أخرى بحسرة، آه.. إلى أي مدى، إلى أي مدى لا تزال بعيدةً عنه؟!

"لن تنسى (مونتباري) أبدًا."

فكر بينما يحمل قبعته ليذهب..

• لا أحد منا يشعر بموته كما تشعر هي، الخسيس البائس،

كيف أحبته؟!

في الشارع، عندما أغلق (هنري) باب المنزل، أوقفه أحد معارفه العابرين (رجلٌ فضولي مرهق) غير مرحب به على نحوٍ مضاعف في تلك اللحظة.

• أخبارٌ محزنة (ويستويك).. تلك عن أخيك، لقد كانت بالأحرى ميتةً غير متوقعة، أليس كذلك؟! لم نسمع في النادي أن رثتي (مونتباري) كانتا ضعيفتين، ماذا ستفعل مكاتب التأمين؟

تحرك (هنري).. لم يفكر قط في التأمين على حياة أخيه، ماذا يمكن أن تفعل المكاتب سوى الدفع؟ من المؤكد أن الوفاة بسبب التهاب الشعب الهوائية، المصدق عليها من قبل طبييين، هي الأقل إثارة للجدل بين جميع الوفيات.

• أتمنى لو لم تضع هذا السؤال في رأسي!

اندلع بانفعال، قال صديقه:

• آه! أعتقد أن الأرملة ستحصل على المال؟ أعتقد ذلك

أيضًا!





## الفصل السابع

بعد بضعة أيام، تلقت مكاتب التأمين (اثنان في العدد) الإعلان الرسمي عن وفاة اللورد مونتباري، من محامي سيادتها في لندن، كان مبلغ التأمين في كل مكتب، خمسة آلاف جنيه، تم دفع قسط عام واحد فقط، في مواجهة مثل هذه الحالة المالية الطارئة، اعتقد المديرون أنه من المستحسن النظر في موقفهم، تم استدعاء المستشارين الطبيين الذين أوصوا بالتأمين على حياة اللورد (مونتباري) من كلا المكاتب إلى المجلس بفعل تقاريرهم الخاصة، أثارت النتيجة بعض الاهتمام بين الأشخاص المرتبطين بأعمال التأمين على الحياة، دون الامتناع المطلق عن دفع الأموال، قرر المكتبان (الليدان يعملان بالتنسيق) إرسال لجنة تحقيق إلى البنديقية.. لغرض الحصول على مزيد من المعلومات.

تلقى السيد (تروي) المعلومات المبكرة عما كان يحدث، وكتب على الفور لإيصال الأخبار إلى (أغنيس) مضيئاً ما اعتبره تلميحاً قيماً في هذه الكلمات:

"إنك تعرفين جيداً، كما أعلم، الليدي (بارفيل) الشقيقة الكبرى للورد (مونتباري) الراحل، المحامون الذين يستخدمهم زوجها

هم أيضًا محامون في أحد مكثي التأمين، قد يكون هناك شيء في تقرير لجنة التحقيق، يتطرق إلى اختفاء (فيراري) وبالطبع لن يُسمح للأشخاص العاديين برؤية مثل هذه الوثيقة، لكن أخت اللورد الراحل قريبة منه جدًا لتكون استثناءً للقواعد العامة، إذا وضع السيد (ثيودور بارفيل) الأمر على هذا الأساس، فإن المحامين، حتى لو لم يسمحوا لزوجته بالنظر في التقرير، سيجيبون على الأقل عن أي أسئلة سرية تخص القضية قد تطرحها، اسمحي لي أن أسمع رأيك في هذا الاقتراح، في أقرب وقتٍ يناسبك."

تم استلام الرد عن طريق إعادة البريد، رفضت (أغنيس) الاستفادة من اقتراح السيد (تروي).

وكتبت:

"إن تدخلني البريء في بداية الأمر، أثمر بالفعل عن مثل هذه النتائج المؤسفة، لدرجة لا أستطيع ولا أجرؤ على إثارة المزيد من التوتر في قضية (فيراري)! لو لم أكن قد وافقت على السماح لهذا الرجل البائس بالإشارة إليّ بالاسم، لما كان الراحل (اللورد مونتباري) ليخاطبه أبدًا، وكانت زوجته ستنجو من البؤس والشك اللذين تعاني منهما الآن.. لن أنظر حتى إلى التقرير الذي تلمح إليه حتى إذا تم وضعه بين يدي، لقد سمعت بالفعل الكثير عن تلك الحياة البشعة في القصر بالبندقية، إذا اختارت السيدة (فيراري) مخاطبة السيدة بارفيل (بمساعدتك) فهذا بالطبع شيء آخر تمامًا، لكن حتى في هذه الحالة، يجب أن أجعل من الشرط القاطع عدم ذكر اسمي، سامحي

عزيزي السيد (تروي)! أنا حزينة للغاية وربما تراني غير منطقية أيضًا، لكنني مجرد امرأة، ويجب ألا تتوقع مني الكثير."

بعد أن تم إحباطه في هذا الأمر، نصح المحامي بمحاولة اكتشاف العنوان الحالي للخادمة الإنجليزية للسيدة (مونباري).. كان لهذا الاقتراح الممتاز عيبٌ واحد؛ لا يمكن تنفيذه إلا عن طريق إنفاق المال، ولم يكن هناك مال لإنفاقه، تخلصت السيدة (فيراري) من الفكرة المجردة المتمثلة في أي استخدام للورقة النقدية بقيمة الألف جنيه، التي تم إيداعها في خزانة أحد البنوك، حتى أنها عندما تم ذكرها في جلسة الاستماع لها، ارتجفت وأشارت إليها بحماسة ميلودرامية، باعتبارها "ثمن دماء زوجي!"

لذلك، تحت ضغط الظروف، تم تعليق محاولة حل لغز اختفاء (فيراري) لبعض الوقت.

كان الشهر الأخير من عام 1860، ولجنة التحقيق تعمل بالفعل، بدأت تحقيقاتها في 6 كانون الأول، وفي العاشر من كانون الأول، انتهت المدة التي استأجر فيها اللورد (مونباري) قصر البندقية، وصلت الأخبار عبر برقيةٍ إلى مكاتب التأمين، أن المحامين الذين يدافعون عن السيدة (مونباري) قد نصحوها بالمغادرة إلى لندن بأسرع وقتٍ ممكن، كان يُعتقد أن (البارون ريفار) سيرافقها إلى إنجلترا، لكنه لن يبقى في هذا البلد، ما لم تكن خدماته مؤمنة تمامًا من قبل سيادتها، لقد سمع (البارون) المعروف بأنه طالب متحمس للكيمياء، عن بعض الاكتشافات الحديثة المتعلقة بهذا العلم في الولايات المتحدة، وكان حريصًا على التحقق من الأمر شخصيًا.

تم إرسال هذه الأخبار، التي جمعها السيد (تروي) على النحو الواجب إلى السيدة (فيراري) التي جعلها قلقها بشأن زوجها من الزائرين المتكررين والمتكررين جداً لمكتب المحامي، حاولت أن تنقل ما سمعته لصديقتها الطيبة، لكن (أغنيس) رفضت الاستماع باستمرار، ومنعت بشكل نهائي أي محادثة أخرى تتعلق بزوجة اللورد (مونتباري).. الآن بعد أن ذهب (اللورد مونتباري) لديك السيد (تروي) لينصحك، قالت:

• وأنت مرحبٌ بك في القليل من المال الذي يمكنني توفيره، إذا كنت تريد المال، كل ما أطلبه في المقابل هو ألا تزعجيني، أحاول أن أفصل نفسي عن الذكريات.

تعثر صوتها؛ وتوقفت لتتحكم في نفسها ثم استأنفت قائلة:

• من ذكرياتٍ حزينةٍ أكثر من أي وقتٍ مضى منذ أن سمعت بوفاة اللورد (مونتباري).. ساعدني بصمتك لاستعادة معنوياتي، إذا أمكنك، لا تدعيني أسمع شيئاً أكثر، حتى أفرح معك بالعشور على زوجك.

تقدم الوقت إلى اليوم الثالث عشر من الشهر؛ والمزيد من المعلومات المثيرة للاهتمام، وصلت إلى السيد (تروي).. انتهى عمل لجنة التأمين، وتم استلام التقرير من البندقية في ذلك اليوم.

## الفصل الثامن

اجتمع أعضاء مجلس الإدارة ومستشاروهم القانونيون يوم 14 لقراءة التقرير، خلف أبوابٍ موصدة، كانت هذه هي العبارات التي روى فيها المفوضون نتائج تحقيقهم: "خاصة وسرية."  
 "نتشرف بإبلاغ المديرين بأننا وصلنا إلى البندقية في 6 ديسمبر 1860، في اليوم نفسه اتجهنا إلى القصر الذي سكنه اللورد (مونتباري) وقت مرضه الأخير ووفاته.

"لقد استقبلنا (بارون ريفار) شقيق السيدة (مونتباري) بكل ترحابٍ ممكن، أخبرنا (البارون) قائلًا: كانت أختي المرافقة الوحيدة لزوجها طوال فترة مرضه، لقد طغى عليها الحزن والتعب، كانت تود استقبالكم شخصيًا، ما طلباتكم أيها السادة؟ وماذا أستطيع أن أفعل مكان سيادتها؟"

"وفقًا لتعليماتنا، أجبنا أن وفاة ودفن اللورد (مونتباري) في الخارج، جعل من المستحسن الحصول على معلومات أكثر اكتمالًا، تتعلق بمرضه والظروف التي حدثت فيه، مما يمكن نقله بالمراسلة، أوضحنا أن القانون نص على انقضاء فترةٍ زمنيةٍ معينة قبل دفع المبلغ

المضمون، وعبرنا عن رغبتنا في إجراء التحقيق بأكبر قدر من الاحترام لمشاعر سيادتها، ولراحة أي فردٍ آخر، من أفراد الأسرة التي تقطن المنزل.

أجاب (البارون): "أنا الفرد الوحيد من العائلة الذي يعيش هنا، وأنا والقصر تحت تصرفكم بالكامل."

وجدنا هذا الرجل مستقيمًا تمامًا منذ وصولنا وحتى مغادرتنا، وأكثر استعدادًا لمساعدتنا.

"باستثناء غرفة سيادتها، مررنا بالقصر بأكمله في اليوم نفسه، إنه مكان ذو مساحة هائلة مؤثث جزئيًا فقط، كان الطابق الأول وجزء من الطابق الثاني، يسكنهما اللورد (مونتباري) وأفراد الأسرة، رأينا حجرة النوم على أحد أطراف القصر حيث مات سيادته والغرفة الصغيرة المتصلة بها، التي استخدمها كمكتب، إلى جانبها، كانت هناك شقة كبيرة أو صالة، أبوابها عادةً مغلقة، وهدفه من هذا - كما أبلغنا - متابعة أعماله في عزلةٍ تامة دون انقطاع، على الجانب الآخر من القاعة الكبيرة، كانت حجرة النوم التي تشغلها سيادتها، وغرفة الملابس التي نامت فيها الخادمة قبل رحيلها إلى إنجلترا، خلف هذه كانت توجد غرف تناول الطعام والاستقبال، التي تفتح على غرفة انتظار، والتي تتيح الوصول إلى الدرج الكبير للقصر."

"كانت الغرف الوحيدة المأهولة في الطابق الثاني؛ غرفة الجلوس، وغرفة النوم التي يشغلها (بارون ريفار) وغرفة أخرى على مسافةٍ ما منها، والتي كانت غرفة نوم الساعي (فيراري).. كانت الغرف في الطابق الثالث والطابق السفلي غير مفروشة بالكامل وفي

حالة إهمالٍ كبير، استفسرنا عما إذا كان هناك أي شيء، يمكن رؤيته أسفل القبو، وتم إبلاغنا على الفور بوجود أقبية تحتها، والتي كان لدينا حرية تامة لزيارتها.

"نزلنا حتى لا نترك أي جزءٍ من القصر غير مستكشف، يُعتقد أن الأقبية كانت تستخدم كأبراج محصنة في العصور القديمة، على سبيل المثال، منذ عدة قرون، تم إدخال الهواء والضوء جزئيًا فقط إلى هذه الأماكن المعزولة من خلال عمودين طويلين من البناء المتعرج، والذي يتصل بالفناء الخلفي للقصر، وكانت فتحاته مرتفعة فوق الأرض ومحمية بشبكات حديدية، يمكن إغلاق السلام الحجرية المؤدية إلى الخزان حسب الرغبة من خلال بابٍ ثقيل معلق في الصالة الخلفية، والذي وجدناه مفتوحًا، قاد (البارون) الطريق إلى أسفل الدرج، لاحظنا أنه قد يكون الأمر محرجًا إذا سقط هذا الباب المحاصر وأغلق الفتحة خلفنا، ابتسم (البارون) للفكرة، وقال: "لا تنزعجوا يا سادة، الباب آمن، لقد اهتمت بفحصه بنفسي، عندما سكنا القصر لأول مرة، دراستي المفضلة هي دراسة الكيمياء التجريبية، و(ورشتي) منذ أن أتينا إلى البندقية، موجودة هنا."

"هذه الكلمات الأخيرة أوضحت رائحة غريبة في الخزان، والتي لاحظناها لحظة دخولنا إليها، لن نتمكن من وصف الرائحة إلا بالقول بأنها ذات شقين، كانت عطرية ضعيفة في تأثيرها الأول، لكن مع انبعاث الرائحة بعد الرائحة في أنوفنا، كانت سخانات وأفران التقطير الخاصة بـ (البارون) وأشياء أخرى موجودة جميعًا للتحدث عن نفسها، جنبًا إلى جنب مع بعض عبوات المواد الكيميائية، التي

تحمل الاسم وعنوان الشخص الذي قدمها، ظاهرين بوضوح على الملصقات عليهم، قال (بارون ريفار): "ليس مكاناً ممتعاً للدراسة، لكن أختي جبانة، لديها رعب من الروائح الكيميائية والتفاعلات، وقد طردتني إلى هذه المنطقة السفلية، حتى لا تُشم تجاربي ولا تسمع."

مد يديه، وقد لاحظنا أنه يرتدي قفازين في المنزل.. قال: "تقع الحوادث في بعض الأحيان، مهما كان الرجل حريصاً، لقد حرقت يدي بشدة أثناء تجربة تركيبة جديدة في ذلك اليوم، وهم يتعافون الآن."

"إننا نذكر هذه الحوادث غير المهمة، من أجل إظهار أن استكشافنا للقصر لم تعرقله أي محاولة للتستر على أي شيء، حتى أنه تم السماح لنا بدخول غرفة سيادتها الخاصة، في مناسبة لاحقة، عندما خرجت لتستنشق الهواء، أوصتنا التعليمات بفحص مسكن سيادته، هذا لأن الخصوصية القصوى لحياته في البندقية، والمغادرة اللافتة للخادمين الوحيدين في المنزل، قد تكون لها علاقة مريبة بطبيعة وفاته، لكن لم نجد أي شيء يبرر الشك."

"فيما يتعلق بأسلوب حياته بعد التقاعد، فقد تحدثنا حول هذا الموضوع مع القنصل والمصرفي، وهما الشخصان الغريبان الوحيدان اللذان عقدا اتصالاً معه، اتصل مرة واحدة بالبنك للحصول على نقود بموجب خطاب الاعتماد الخاص به، واعتذر عن قبول دعوة لزيارة المصرفي في مسكنه الخاص، على أساس الحالة الصحية الحساسة، كتب سيادته عندما أرسل بطاقته إلى القنصل، لإعفاء



نفسه من إعادة زيارة ذلك الرجل إلى القصر شخصياً، لقد رأينا الرسالة، ونرجو أن نقدم النسخة التالية منها."

"مرت سنوات عديدة في الهند أضرت بينيتي الجسدية، لقد توقفت عن الاختلاط بالمجتمع، المهنة الوحيدة في حياتي الآن هي دراسة الأدب الشرقي، إن هواء إيطاليا أفضل بالنسبة لي من هواء إنجلترا، وإلا لم أكن لأغادر المنزل أبداً، أرجو قبول اعتذار طالبٍ وباطل، فقد انتهى الجزء الحي من حياتي."

"يبدو لنا أن العزلة الذاتية لسيادته يمكن شرحها في هذه السطور الموجزة، ومع ذلك، لم نوفر استفساراتنا في هذا الاتجاه كما في الاتجاهات الأخرى، لم يصل إلى علمنا أي شيءٍ خطأ يثير الشك."

"أما بالنسبة لخروج الخادمة، فقد رأينا المرآة لأجورها، حيث ورد صراحةً أنها تركت خدمة السيدة (مونتباري) لأنها كرهت المنطقة، وأرادت العودة إلى بلدها، هذه ليست نتيجة مستغربة من أخذ الخدم الإنجليز إلى أجزاءٍ أجنبية، أبلغتنا الليدي (مونتباري) أنها امتنعت عن توظيف خادمة أخرى نتيجة الكراهية الشديدة التي عبر عنها سيادته لوجود غرباء في المنزل، في حالته الصحية في ذلك الوقت."

"أما اختفاء الساعي (فيراري) فهو في حد ذاته، بلا شك ظرف مشبوه، لم تتمكن سيادتها ولا (البارون) تفسير ذلك؛ ولم يلق أي تحقيق أمكننا إجراءه، الضوء على هذا الحدث، أو برر لنا ارتباطه، بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، بموضوع تحقيقنا، لقد ذهبنا إلى

درجة فحص الحقيبة الجلدية التي تركها (فيراري) وراءه، لكن لم تكن تحتوي إلا على الملابس والقمصان، لا نقود ولا حتى قصاصة من الورق في جيوب الملابس، تبقى الحقيبة في حيازة الشرطة.

"لقد وجدنا أيضًا فرصًا للتحدث على انفراد مع المرأة العجوز التي تشرف على الغرف التي تشغلها سيادتها و(البارون) وقد أوصى بها حارس المطعم الذي قام بتزويد الأسرة بوجبات الطعام طوال فترة إقامتها بالقصر، يتم التحدث عن شخصيتها هناك بشكلٍ إيجابي، لكن لسوء الحظ، فإن ذكاءها المحدود يجعلها لا قيمة لها كشاهدة، تحلينا بالصبر والحذر في استجوابها، ووجدناها مستعدة تمامًا للإجابة علينا؛ ولكن لم نستطع استخلاص أي شيء، يستحق تضمينه في هذا التقرير.

"في اليوم الثاني من استفساراتنا، تشرفنا بإجراء مقابلة مع الليدي (مونتباري).. بدت سيادتها منهكة ومريضة، وبدا وكأنها في حيرة من أمرها لفهم ما نريده منها، قام (البارون ريفار) الذي قدمنا لها، بشرح طبيعة مهمتنا في البندقية، وبذل جهدًا ليؤكد لها أنه كان واجبًا رسميًا بحثًا، نحن منخرطون فيه، بعد أن أراح سيادتها بما يخص هذه النقطة، غادر الغرفة بصمت.

"الأسئلة التي وجهناها للسيدة (مونتباري) تتعلق بشكلٍ رئيسي بالطبع، بمرض سيادته، الإجابات التي أعطيت بتوترٍ شديدٍ في الأسلوب، لكن دون أدنى مظهرٍ من التكم، أبلغتنا بالحقائق التالية:

كان اللورد (مونتباري) خارجًا عن السيطرة لبعض الوقت فيما مضى، عصبيًا وسريع الانفعال، اشتكى أولاً من نزلة بردٍ في 13

تشرين الثاني الماضي؛ قضى ليلته مستيقظاً ومحمومًا، وبقي في الفراش في اليوم التالي، اقترحت سيادتها استدعاء الطبيب، لكنه رفض السماح لها بالقيام بذلك، وأخبرها أنه يمكن بسهولة أن يكون طبيب نفسه في أمرٍ تافهٍ كالزكام، تم صنع بعض عصير الليمون الساخن بناءً على طلبه، بهدف أن يتعرق، وبما أن خادمة الليدي (مونتباري) كانت قد تركتها في ذلك الوقت، خرج الساعي (فيراري) (الذي كان آنذاك الخادم الوحيد في المنزل) لشراء الليمون، صنعت سيادتها الشراب بيديها، كان ناجحًا في إفراز العرق، ونام اللورد (مونتباري) لبضع ساعات بعد ذلك، في وقتٍ لاحقٍ من اليوم، وبعد أن احتاجت إلى خدمات (فيراري) نادته الليدي (مونتباري) لكنه لم يرد على الجرس، بحث (البارون ريفار) عن الرجل، في القصر وخارجه عبثًا، ومنذ ذلك الوقت، لم يتم اكتشاف أي أثرٍ لـ (فيراري).. حدث هذا في 14 تشرين الثاني.

في ليلة الرابع عشر، عادت أعراض الحمى التي صاحبت برد سيادته، ربما كانت تعزى جزئيًا إلى الانزعاج والقلق الناجمين عن اختفاء (فيراري) الغامض، كان من المستحيل إخفاء الظروف، حيث كان سيادته يسأل عن الساعي مرارًا وتكرارًا؛ مصرًا على أن الرجل، يجب أن يريح السيدة (مونتباري) و(البارون) بأخذ مكانهما أثناء الليل بجانب سريره.

"في اليوم الخامس عشر (اليوم الذي أتت فيه المرأة العجوز لأول مرة لأداء الأعمال المنزلية) اشتكى سيادته من التهاب الحلق

ومن شعورٍ بضيق الصدر، في مثل هذا اليوم، ومرة أخرى في يوم السادس عشر، ناشدته سيادتها و(البارون) أن يذهب إلى الطبيب، لكنه ما زال يرفض..

• لا أريد أن أرى وجوهًا غريبة؛ سيأخذ البرد مجراه، بوجود الطبيب وعدمه."  
كان هذا جوابه.

في اليوم السابع عشر، كانت حالته أسوأ بكثير لدرجة أنه تقرر الإرسال لطلب المساعدة الطبية سواءً أحب ذلك أم لا، قام (البارون ريفار) بعد استفسار من القنصل، بتأمين خدمات الطبيب (برونو) المعروف كطبيبٍ بارز في البندقية؛ مع التوصية الإضافية التي تتمثل في إقامته السابقة في إنجلترا، وتعرفه على أشكال العلاج الطبي باللغة الإنجليزية.

"حتى الآن، فإن روايتنا عن مرض سيادته مستمدة من تصريحات السيدة (مونتباري).. سيستمر السرد الآن اعتمادًا على تقرير الطبيب نفسه، المرفق."

"تخبرني مذكراتي الطبية أنني رأيت اللورد الإنجليزي (مونتباري) لأول مرة، في 17 تشرين الثاني، حيث كان يعاني من نوبة حادة من التهاب الشعب الهوائية، وقد ضاع بعض الوقت الثمين، بسبب اعتراضه العنيد على وجود طبيب بجانب سريره، بشكلٍ عام، بدا أنه في حالةٍ صحية حساسة، كان نظامه العصبي معطلًا، كما كان خائفًا ومعارضًا في آنٍ واحد، عندما تحدثت إليه بالإنجليزية، أجاب بالإيطالية؛ وعندما جربته باللغة الإيطالية، عاد إلى الإنجليزية، لم يكن

الأمر مهمًا، فقد وصل المرض بالفعل لمرحلة كبيرة لدرجة أنه لم يكن بإمكانه التحدث سوى بضع كلماتٍ في كل مرة، وتلك التي تهمس.

"باشرت بالعلاج اللازم في الحال، يصاحب البيان الحالي نسخ من وصفاتي الطبية (مع ترجمتها إلى الإنجليزية) وتُترك للتحدث عن نفسها."

"خلال الأيام الثلاثة اللاحقة، كنت في حالة رعايةٍ دائمةٍ لمريضِي، استجاب للعلاج التي قدمته، وكان يتحسن ببطء، لكنه مطمئن، كان بإمكانِي أن أؤكد للسيدة (مونتباري) بضميرٍ حي، أنه لا يوجد خطر حتى ذلك الحين، كانت بالفعل الزوجة الأكثر إخلاصًا، لقد حاولت عبثًا حملها على قبول خدمات ممرضةٍ مختصة؛ لم تسمح لأحد بالاهتمام بزوجها غيرها، ليلاً ونهارًا كانت هذه المرأة التي تستحق التقدير بجانب سريرهِ، في فترات راحتها القصيرة، كان شقيقها يراقب الرجل المريض في مكانها، يجب أن أقول أن هذا الأخ كان رقيقًا جيدًا أيضًا في الفترات التي كان لدينا فيها الوقت للحديث قليلًا، انغمس في الكيمياء، في أقبية القصر الرهيبة تحت الماء؛ وأراد أن يريني بعض تجاربه، قلت أن لدي ما يكفي من الكيمياء في كتابة الوصفات، رفضت، وأخذها بروح الدعابة.

"أنا أبتعد عن موضوعي، دعوني أعود إلى السيد المريض."

"حتى اليوم العشرين، سارت الأمور على ما يرام، لم أكن مستعدًا تمامًا للتغيير الكارثي الذي فرض نفسه، عندما قمت بزيارتي الصباحية للورد (مونتباري) في اليوم الحادي والعشرين، لقد انتكس

وانتكس بشدة، عند فحصه لاكتشاف السبب، وجدت أعراض الالتهاب الرئوي، أي بلغة غير طبية، التهاب مادة الرئتين، كان يتنفس بصعوبة، كما كان قادرًا على ذلك جزئيًا فقط عندما يريح نفسه بالسعال.

أجريت التحقيقات الأكثر صرامة، وتأكدت أنه قد تم إعطاؤه دواءه بعناية كالمعتاد، وأنه لم يتعرض لأي تغيرات في درجة الحرارة، لقد أضفت بتردد كبيرٍ إلى محنة السيدة (مونباري) عندما اقترحت استشارة طبيبٍ آخر، لكنني شعرت بالالتزام لأن أعترف بوجود حاجةٍ حقيقية لوجود طبيبٍ آخر.

"أمرني سيادتها بالقيام بكل ما يلزم، والحصول على أفضل رأيٍ طبيٍّ في إيطاليا مهما كلف الأمر، لحسن الحظ كان أفضل رأيٍ في متناول أيدينا، رأي أول وأهم الأطباء الإيطاليين وهو (توريلو بادوفا).. أرسلت رسوًلاً خاصًاً إلى الرجل العظيم، وصل مساء الحادي والعشرين، وأكد رأيي بأن الالتهاب الرئوي قد ظهر، وأن حياة مريضنا في خطر، أخبرته كيف قمت بعلاج حالته، ووافق على كل التفاصيل، قدم بعض الاقتراحات القيمة، ووافق (بناءً على طلب السيدة مونباري السريع) على تأجيل عودته إلى بادوفا حتى صباح اليوم التالي."

"كلانا رأينا المريض على فتراتٍ متقطعة خلال الليل، المرض الذي تقدم بثبات، وضع مقاومتنا القصى تحت التحدي، في الصباح غادر الطبيب (توريلو).. قال: "لا يمكنني أن أكون أكثر فائدة، لقد تجاوز الرجل كل المساعدة، ويجب أن يعرف ذلك."

"في وقتٍ لاحقٍ من اليوم، حذرت سيدي، بأقصى قدر ممكن من اللطف، من أن وقته قد حان، أعلم أن هناك أسبابًا جدية لذكر ما مر بيننا في هذه المحادثة بالتفصيل، وبدون أي تكتم، وأنا أمثل للطلب."

"تلقي اللورد (مونتباري) نبأ اقترابه من الموت בזكاءٍ تحول إلى رباطة جأشٍ، ولكن مع بعض الشك، أشار لي لأضع أذني على فمه، همس بصوتٍ خافت: هل أنت متأكد؟

لم يكن هناك وقت لخداعه؛ قلت: متأكد بشكلٍ قاطع. انتظر قليلاً، يلهث لالتقاط أنفاسه ثم همس مرة أخرى قائلاً: المس تحت وسادتي.

وجدت تحت وسادته رسالة، مختومة وعليها طابع، جاهزة للبريد، كانت كلماته التالية هي التي سمعتها فقط وليس أكثر: "قم بإرسالها بنفسك."

أجبت بالطبع، أنني سأفعل ذلك، وقد قمت بإرسال الرسالة بيدي، نظرت إلى العنوان، كان موجهًا لسيدة في لندن، الشارع لا أتذكره، الاسم الذي يمكنني تذكره تمامًا؛ كان اسمًا إيطاليًا (السيدة فيراري).

"في تلك الليلة، كاد سيدي أن يموت من الاختناق، لقد نجحت في مساعدته بتخطي ذلك في هذا الوقت؛ وأظهرت عيناه أنه فهمني عندما أخبرته صباح اليوم التالي أنني أرسلت الرسالة، كان هذا آخر جهدٍ له ليكون واعيًا، عندما رأته مرة أخرى، كان غارقًا في

اللامبالاة، ظل في حالة من عدم الإحساس، مدعومًا بالمنشطات، حتى توفي يوم 25 (فاقدًا للوعي تمامًا) مساء ذلك اليوم.

"فيما يتعلق بسبب وفاته، فمن العبث ببساطة طرح السؤال (إذا عذرتوني لقولي ذلك) التهاب الشعب الهوائية، الذي ينتهي بالتهاب رئوي، ليس هناك شك في أن هذا، وهذا فقط، كان المرض الذي فتك به، أكثر من أن اثنين واثنين يساوي أربعة، تمت إضافة ملاحظة الدكتور (توريلو) الخاصة بالحالة هنا إلى جانب نسخة طبق الأصل من شهادتي، من أجل (كما أُبلغت) لإرضاء بعض المكاتب الإنجليزية التي تم فيها تأمين حياة سيادته، لا بد أن المكاتب الإنجليزية قد تم تأسيسها من قبل ذلك القديس الشهير المشكك، المذكور في العهد الجديد (الجزء الثاني من كتاب الإنجيل، واسمه توماس!"  
"تنتهي أدلة الدكتور (برونو) هنا."

"بالعودة للحظة إلى استفساراتنا الموجهة إلى السيدة (مونتباري) يتعين علينا الإبلاغ عن عدم قدرتها على تزويدنا بأي معلوماتٍ حول موضوع الرسالة التي أرسلها الطبيب بناءً على طلب اللورد (مونتباري).. متى كتب سيادته ذلك؟ ماذا تحتوي؟ لماذا احتفظ بها سرًا عن السيدة (مونتباري) وعن (البارون) أيضًا؟ ولماذا يكتب أصلًا لزوجة الساعي؟ هذه أسئلة نجد ببساطة أنه من المستحيل الحصول على أي ردود عليها، يبدو حتى من غير المجدي أن نقول أن الأمر مفتوح للريبة، الشك يعني تخمينًا من نوع ما، والرسالة الموجودة أسفل وسادة السيد، تحير كل تخمين ممكن، قد يؤدي تقديم طلب إلى



السيدة (فيراري) إلى توضيح اللغز، سيتم اكتشاف محل إقامتها في لندن بسهولة من مكتب البريد الإيطالي، جولدن سكوير.

"بعد أن وصلنا إلى نهاية هذا التقرير، علينا الآن أن نلفت انتباهكم إلى الاستنتاج الذي توصلت إليه نتائج تحقيقنا.. يبدو أن السؤال الواضح أمام مديرنا وأنفسنا هو: هل كشف التحقيق عن أي ظروفٍ استثنائية تجعل وفاة اللورد (مونتباري) عرضة للشك؟ كشف التحقيق عن ظروفٍ استثنائية، لا تشوبها شائبة، مثل اختفاء (فيراري) والغياب الملحوظ للخدم عن المنزل، والرسالة الغامضة التي طلب سيادته من الطبيب إرسالها، لكن أين هو الدليل على أن هذه الظروف مرتبطة - بشكلٍ مريبٍ ومباشر - بالحدث الوحيد الذي يهمنا، وهو حدث وفاة اللورد (مونتباري)؟ في حالة عدم وجود أي دليلٍ من هذا القبيل، وأمام أدلة طبيين بارزين، لا يمكن الطعن في البيان الوارد في شهادتهما بأن سيادته مات ميتةً طبيعيةً، ولذلك، فإننا ملزمون بالإبلاغ عن عدم وجود أسباب وجيهة لرفض دفع المبلغ الذي تم ضمان حياة الراحل (اللورد مونتباري) من أجله.

"سنرسل إليكم هذه السطور عبر البريد غدًا، 10 كانون الأول؛ تاركين وقتًا لتلقي تعليماتكم التالية (إن وجدت) ردًا على برقية هذا المساء للإعلان عن اختتام التحقيق."



## الفصل التاسع

"الآن، مخلوقي الجيد، قولي كل ما تريد من قوله مرة واحدة! لا أُرغب أن أستعجلك بلا داعٍ، لكن هذه ساعات عملٍ ولدي شؤون أشخاص آخرين لأهتم بها إلى جانب شؤونك.

مخاطبًا زوجة (فيراري) بروح الدعابة الفظة المعتادة، في هذه العبارات، سجل السيد (تروي) انقضاء الوقت بنظرةٍ سريعةٍ على الساعة على مكتبه ثم انتظر سماع ما لدى موكلته لتقول له.  
بدأت السيدة (فيراري):

- الأمر أكثر من ذلك يا سيدي، بخصوص الرسالة التي تحتوي على ورقة الألف جنيه، لقد اكتشفت من أرسلها لي!

انطلق السيد (تروي) قائلاً:

- هذه أخبار جيدة بالفعل! من أرسل لك الرسالة؟
- أرسلها اللورد مونباري يا سيدي.

لم يكن من السهل مفاجأة السيد (تروي) لكن السيدة (فيراري) سلبته توازنه تمامًا، لبرهة كان ينظر إليها فقط في مفاجأة صامتة..

"هراء!"

قال بمجرد أن استعاد نفسه.

"هناك خطأ ما، هذا غير معقول!"

قالت السيدة (فيراري) بأسلوبها الأكثر تأكيدًا..

• ليس هناك خطأ، أتى إليّ رجلان من مكاتب التأمين هذا الصباح لرؤية الرسالة، لقد كانا في حيرة شديدة، خصوصًا عندما سمعا عن أمر الورقة النقدية بالداخل، لكنهما يعرفان هوية من أرسل الرسالة، وقد أرسلها طيب سيادته في البنديقية بناءً على طلب السيد، اذهب بنفسك إليهما يا سيدي، إذا كنت لا تصدقني، لقد كانا مهذبين بما يكفي لسؤالهما عما إذا كان بإمكانني تفسير ما كتبه اللورد (مونتباري) لي وتفسير إرساله المال إلي، أعطيتهما رأيي مباشرة، أخبرتهما أن ذلك كان من لطف سيادته.

كرر السيد (تروي) في ذهول:

• من لطف سيادته؟

• نعم يا سيدي! إن اللورد (مونتباري) يعرفني، مثل جميع أفراد عائلته، منذ أن كنت في مدرسة المقاطعة في أيرلندا، ولو كان بإمكانه فعل ذلك، لحمى زوجي العزيز المسكين، لكنه كان نفسه عاجزًا بين يدي السيدة و(البارون) والشيء اللطيف الوحيد الذي أمكنه فعله هو إعالي في فترة ترملي، المثال النبيل الحقيقي الذي كان عليه!

قال السيد (تروي):

• تفسيرٌ جميلٌ جدًّا! وما رأي زوارك من مكاتب التأمين في

ذلك؟

• سألوها عما إذا كان لدي أي دليل على وفاة زوجي.

• وماذا قلت؟

• قلت: أعطيتكم خير من برهان، أيها السادة.. أعطيتكم رأيي المؤكد.

• هذا أرضاهم بالطبع!

• لم يقولوا ذلك بالكلمات يا سيدي، نظروا إلى بعضهم البعض، وتمنوا لي صباحًا جيدًا.

• حسنًا يا سيده (فيراري) ما لم يكن لديك المزيد من الأخبار الاستثنائية لي، أعتقد أنني سأتمنى لك صباحًا سعيدًا أيضًا، يمكنني تدوين معلوماتك (معلومات مذهلة للغاية، أنا أعترف) وفي حالة عدم وجود دليل، لا يمكنني فعل المزيد.

• قالت السيدة (فيراري) بإصرار:

• يمكنني أن أقدم لك دليلًا يا سيدي، إذا كان هذا هو كل ما تريده، أريد فقط أن أعرف أولاً، ما إذا كان القانون يبررني في القيام بذلك، ربما تكون قد رأيت في الاستخبارات العصرية بالصحف، أن السيدة (مونتباري) وصلت إلى لندن، في فندق (نيويريز).. أقترح أن أذهب لرؤيتها.

• تفعلين ماذا يا شيطانة! هل لي أن أسأل لأي غرض ستفعلين ذلك؟

أجابت السيدة (فيراري) بصوتٍ غامضٍ خافت للإيقاع بها في الفخ! لن أرسل باسمي، سأدعي أنني شخص يريد لها في عمل،

وستكون الكلمات الأولى التي أقولها لها هي: "أتيت يا سيدي لأؤكد استلام الأموال المرسلة إلى أرملة (فيراري)".

آه! قد تبدأ، سيد (تروي)! كدت أن أسلب عقلك، أليس كذلك؟! خذها ببساطة سيدي، سأجد الدليل الذي يسألني عنه الجميع في وجهها المذنب، دعها تغير لونها بمقدار ظلٍ فقط، دع عينها ترقن للحظة فقط، سأكتشفها! الشيء الوحيد الذي أريد معرفته هو؛ هل يسمح القانون بذلك؟

أجاب السيد (تروي) بجدية:

• القانون يسمح بذلك لكن ما إذا كانت سيادتها ستسمح بذلك، فهذا سؤال آخر تمامًا، هل حقًا لديك الشجاعة الكافية يا سيدة (فيراري) لتنفيذ هذا المخطط الخاص بك؟ لقد وصفتك لي الآنسة (لوكوود) بأنك شخص متوتر وخجول، وإذا كنت أثق في ملاحظتي الخاصة، يجب أن أعترف أنك تطابقين الوصف.

أجابت السيدة (فيراري):

• لو عشت في البلد يا سيدي، بدلاً من العيش في لندن، لرأيت في بعض الأحيان خروفاً ينقلب على كلب، أنا بعيدة كل البعد عن أن أقر بأنني امرأة جريئة، على العكس تمامًا، لكن عندما أقف في حضرة تلك الدنيئة، وأفكر في زوجي المقتول، عندئذٍ الشخص الذي عليه أن يكون خائفًا ليس أنا، أنا ذاهبة إلى هناك الآن يا سيدي، ستسمع كيف ينتهي الأمر، أتمنى لك صباحًا سعيدًا.

بهذه الكلمات الشجاعة، لقت زوجة الساعي معطفها حولها وخرجت من الغرفة.

ابتسم السيد (تروي) بحنان قائلاً: "البغيضة الصغيرة!"  
فكر محدثاً نفسه: "إذا كان نصف ما يقولونه عن السيدة  
(مونتباري) صحيحاً، فإن السيدة (فيراري) وفخها، أمامهما احتمال  
ضعيف جداً، أتساءل؛ كيف سينتهي الأمر؟  
فشلت كل خبرة السيد (تروي) في تحذيره من كيفية انتهاء  
ذلك.





# الفصل العاشر

في ذلك الوقت، تشبثت السيدة (فيراري) بقرارها، ذهبت مباشرةً من مكتب السيد (تروي) إلى فندق نيويورك..

كانت السيدة (مونتباري) في المنزل وحيدة، لكن سلطة الفندق ترددت في مضايقتها عندما وجدت أن الزائرة رفضت ذكر اسمها، صادف أن خادمة سيادتها الجديدة، عبرت القاعة بينما كان الأمر لا يزال محل نقاش، كانت امرأة فرنسية، وبعد شرح المسألة لها، حسمتها بطريقة فرنسية سريعة، سهلة وعقلانية.

"إن مظهر السيدة محترم جداً، وقد يكون لديها أسباب لعدم ذكر اسمها، والتي قد توافق عليها سيدي، على أي حال، لا توجد أوامر تمنع دخول سيده غريبة، الأمر يعود بشكل واضح للسيدة وسيدي، لذلك، هل ستكون السيدة جيدة بما يكفي لتبعتني وتصعد الدرج؟"

على الرغم من قرارها، خفق قلب السيدة (فيراري) كما لو كان سينفجر من صدرها، عندما قادتها موصولتها إلى غرفة انتظار، وطرقت باباً يفتح إلى غرفة خلفها، ولكن من اللافت للنظر أن

الأشخاص ذوي الأعصاب الحساسة، هم الأشخاص القادرون على إجبار أنفسهم - على ما يبدو من خلال ممارسة جهدٍ متقطعٍ من الإرادة - على القيام بالأفعال التي تتسم بأكثر قدرٍ من الشجاعة، قال صوتٌ منخفضٌ خطيرٌ من الغرفة الداخلية: "تعالى."

أعلنت الخادمة وفتحت الباب: "هناك شخص يريد رؤيتك يا سيدتي، في عمل."

وتراجعت على الفور، في اللحظة التي مرت خلالها هذه الأحداث، سيطرت السيدة (فيراري) الصغيرة الخائفة على خفقان قلبها؛ تحطت العتبة، مدركةً يديها المتدلّيتين وشفتيها الجافتين ورأسها الذي كان يحترق؛ ووقفت في حضور أرملة اللورد (مونتباري) في مظهر يعبر عن أنها هادئة تمامًا كسيادتها.

كان الوقت لا يزال مبكرًا من بعد الظهر، لكن الضوء في الغرفة كان خافتًا، تم سحب الستائر، جلست السيدة (مونتباري) وظهرها إلى النوافذ، كما لو كان ضوء النهار الخافت غير مرغوب فيه، لقد تغير مظهرها للأسوأ بشكلٍ محزنٍ، عن اليوم الذي لا يُنسى عندما رآها الدكتور (ويبرو) في غرفة المعاينة الخاصة به، خفت جمالها، وضعف وجهها حتى أصبح مجرد جلدٍ وعظم؛ لكن كان التناقض بين بشرتها المروعة وعينيها السوداوين المتلاثلتين بشدة أكثر روعة من أي وقتٍ مضى، مرتديةً ملابس سوداء كثيفة، معطيةً ارتياحًا بسيطًا لمظهرها بالبياض اللامع لقبعتها، مستلقية في ليونة تشبه ليونة النمر على أريكة صغيرة خضراء، نظرت إلى الشخص الغريب الذي اقتحم غرفتها، في لحظة فضولٍ طفيفة ثم سقطت عيناها عائدة إلى مروحة

اليد التي حملتها بين وجهها والنار، قالت: "أنا لا أعرفك، ماذا تريد مني؟"

حاولت السيدة (فيراري) الإجابة، لقد استنزفت شجاعته الأولى بالفعل، كانت الكلمات الجريئة التي قررت أن تقولها، لا تزال حية في ذهنها، لكنها ماتت على شفيتها.

كانت هناك لحظة صمت، نظرت السيدة (مونباري) حولها مرة أخرى إلى الغريبة الصامتة، سألت: "هل أنت صماء؟"

كان هناك وقفة صمتٍ أخرى، نظرت السيدة (مونباري) مرة أخرى بهدوءٍ إلى مروحتها، وطرحت سؤالاً آخر: "هل تريد المال؟" "المال!"

تلك الكلمة أثارت روح زوجة الساعي الغارقة، استجمعت شجاعته، وعاد صوتها ثم قالت وجراً مفاجئاً اندلعت في شرايينها: "انظري إليّ يا سيدتي، إذا سمحت."

نظرت السيدة (مونباري) إليها للمرة الثالثة، وخرجت الكلمات القاتلة من شفتي السيدة (فيراري).

• جئت يا سيدتي لأؤكد استلام الأموال المرسلة إلى أرملة (فيراري).

ارتكزت عينا الليدي (مونباري) باهتمامٍ شديدٍ على المرأة التي خاطبتها بهذه العبارات، لم يظهر أضعف تعبير عن الارتباك أو الانزعاج، ولا حتى رفرة اهتمامٍ مؤقتة، أثارت سكون وجهها المमित، استعادت وضعيتها بهدوء، حملت المروحة بتماسكٍ، كما كانت طوال الوقت، تم الاختبار وفشل تمامًا.

حل الصمت من جديد، فكرت الليدي (مونتباري).. ظهرت ابتسامة جاءت ببطءٍ ثم اختفت فجأة - ابتسامة حزينة وقاسية للغاية في الوقت نفسه - على شفيتها النحيفتين، رفعت مروحتها وأشارت بها إلى مقعدٍ في أقصى نهاية الغرفة، قالت: "كوني جيدة وخذي هذا الكرسي."

بينما تشعر بالعجز نتيجة لشعورها المحير الأول بالفشل - لا تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل بعد ذلك - أطاعت السيدة (فيراري) كلامها ميكانيكيًا، راقبتها السيدة (مونتباري) ناهضة عن الأريكة للمرة الأولى، بدقة خفية بينما تعبر الغرفة ثم غرقت مرة أخرى في وضعية الاستلقاء، حدثت نفسها قائلة: "لا، المرأة تمشي بثبات؛ إنها ليست ثملة، الاحتمال الوحيد الآخر هو أنها قد تكون غاضبة."

لقد تحدثت بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليتم سماعه، وبعد أن تعرضت لهذه الإهانة، أجابت السيدة (فيراري) على الفور: "لست ثملةً أو غاضبةً أكثر منك!"

قالت ليدي (مونتباري): "لا؟ إذاً أنت وقحة فقط! إن العقل الإنجليزي الجاهل، يميل إلى أن يكون وقحًا في ممارسة الحرية الإنجليزية غير المقيدة، هذا ملحوظ جدًا لنا نحن الأجانب بينكم أيها الناس في الشوارع، بالطبع لا يمكنني أن أكون وقحة معك في المقابل، أنا بالكاد أعرف ما أقول لك، خادمتي كانت غير حكيمة في إدخالك بسهولة إلى غرفتي، أفترض أن مظهرك المحترم قد ضللها، أتساءل؛ من أنت؟ لقد ذكرت اسم الساعي الذي تركنا بغرابة، هل هناك أي احتمال أنه قد تزوج؟ هل أنتِ زوجته؟ أتعلمين أين هو؟

شق سخط السيدة (فيراري) طريقه وحطم جميع القيود،  
تقدمت إلى الأريكة، لم تخف من شيء، في حماسة وغضب ردها..  
• أنا أرملة، وأنت تعرفين ذلك، أيتها المرأة الشريرة! آه! كانت  
ساعة شريرة عندما أوصت الأنسة (لوكوود) زوجي بأن يكون ساعي  
سيادته!"

قبل أن تتمكن من إضافة كلمةٍ أخرى، قفزت السيدة  
(مونتباري) من الأريكة مع مفاجأة قطة خفية، أمسكت بكتفيها،  
وهزتها بقوةٍ وهياجٍ كسيدةٍ مجنونة..  
• أنت تكذابين! تكذابين! تكذابين!

أسقطت قبضتها عند التكرار الثالث للاتهام، ورفعت يديها  
بعنفٍ بإيماءة من اليأس..  
• أوه، يا إلهي! هل هذا ممكن!!?  
صاحت..

• هل يمكن أن يأتي الساعي إلي من خلال تلك المرأة؟  
استدارت مثل البرق نحو السيدة (فيراري) وأوقفها بينما تهرب  
من الغرفة..

• أيتها الحمقاء، أجيبيني! ثقي تمامًا، أنك إذا صرخت  
سأخنقك بيديّ، وحق السماء، اجلسي مرة أخرى، ولا تخشي  
شيئًا.. حقيرة! أنا الخائفة، خائفة من حواسي، اعترفي حاليًا بأنك  
كذبت عندما استخدمت اسم الأنسة (لوكوود) الآن! لا! أنا لا  
أصدقك لو تقسمين، لن أصدق أحدًا سوى الأنسة (لوكوود)

نفسها، أين تعيش؟ أخبريني أيتها الحشرة الصغيرة اللاذعة الضارة، وسأدعك تذهبين.

ارتفعت السيدة (فيراري) وترددت، فرفعت السيدة (مونتباري) يدها بشكلٍ مهدد، وامتدت أصابع طويلة نحيلة وصفراء، بيضاء عند الأطراف، تفلصت السيدة (فيراري) عند رؤيتهم، وأعطتها العنوان، أشارت السيدة (مونتباري) بازدراء إلى الباب ثم غيرت رأيها..

• لا! ليس بعد! ستخبري الآنسة (لوكوود) بما حدث، وقد ترفض رأيي، سأذهب إلى هناك مرة واحدة، وستذهبن معي، إلى باب المنزل، وليس داخله، اجلسي مرة أخرى، سأنادي خادمتي، أديري ظهرك إلى الباب، فوجهك الجبان لا يصلح رأيته!  
قرعت الجرس، وظهرت الخادمة..

• عباءتي وقبعة على الفور!"

أحضرت الخادمة العباءة والقبعة من غرفة النوم.

• عربة عند الباب، قبل أن أتمكن من العد لعشرة!"

اختفت الخادمة، قامت الليدي (مونتباري) بفحص نفسها في الزجاج، ودارت مرة أخرى، مع مفاجأتها الشبيهة بالقطة، إلى السيدة (فيراري).

قالت بسخرية قائمة: "أبدو بالفعل أكثر من نصف ميتة، أليس كذلك؟! أعطني ذراعك."

أخذت ذراع السيدة (فيراري) وغادرت الغرفة.. همست في الطريق إلى الطابق السفلي:

• ليس لديك ما تحشينه ما دمت تطيعين، تركيني عند باب الأنسة (لوكوود) ولا تريني مرة أخرى.

التقيا في القاعة بصاحبة الفندق، قدمت السيدة (مونباري) بلطفٍ رفيقتها..

• صديقتي العزيزة، السيدة (فيراري) أنا مسرور جدًا لرؤيتها.

رافقتها صاحبة الفندق إلى الباب، كانت العربية تنتظر، قالت سيادتها:

• ادخلي أولاً، أيتها السيدة الطيبة (فيراري) وأخبري الرجل إلى أين يذهب.

انطلقوا بالعربة، تغيرت روح الدعابة المتقلبة لليدي (مونباري) مرة أخرى، مع تأوهٍ بؤسٍ خافتٍ، أَلقت بنفسها في العربة، وضاعت في أفكارها المظلمة، متجاهلةً المرأة التي كانت تنحني أمام إرادتها الحديدية كما لو لم تكن تجلس بجانبها، حافظت على صمتٍ شرير، حتى وصلوا إلى المنزل الذي تعيش فيه الأنسة (لوكوود) في لحظة، أيقظت نفسها للحركة، فتحت باب الكابينة، وأغلقتة مرة أخرى على السيدة (فيراري) قبل أن يتمكن السائق من النزول من مكانه.

قالت بينما تدفع للرجل أجره:

• خذ تلك السيدة إلى مسافة ميل أبعد عن طريقها إلى المنزل!

في اللحظة التالية، طرقت باب المنزل..

• هل الأنسة (لوكوود) في المنزل؟

• نعم يا سيدي.

صعدت فوق العتبة، وأغلق الباب عليها.

سأل سائق العربة:

• أي طريق يا سيدي؟

وضعت السيدة (فيراري) يدها على رأسها، وحاولت جمع أفكارها، أيمن أن تترك صديقتها والمحنة إليها؟! لا حول لها ولا قوة في رحمة الليدي مونباري! لا تزال تحاول عبثًا اتخاذ قرار بشأن المسار الذي يجب أن تتبعه، عندما توقف رجلٌ نبيل عند باب الأنسة (لوكوود) ونظر نحو نافذة العربة ورآها.

سأل: "هل أتيت لرؤية السيدة (أغنيس) أيضًا؟"

كان (هنري ويستويك)..

قامت السيدة (فيراري) برفع يديها بامتنانٍ عندما تعرفت إليه.

صرخت قائلة: "ادخل يا سيدي! ادخل مباشرةً، تلك المرأة

المروعة مع الأنسة (أغنيس).. اذهب واحميها!"

سأل (هنري): "أي امرأة؟"

صدمته الإجابة حرفيًا، بدهشةٍ وسخطٍ في وجهه، نظر إلى

السيدة (فيراري) بينما تنطق بالاسم المكروه (الليدي مونباري)..

كان كل ما قاله: "سأرى."

قرع باب البيت، وهو أيضًا بدوره، سُمح له بالدخول.



# الفصل الحادي عشر

"الليدي مونباري، سيدتي."

كانت (أغنييس) تكتب رسالة عندما أذهلتها الخادمة بإعلان اسم الزائرة، رد فعلها الأول هو رفض رؤية المرأة التي تطلعت عليها، لكن الليدي (مونباري) حرصت على أن تتبع كعب الخادمة عن كثب، وقبل أن تتكلم (أغنييس) دخلت الغرفة.

• أرجو أن تعذرني على تطفلي يا آنسة (لوكوود) لكني أود أن أطرح سؤالاً عليك، وأنا مهتمة بهذا الأمر كثيراً، لا أحد يستطيع أن يجيبي عليه إلا أنت.

بنراتٍ مترددة ومنخفضة، وعيناها السوداوان اللامعتان منحنيتان بشكلٍ متواضع على الأرض، افتتحت (الليدي مونباري) المقابلة بهذه الكلمات.

دون إجابة، أشارت (أغنييس) إلى كرسي، كان ذلك كل ما أمكنها فعله في ذلك الوقت، ولم تستطع فعل المزيد، كل ما قرأته عن الحياة الغامضة والشريرة في قصر البندقية، كل ما سمعته عن موت (مونباري) الحزين ودفنه في أرض أجنبية؛ كل ما كانت تعرفه عن سر

اختفاء (فيراري) اندفع إلى ذهنها، عندما واجهتها الشخصية ذات الرداء الأسود، واقفةً عند الباب، أضاف السلوك الغريب لليدي (مونتباري) ارتباكًا جديدًا إلى الشكوك والمخاوف التي أزعجتها، هناك وقفت المغامرة التي تركت شخصيتها بصماتها على المجتمع في جميع أنحاء أوروبا، الساحرة الغاضبة التي أرعبت السيدة (فيراري) في الفندق، تحولت بشكلٍ لا يمكن تصوره إلى امرأةٍ منكمشة تشعر بالخجل! لم تجازف الليدي (مونتباري) في إلقاء نظرة على (أغنيس) منذ أن دخلت الغرفة، تقدمت لأخذ الكرسي الذي تم توجيهه إليها، ترددت ووضعت يدها على العمود لدعم نفسها، وظلت واقفة.. قالت بصوتٍ خافت: "من فضلك أعطني لحظة لأستجمع نفسي".

غرق رأسها في حضنها..

• لقد وقفت أمام (أغنيس) كالجرم الواعي لآثامه أمام قاضٍ لا يرحم.

الصمت الذي أعقب ذلك، كان حرفيًا صمت الخوف من الجانبيين، في وسطه، فُتح الباب مرة أخرى، وظهر (هنري وستويك). نظر إلى (الليدي مونتباري) باهتمامٍ ثابت، انحنى لها بأدبٍ رسمي، ومرّ في صمت، عند رؤية شقيق زوجها، عادت روح المرأة الغارقة للحياة مرةً أخرى، انتصب جسدها المتدلي، التقت عيناها بمظهر (ويستويك) اللامع، ردت انحناءته بابتسامة ازدرائٍ جليدية.

عبر (هنري) الغرفة إلى (أغنيس)..

• هل السيدة (مونتباري) هنا بدعوة منك؟

سأل مهدوء.

• لا.

• هل ترغبين في رؤيتها؟

• إنه لأمر مؤلم للغاية بالنسبة لي، أن أراها.

استدار ونظر إلى أخت زوجته..

• هل تسمعين ذلك؟

سأل ببرود.

أجابت ببرودٍ أكثر: "سمعته."

• زيارتك على أقل تقدير، أتت في توقيت سيئ.

• تدخلك على أقل تقدير، في غير محله.

بهذا الرد، اقتربت (الليدي مونتباري) من (أغنيس).. بدا أن

وجود (هنري ويستويك) أراحها وشجعها..

• اسمح لي أن أطرح سؤالاً يا آنسة (لوكوود).

قالت بلطفٍ بالغ:

• لا يجرئك شيء.. عندما تقدم ساعي البريد (فيراري)

بطلبٍ إلى زوجي الراحل للتوظيف، هل...

خذلها قرارها، قبل أن تتمكن من قول المزيد، غاصت بينما

ترتجف على أقرب كرسي، وبعد لحظة صراع، عادت إلى الورا،

واستأنفت قائلة:

• هل سمحت لـ (فيراري) باستخدام اسمك ليضمن قبولنا به؟

لم تجب (أغنيس) بوضوحها المعتاد، فتذكيرها بـ (مونتباري) من

قبل تلك المرأة كان تافهًا، أربكتها وأثارت غضبها.

قالت:

- أعرف زوجة (فيراري) منذ سنوات عديدة، وأنا أهتم...  
رفعت السيدة (مونتباري) يدها فجأة بإيماءة توصل..
- آه، آنسة (لوكوود).. لا تضيعي الوقت بالحديث عن زوجته! أجيبي بوضوح!  
"دعيني أجيبيها."  
همس (هنري)..
- أتعهد بأن أتحديث بصراحة كافية.

(أغنيس) رفضت بإشارة، إن مقاطعة (ليدي مونتباري) لها قد أيقظت إحساسها بما كان مستحقاً لها، استأنفت ردها بعبارة أوضح.

- عندما كتب (فيراري) إلى الراحل (اللورد مونتباري) ذكر اسمي بالتأكيد.

حتى الآن، فشلت ببراءة في رؤية الشيء الذي شاهدته زائرتها، أصبح نفاذ صبر (الليدي مونتباري) غير قابل للتحكم، وقفت على قدميها وتقدمت إلى (أغنيس).

- سألت: "هل استخدم (فيراري) اسمك بمعرفتك وإذئك؟ غاية سؤالي كلها في هذه النقطة، في سبيل الله أجيبي، نعم أم لا؟!"  
• نعم.

نزلت تلك الكلمة الوحيدة على السيدة (مونتباري) كجلدة ألهمت جسدها، الحياة الشرسة التي أحييت وجهها في اللحظة السابقة، تلاشت منها فجأة، وتركتها كامرأة تحولت إلى حجر، وقفت بشكل ميكانيكي في مواجهة (أغنيس) بهدوء شديد وكامل

لدرجة أنه لم يكن حتى النفس الذي تأخذه محسوسًا بالنسبة للشخصين اللذين كانا ينظران إليها.

تحدث (هنري) معها بقسوة قائلاً:

• أيقظني نفسك، لقد تلقيت إجابتك.  
نظرت إليه..

• لقد تلقيت عقوبتي.

أضافت واستدارت ببطءٍ لتغادر الغرفة.

أوقفتها (أغنيس) مما أدهش (هنري)، وقالت:

• انتظري لحظة يا سيدة (مونتباري).. سأطلب شيئًا، لقد تحدثتِ عن (فيراري).. أود أن أتحدث عنه أيضًا.

حنت السيدة (مونتباري) رأسها في صمت، ارتجفت يدها بينما تخرج منديلها وتمرره على جبهتها، لاحظت (أغنيس) ارتجافها وتراجعت خطوة للوراء، سألت بخجل: "هل الموضوع مؤلم بالنسبة لك؟"

بينما لا تزال صامتة، أشارت لها السيدة (مونتباري) بيدها لأن تبدأ حديثها، اقترب (هنري) بينما يراقب زوجة أخيه باهتمام، واستطردت (أغنيس):

• لم يتم اكتشاف أي أثر لـ (فيراري) في إنجلترا، هل لديك أي أخبارٍ عنه؟ وهل تخبريني إذا سمعت شيئًا، رحمةً لزوجته؟

عادت شفتا (الليدي مونتباري) الرفيعتان فجأةً إلى ابتسامتهما الحزينة والقاسية.. قالت:

- لماذا تسأليني عن الساعي المفقود؟ ستعرفين ما حل به يا (آنسة لوكوود) عندما يحين وقت ذلك.

قالت (أغنيس):

- أنا لا أفهمك، كيف لي أن أعرف؟ هل سيخبرني أحدهم؟
- سيخبرك أحدهم.

لم يعد بإمكان (هنري) الصمت..

- ربما تكونين أنت الشخص؟!!

قاطعها بسخرية مؤدبة..

أجابته بسهولة بالغة:

- قد تكون على حق يا سيد (ويستويك).. في أحد الأيام، قد أكون الشخص الذي يخبر الآنسة (لوكوود) بما حدث لـ (فيراري) إذا...

توقفت وعيناها مثبتتان على (أغنيس)..

سأل (هنري):

- إذا ماذا؟

- إذا أرغمتي الآنسة (لوكوود) على ذلك.

استمعت (أغنيس) بذهول، وكررت:

- أجبرك؟ وكيف سأقوم بذلك؟ هل تقصدين إخباري بأن

إرادتي أقوى من إرادتك؟

هل تقصدين أن تقولي أن الشمعة لا تحرق العثة، عندما تطير

العتة إليها؟

أضافت السيدة (مونباري)..

• هل سمعت عن شيءٍ كالافتتان من الرعب؟ أنا منجذبة إليك بسحرٍ مرعب، ليس لي الحق في زيارتك، ولا أرغب في زيارتك، فأنت عدوي، ولأول مرة في حياتي، رَغْمًا عني، أخضع لعدوي، أنتظر لأنك أخبرتني أن أنتظر، والخوف منك - أقسم بهذا - يزحف في داخلي بينما أقف هنا، أوه.. لا تدعيني أثير فضولك أو شفقتك! كوني كالسيد (ويستويك) قاسية ووحشية، لا ترحمي مثله، أطلقني سراحي، اتركيني كي أذهب.

يمكن لطبيعة (أغنيس) الصريحة والبسيطة أن تكتشف فقط معنى واحدًا واضحًا في هذا الاندلاع الغريب.

قالت: "أنت مخطئة في التفكير بأنني عدوك، الخطأ الذي ارتكبته بحقي عندما أعطيت يدك للورد (مونباري) لم يتم فعله عن قصد، لقد سامحتك عن معاناتي في حياته، أنا أسامحك بحرية أكبر الآن بعد أن رحل."

سمعها (هنري) بمشاعر مختلطة من الإعجاب والضييق..

"لا تقولي أكثر!"

صاح..

• أنت طيبة جدًا معها؛ وهي لا تستحق ذلك.

مرت المقاطعة دون أن تلتفت إليها السيدة (مونباري).. يبدو أن الكلمات البسيطة التي أجابت بها (أغنيس) قد استحوذت على كل اهتمام هذه المرأة المتقلبة بشكلٍ غريب، وبينما كانت تستمع، استقر وجهها ببطءٍ على تعبيرٍ حزينٍ شديدٍ لا يدمع، كان هناك تغييرٌ

ملحوظ في صوتها عندما تحدثت بعد ذلك، عبّر عن ذلك الاستسلام الأخير الأسوأ الفاقد الأمل.

قالت: "أيتها المخلوقة البريئة، ماذا يدفعك لاستغفارك الودود؟ ماذا تساوي أخطاؤك الصغيرة المسكينة عند حساب آثامي العظيمة الغارقة فيها؟ لا أحاول أن أخيفك، أنا فقط أشعر بالبؤس على نفسي، هل تعرفين ما معنى أن يكون لديك شعورٌ راسخٌ بالكارثة القادمة إليك، ومع ذلك تأملين ألا تثبت حقيقة اقتناعك المؤكد؟ عندما التقيت بك لأول مرة، قبل زواجي، وشعرت لأول مرة بتأثيرك علي، كان لدي هذا الأمل، لقد كان نوعاً من الأمل المتعطش الذي عاش في حياتي حتى اليوم، لقد قضيت عليه بضربة، عندما أجبتي سؤالي عن (فيراري).

سألت (أغنيس):

• كيف دمرت آمالك؟ ما العلاقة بين سماحي لـ (فيراري) باستخدام اسمي للورد (مونتباري) والأشياء الغريبة والمخيفة التي تقولونها الآن؟

اقترب الوقت يا آنسة (لوكوود) الذي ستكتشفين فيه الأمر بنفسك، في ذلك الوقت، ستعرفين سر خوفي منك، في أبسط الكلمات التي يمكنني العثور عليها، في اليوم الذي أخذت فيه بظلك منك وأفسدت حياتك - أنا مقتنعة بشدة بذلك - لقد جعلت أداة الانتقام لخطاياي لسنواتٍ عديدةٍ أستحقها.. أوه، لقد حدثت مثل هذه الأشياء قبل الآن! لقد كان أحد الأشخاص وسيلةً لإنضاج الشر الكامن في شخصٍ آخر بكل براءة، أنتِ قمتِ بذلك بالفعل،



وما زال أمامك المزيد لتفعلينه، ما زلت مجبورة، ستأخذيني إلى يوم الحساب، وإلى العقوبة التي ستكون مصيري، سنلتقي مرةً أخرى، هنا في إنجلترا، أو هناك في البندقية حيث توفي زوجي، وسنلتقي للمرة الأخيرة.

على الرغم من إحساسها، على الرغم من تفوقها الطبيعي على الخرافات من جميع الأنواع، تأثرت (أغنيس) بالجديّة الرهيبة التي نُطقت بها هذه الكلمات، شحبت عندما نظرت إلى (هنري) وسألته:

• هل تفهمها؟

أجاب بازدراء:

• لا شيء أسهل من فهمها، إنها تعرف ما حل بـ (فيراري) وهي تربكك بسحابة الهراء هذه لأنها لا تجرؤ على الإدلاء بالحقيقة، اسمحي لها أن تذهب!

لو كان هناك كلب تحت أحد الكراسي ونبح، فلم يكن من الممكن للسيدة (مونتباري) المضي قدمًا بشكلٍ غير قابل للاختراق مع الكلمات الأخيرة التي كان عليها أن تقولها لـ (أغنيس).

قالت: "انصحي السيدة (فيراري) المثيرة للاهتمام بالانتظار لفترة أطول قليلاً، ستعرفين ما حل بزوجها وستخبرينها، لن يكون هناك ما يزعجك، بعض الأحداث التافهة ستجمعنا في المرة القادمة، أجرؤ على القول، كما فعل اتفاق (فيراري).. هراءٌ محزنٌ يا سيد (ويستويك).. أليس كذلك؟! لكنك تلتمس العذر للنساء؛ ففي النهاية كلنا نخذي بالكلام، صباحًا سعيدًا لك يا آنسة (لوكوود).

فتحت الباب فجأة، كما لو كانت تخشى أن تتم مناداتها مرة

ثانية، وتركتهم.

# الفصل الثاني عشر

سألت (أغنيس):

- هل تعتقد أنها مجنونة؟
- أعتقد أنها مجرد شريرة زائفة، مؤمنة بالخرافات، قاسية عن عمد، لكن ليست مجنونة، أعتقد أن دافعها الرئيسي في المجيء إلى هنا هو الاستمتاع برفاهية تخويفك.
- لقد أخافتني، أشعر بالخجل من الاعتراف، لكن الأمر كذلك.

نظر إليها (هنري) مترددًا، وجلس على الأريكة بجانبها قائلاً:

- أنا قلق جدًا عليك يا (أغنيس) ولكن من أجل الحظ الطيب الذي دفعني للمجيء إلى هنا اليوم، ربما فعلت هذه المرأة الحقيرة ما يزعجك إذا وجدتك بمفردك! عزيزتي، أنت تعيشين حياة منعزلة وللأسف غير محمية، لا أرغب أن أفكر في ذلك، أريد أن أراها تتغير، خصوصًا بعد ما حدث اليوم، لا! لا! لا فائدة من إخباري أن لديك ممرضتك العجوز، إنها طاعنة في السن وليست مناسبة لحياتك، لا توجد حماية كافية في رفقة شخص كهذا لسيدة

في مكانك، لا تفهميني بشكلٍ خطأ يا (أغنيس)! ما أقوله، إنما أقوله من صدق إخلاصي لك.

صمت وأخذ يدها، بذلت جهدًا ضعيفًا لسحبها ثم استسلمت، قال متوسلاً:

• متى ستكونين فخر حياتي وفرحتها، طوال ما تبقى منها؟  
ضغط على يدها برفق، لم تحب، جاء اللون وذهب من وجهها، كانت عيناها بعيدتين عنه، فسأل قائلاً:

• هل قمت بالإساءة لك؟

أجابت بصوتٍ هامسٍ تقريبًا:

• لا.

• هل أزعجتك؟

• لقد جعلتني أفكر في الأيام الحزينة التي ولت.

لم تقل أكثر؛ حاولت فقط سحب يدها من يده للمرة الثانية، لا يزال يحتفظ بها، رفعها إلى شفتيه..

• ألا يمكنني أبدًا أن أجعلك تفكرين في أيامٍ أخرى غير تلك، في الأيام السعيدة القادمة؟ أو إذا كان عليك التفكير في الوقت المنقضي، ألا يمكنك الرجوع إلى الوقت الذي أحبتك فيه لأول مرة؟

تنهدت بينما يطرح السؤال، وأجابت بحزن:

• اعفني من الإجابة يا (هنري).. لا تسأل المزيد!

ارتفع اللون مرة أخرى في خديها، ارتجفت يدها في يده، بدت جميلة، وعيناها مرفوعتان، صدرها يرتفع بلطف، في تلك اللحظة، يمكن أن يعطي كل ما لديه في العالم ليأخذها بين ذراعيه ويقبلها، بدا

أن بعض العاطفة الغامضة، التي تمر من يده إلى يدها، تخبرها بما دار في ذهنه، انتزعت يدها بعيداً، وفجأة نظرت إليه، كانت الدموع في عينيها، لم تقل شيئاً؛ تركت عينيها تتحدثان عنها، لقد حذروه، بدون غضبٍ أو قسوة، لكنهم مع ذلك حذروه من الضغط عليها أكثر في ذلك اليوم.

قال بينما ينهض من على الأريكة:

• أخبريني فقط أنك قد غفرت لي.

أجابت بهدوء:

• لقد غفرت لك.

• لم أخفض من مكاني في تقديرك يا (أغنيس).. أليس

كذلك؟!

• أوه، لا!

• هل تريد أن أغادر؟

نهضت بدورها من الأريكة، وسارت إلى طاولة الكتابة قبل أن ترد، كانت الرسالة غير المكتملة التي كتبتها عندما قاطعتها الليدي (مونتباري) مفتوحةً على الطاولة، عندما نظرت إلى الرسالة ثم نظرت إلى (هنري).. الابتسامة التي سحرت الجميع، ظهرت في وجهها.. قالت:

• يجب أن تنتظر قليلاً، لدي شيء أقوله لك، أنا بالكاد أعرف كيف أعبر عن الأمر، ربما تكون أقصر طريقة هي أن أجعلك تكتشف ذلك بنفسك، لقد كنت تتحدث عن حياتي الوحيدة غير

الآمنة هنا، إنها ليست حياة سعيدة للغاية يا (هنري).. أنا أقر بذلك.

توقفت لبرهة، ولاحظت القلق المتزايد في تعبيره بينما ينظر إليها برضا خجول حيره..

• أتعلم أنني توقعت فكرتك؟ سأجري تغييراً كبيراً في حياتي، إذا وافق أخوك (ستيفن) وزوجته على ذلك فقط.

فتحت مكتب طاولة الكتابة أثناء تحدثها، وأخذت خطاباً وسلمته إلى (هنري).. أخذه تلقائياً، الشكوك الغامضة، التي بالكاد يفهمها، أبقتة صامتاً، كان من المستحيل أن "التغيير في حياتها" الذي تحدثت عنه، قد يعني أنها على وشك الزواج، ومع ذلك فقد كان مدرّكاً لإحجام غير معقول تماماً عن فتح الرسالة، التقت أعينهما، ابتسمت مرة أخرى، وقالت:

• انظر إلى العنوان.. يجب أن تعرف خط اليد، لكنني سأجرؤ على القول بأنك لا تعرف.

نظر إلى العنوان، كان الخط كبيراً وغير منتظم، ومن المؤكد أنه خط طفل، فتح الرسالة على الفور..

"عزيزتي العمّة أغنيس، مريتنا سترحل، لقد أصبح لديها نقودٌ وبيتٌ خاص بها، لقد تناولنا الكعك والنيذ احتفالاً بها، لقد وعدت بأن تصبّحي مريتنا إذا أردنا مربية أخرى، نحن نريدك، ماما لا تعرف شيئاً عن هذا، من فضلك تعالي قبل أن تحضر ماما مربية أخرى، محبتك لوسي، التي تكتب هذه، حاولت كلارا وبلانش الكتابة أيضاً، لكنهما أصغر من أن يفعل ذلك، ولطخا الورق."

"ابنة أختك الكبرى."

أوضحت (أغنيس) بينما نظر إليها (هنري) في دهشة..

• اعتاد الأطفال على مناداتي بالعمة عندما كنت أقيم مع والدتهم في أيرلندا، في الخريف، كانت الفتيات الثلاث رفيقاتي اللاتي لا ينفصلن عني، وهن أكثر الأطفال الذين أعرفهم سحرًا، وإنه صحيحٌ تمامًا أنني عرضت أن أكون مربية لهم، إذا أرادوا يومًا ما، في اليوم الذي تركتهم فيه للعودة إلى لندن، كنت أكتب لأقترحها على والدتهم، قبل مجيئك مباشرةً.

• لست جادة!

صاح (هنري).

وضعت (أغنيس) رسالتها غير المكتملة في يده، لقد كُتِب ما يكفي لإظهار أنها اقترحت بجديّة دخول منزل السيد والسيدة (ستيفن ويستويك) كمربية لأطفالهما! لم يكن من الممكن التعبير عن حيرة (هنري) بالكلمات.. قال:

• لن يصدقوا أنك جادة.

سألت (أغنيس) بهدوء:

• لم لا؟

• أنت ابنة عم أخي (ستيفن).. أنت صديقة زوجته القديمة.

• (هنري) هذا واحدٌ من الأسباب ليثقوا بي، ويحملوني

مسؤولية أطفالهما.

• لكنك بمستواها نفسه؛ لست مضطرة لكسب عيشك

بالتدريس، هناك شيءٌ سخيفٌ في دخولك خدمتهما كمربية!

• ما السخيف فيه؟ الأطفال يحبونني، الأم تحبني، أظهر لي الأب أمثلة لا حصر لها عن صداقته الحقيقية واحترامه، أنا المرأة المناسبة للمكان، وفيما يتعلق بتعليمي، لا بد أنني فقدت الذاكرة تمامًا، إذا لم أكن لائقة لتعليم ثلاث فتيات، تبلغ أكبرهن أحد عشر عامًا فقط، أنت تقر بأنني على قدم المساواة، ألا توجد نساء أخريات يعملن كمربيات، وهن متساويات مع من يخدمن؟! علاوة على ذلك، لا أعلم أنني متساوية معهما، ألم أسمع أن أخاك (ستيفن) هو الوريث التالي للقب؟! ألن يكون هو السيد الجديد؟! لا تهتم بالرد علي! لن نناقش ما إذا كنت على صواب أم خطأ في أن أصبح المريضة، سننتظر الحدث، لقد سئمت من وجودي الوحيد غير المجدي هنا، وأحرص على جعل حياتي أكثر سعادة وفائدة، في منزل كل الآخرين الذين أود أن يكون لدي مكان بينهم، إذا نظرت مرة أخرى، فسترى أنني لا أزال أجادل هذه الاعتبارات الشخصية قبل أن أنهى رسالتي، أنت لا تعرف أخاك وزوجته كما أعرفهما، إذا كنت تشك في إجابتهما، أعتقد أن لديهما الشجاعة الكافية والقلب الكافي ليقولا نعم.

استسلم (هنري) دون أن يقتنع.

لقد كان رجلاً، يكره كل الانحرافات الغريبة عن العادة والروتين؛ وشعر بالريبة بشكلٍ خاص من التغيير المقترح في حياة (أغنيس) مع وجود اهتماماتٍ جديدة تشغل عقلها، قد تكون أقل ميلاً للاستماع إليه، في المرة القادمة عندما يبحثها على فعل أمرٍ ما، كان تأثير "الوجود الوحيد غير المجدي" الذي اشتكت منه، تأثيراً واضحاً



لصالحه، بينما كان قلبها فارغاً لكن مع امتلاك بنات أخته له بالكامل، طغت غيوم الشك على آفاقه، كان يعرفهم جيداً بما يكفي لإبقاء هذه الحيرة الأنانية البحتة لنفسه، فسياسة الانتظار هي السياسة التي يجب اتباعها خاصةً مع امرأة حساسة مثل (أغنيس).. إذا أساء مرة إلى رهافة مشاعرها، فقد ضاع، في الوقت الحالي، سيطر على نفسه بحكمةٍ وغير الموضوع.. قال:

• كان لرسالة ابنة أخي الصغيرة تأثير بالفعل، وهو ما لا يفكر الطفل في كتابته، لقد ذكرني للتو بأحد الأشياء التي أتيت لأجلها اليوم.

نظرت (أغنيس) إلى خطاب الطفل، وسألت:

• كيف تفعل (لوسي) ذلك؟

أجاب (هنري):

• مربية (لوسي) ليست الشخص الوحيد المحظوظ الذي ترك

له المال، هل ممرضتك العجوز في المنزل؟

• ألا تقصد أن تقول أن الممرضة حصلت على إرث؟

• لقد حصلت على مائة جنيه، نادي (أغنيس) بينما أريك

الرسالة.

أخذ حفنة من الرسائل من جيبه ونظر فيها بينما قرعت

(أغنيس) الجرس، وعندما عادت إليه، لاحظت وجود رسالة مطبوعة

بين البقية، كانت مفتوحة على الطاولة، إنها (نشرة) عنوانها (شركة

فندق القصر في البندقية المحدودة).. الكلمتان (القصر، والبندقية)

ذكرتها على الفور بالزيارة غير المرحب بها لليدي (مونتباري)..

سألت: "ما هذا؟"

مشيرة إلى العنوان..

قطع (هنري) بحثه ونظر في النشرة قائلاً:

• تكهنات واعدة حقًا، تجني الفنادق الكبيرة دائمًا أرباحًا وفيرة، إذا ما تمت إدارتها بشكل جيد، أعرف الرجل الذي تم تعيينه ليكون مديرًا لهذا الفندق عند افتتاحه للجمهور؛ ولدي ثقة كاملة فيه لدرجة أنني أصبحت أحد المساهمين في الشركة.

يبدو أن الرد لم يرض (أغنيس) وتساءلت:

• لماذا يسمى الفندق (فندق القصر)؟

نظر إليها (هنري) ورد على الفور على دافعها الأساسي لطرح

السؤال قائلاً:

• نعم، إنه القصر الذي استأجره (مونتباري) في البندقية؛ وقد تم شراؤه من قبل الشركة ليتم تحويله إلى فندق.

ابتعدت (أغنيس) بصمت، وجلست على كرسي في أقصى طرف من الغرفة، لقد خيب أملها (هنري).. كان دخله باعتباره الابن الأصغر ليس بالضخم، وتعلم هذا جيدًا، حتى مع جميع الإضافات التي يمكن أن يضيفها إليه من خلال المضاربة الناجحة في البورصة، لكن مع ذلك كان لديها أسباب تكفي لرفض محاولته جني الأموال من المنزل الذي توفي فيه شقيقه، عاد (هنري) إلى أوراقه، غير قادرٍ على فهم هذه النظرة العاطفية البحتة لمسألة تجارية بسيطة، مع بعض الحيرة من التغيير المفاجئ في أسلوب (أغنيس) معه.

بمجرد أن وجد الرسالة التي كان يبحث عنها، ظهرت المريضة، نظر إلى (أغنييس) متوقفاً أنها ستتحدث أولاً، لم ترفع نظرها أبداً حتى عندما جاءت المريضة، تركت الأمر لـ (هنري) ليخبر المرأة العجوز بالأمر الذي استدعاها لأجله إلى غرفة المعيشة.. فقال:

• حسناً ممرضتنا، لقد حل عليك الحظ المفاجئ، لقد ترك لك إرث بقيمة مائة جنيه.

لم تظهر المريضة أي علامة ابتهاج، لقد انتظرت قليلاً حتى يستقر إعلان الإرث في ذهنها ثم قالت بهدوء:

• سيد (هنري).. من يعطيني هذا المال، إذا سمحت؟

• أخي الراحل (اللورد مونتباري) يمنحك إياه.

نظرت (أغنييس) على الفور، مهتمة بالموضوع لأول مرة، وتابع (هنري) قائلاً:

• يترك الورثة وصيته للخدم القدامى من العائلة الباقين على قيد الحياة، هناك خطاب من محاميه يصرح لك بتقديم طلب إليهم للحصول على المال.

في كل طبقة من طبقات المجتمع، الامتنان هو أندر الفضائل البشرية، أما في فئة الممرضات، فهو نادرٌ للغاية، ظل رأيها في الرجل الذي خدع سيدتها وهجرها كما هو، ولم يتأثر أبداً بظروف الإرث العابرة تلك.

قالت: "أتساءل؛ من دكر سيدي بالخدم القدامى؟ لا أظن أن قلبه سيتذكرهم وحده!"

تدخلت (أغنيس) فجأة، الطبيعة التي تمت الرتبة دائماً تمنح مخزوناً إضافياً للتحكم في المزاج كعنصرٍ أساسيٍّ، يدخل في تكوين أرق النساء اللاتي على قيد الحياة، لكن حتى (أغنيس) قد تغضب في مناسباتٍ نادرة، ويبدو أن وجهة نظر المرضة تجاه شخصية (مونتباري) قد استفزتها بما يفوق قدرتها على التحمل، فاندلعت قائلة:

• إذا كان لديك أي إحساسٍ بالخجل، يجب أن تخجلي مما قلته للتو! نكرانك للجميل يثير اشمئزازي، سأتركك لتحدث معها يا (هنري).. بالتأكيد لن تمنع في ذلك!

مع هذا الإيحاء الملحوظ بأنه أيضاً ترك مكانه المعتاد الجيد في نظرها، غادرت الغرفة.

تلقت المرضة التأنيب الذكي الذي وجه إليها برد فعلٍ غريب، ينم عن الشعور بالتسلية، وعندما أُغلق الباب، غمزت هذه الفيلسوفة ل (هنري) وعلقت:

• هناك قوة من العناد لدى الفتيات، الآنسة (أغنيس) لن تعتبر أن سيدي شخص سيئ، حتى بعد أن هجرها، وها هي الآن لطيفة بعد وفاته، قل كلمة ضده، وستشتعل كما ترى، كل العناد! سيبلى مع مرور الوقت، تمسك بها يا سيد (هنري).. تمسك بها!

• لا يبدو أنها أزعجتك.

• هي؟

كررت المرضة في دهشة:

• أتزعجني هي؟ أنا أحبها في نوبات غضبها، تذكرني بها عندما كانت طفلة، ليباركك الرب! عندما أذهب لأتمنى لها ليلة سعيدة، ستقبلني قبلة كبيرة المسكينة وتقول: لم أكن أقصد ذلك يا ممرضتي! بخصوص هذا المال يا سيد (هنري).. لو كنت أصغر سنًا، لأنفقتة على الملابس والمجوهرات، لكنني الآن، ماذا أفعل بإرثي عندما أحصل عليه؟!

• ضعيتهم في الفوائد، تحصلين على الكثير من المال مقابل ذلك في العام، كما تعلمين.

• على كم سأحصل؟

• إذا استثمرت مئة جنيهه، فستحصلين على ما بين ثلاثة وأربعة جنيهات في السنة.

هزت الممرضة رأسها، ثلاثة أو أربعة جنيهات في السنة؟ هذا لن يفعل شيئًا! أريد أكثر من ذلك، انظر هنا يا سيد (هنري).. أنا لا أهتم بهذا المال، لم أحب قط الرجل الذي تركه لي، رغم أنه أخوك، إذا فقدت كل شيء غدًا، فينبغي ألا أحطم قلبي؛ أنا بحالة جيدة بما يكفي، لذا سأتركه كما هو لبقية أيامي، يخبروني أنك مضارب، ضعني في مكان جيد، هناك يا عزيزي! العنق أو لا شيء، وأما من أجل الاستثمار! طقطقت أصابعها للتعبير عن ازدرائها لأمن الاستثمار بنسبة 3 في المائة.

أخرج (هنري) نشرة شركة فندق البنديقية، وقال:

• أنت امرأة عجوز مضحكة.

• عندك، أيها المضارب المحطم، لا يوجد شيء بالنسبة لك! يجب أن تبقي الأمر سرًّا عن الآنسة (أغنيس).. لست متأكدة على الإطلاق أنها ستوافق على مساعدتي لك في هذا الاستثمار.

أخرجت المريضة نظارتها.. ستة في المائة، مضمونة، قرأت.. "ويملك المديرون كل الأسباب للاعتقاد بأن 10 في المائة أو أكثر، سيجنونها المساهمون من قبل الفندق في النهاية" ..

"أضفني إلى الأمر يا سيد هنري! وبحق السماء اترك وصية بالفندق لأصدقائك أينما ذهبت!"

وهكذا شاركت المريضة، وتبعت خطى (هنري) الاستغلالي لتجني فوائد مالية أيضًا من المنزل الذي توفي فيه اللورد (مونتباري).

مر ثلاثة أيام قبل أن يتمكن (هنري) من زيارة (أغنيس) مرة أخرى، في ذلك الوقت، كانت السحابة الصغيرة بينهما قد ولت تمامًا، استقبلته (أغنيس) بأكثر من لطفها المعروف، وكانت في حالة معنوية أفضل من المعتاد، تم الرد على رسالتها إلى السيدة (ستيفن ويستويك) بالبريد؛ وقد تم قبول اقتراحها بفرح، مع تعديل واحد، كان من المقرر أن تزورهم لمدة شهر، وإذا أحببت حقًا تعليم الأطفال، فستكون حينها مربية وعمة وابنة عم، وكل ذلك في مكان واحد، وكان عليها أن ترحل فقط في حال تابع أصدقائها في أيرلندا إصرارهم على إتمام زواجها.

قالت لهنري:

• لقد كنت على حق.

لا يزال متشككًا، فسأل:

- هل أنت ذاهبة حقاً؟
- أجل، ذاهبة الأسبوع المقبل.
- متى سأراك مرة أخرى؟
- أنت تعلم أنك مرحب بك دائماً في منزل أخيك، يمكنك رؤيتي عندما تريد.

مدت يدها ثم أكملت:

- اعذرني لتركك، لقد بدأت في حزم أمتعتي بالفعل.
- حاول (هنري) تقبيلها عند الفراق، لكنها تراجعت مباشرة،

فقال:

- لم لا؟ أنا ابن عمك.
- لا أحب ذلك.

نظر إليها (هنري) واستسلم، كأن رفضها منحه امتيازاً كابن عم، لقد كان بشكلٍ غير مباشر عملاً مشجعاً له كشخصية حبيبها. في اليوم الأول من الأسبوع الجديد، غادرت (أغنيس) لندن في طريقها إلى أيرلندا، كما أثبت الحدث، لم يكن مقدرًا لها أن تكون هذه نهاية رحلتها، لم يكن الطريق إلى أيرلندا سوى المرحلة الأولى على طريق دائريّ، طريق أدى إلى القصر في البندقية.





## القسم الثالث



## الفصل الثالث عشر

في ربيع عام 1861، تمركزت (أغنيس) في منزل صديقيها الريفية، اللذين تمت ترقيتهما الآن (بعد وفاة اللورد الأول، بدون نسل) ليكونا اللورد والسيدة (مونتباري) الجديدين، لم تفصل الممرضة العجوز عن سيدتها، تم العثور على مكانٍ يناسب وقتها وحياتها في المنزل الأيرلندي اللطيف، كانت سعيدة جدًا في عالمها الجديد، وقد أنفقت أرباح النصف الأول من عامها من شركة فينيسيا للفنادق، ببراعةٍ مميزة، في هدايا للأطفال.

كما استسلم مديرو مكاتب التأمين على الحياة في مطلع العام للظروف، ودفَعوا عشرة آلاف جنيه، بعد ذلك مباشرةً، غادرت أرملة اللورد (مونتباري) الأول - أو بالأحرى، الأرملة الليدي (مونتباري) - إنجلترا مع (بارون ريفار) إلى الولايات المتحدة، تم الإعلان عن تجارب (البارون) في الأقسام العلمية للصحف لتكون تحقيقًا في الحالة الحالية للكيمياء التجريبية في الجمهورية الأمريكية العظيمة، وأبلغت شقيقته المستفسرين من أصدقائها، أنها رافقته على أمل العثور على العزاء والسلوان في تغيير المكان بعد الفجيرة التي حلّت عليها، عند

سماعها هذا الخبر من (هنري ويستويك) - الذي كان يزور منزل شقيقه حينها - أدركت (أغنيس) شعورًا معينًا من الارتياح، وقالت:

• مع المحيط الأطلسي بيننا، لقد انتهيت بالتأكيد من تلك المرأة الرهيبة الآن!

بالكاد مر أسبوع على نطق هذه الكلمات، قبل وقوع حدث يذكر (أغنيس) بـ (المرأة الرهيبة) مرة أخرى.

في ذلك اليوم، ارتباطات (هنري) أجبرته على العودة إلى لندن، لقد غامر، في صباح يوم مغادرته، بالضغط على (أغنيس) مرة أخرى؛ وقد أثبت الأطفال، كما كان متوقعًا، أنهم عقبات بريئة في طريق نجاحه، من ناحية أخرى، قام بشكلٍ خاص بتأمين حليف قوي من جانب زوجة أخيه، قالت السيدة (مونتباري) الجديدة:

• تحلى ببعض الصبر، واتركني لأحول تأثير الأطفال في الاتجاه الصحيح، إذا كانوا يتمكنون من إقناعها بالاستماع إليك، فسوف يفعلون!

رافقت السيدتان (هنري) وبعض الضيوف الآخرين الذين ذهبوا في الوقت نفسه إلى محطة السكة الحديد، وكانوا قد عادوا إلى المنزل للتو عندما أعلنت الخادمة أن أحدًا باسم (رولاند) ينتظر لمقابلة سيادتها.

• هل هي امرأة؟

• نعم يا سيدي.

التفتت السيدة الصغيرة (مونتباري) إلى (أغنيس) وقالت:

• هذه هي المرأة ذاتها، التي اعتقد محاميك أنها من المحتمل أن تساعد، عندما كان يحاول تعقب البريد المفقود.

• تقصدين الخادمة الإنجليزية التي كانت مع الليدي (مونتباري) في البندقية؟

• عزيزتي! لا تتحدث عن أرملة (مونتباري) البشعة بالاسم الذي هو اسمي الآن، لقد ربت أنا و(ستيفن) لمناداتها بلقبها الأجنبي قبل زواجها، أنا (سيدة مونتباري) وهي (الكونتيسة).. بهذه الطريقة لن يكون هناك لبس، نعم لقد كانت السيدة (رولاند) في خدمتي قبل أن تصبح خادمة الكونتيسة، كانت شخصًا جديرًا بالثقة تمامًا، مع عيبٍ واحد أجبرني على طردها، مزاجها الكئيب أدى إلى شكاوى دائمة في قاعة الخدم، هل تودين رؤيتها؟

قبلت (أغنيس) الاقتراح، على أملٍ ضعيفٍ في الحصول على بعض المعلومات لزوجة الساعي، قبلت السيدة (فيراري) الهزيمة الكاملة لكل محاولات تتبع الرجل المفقود على أنها نهائية، لقد كست نفسها عن عمد في حداد أرملة؛ وكانت تكسب رزقها من عملٍ حصلت عليه من لطف (أغنيس) الذي لا ينضب في لندن، والآن يبدو أن الفرصة الأخيرة لاختراق لغز اختفاء (فيراري) تعتمد على ما يمكن أن تقوله زميلته السابقة، بتوقعات عظيمة، تبعت (أغنيس) صديقتها إلى الغرفة التي كانت تنتظر فيها السيدة (رولاند).

نفضت امرأة عظامها بارزة طويلة، في خريف الحياة، بعينين غارقتين، وشعرٍ رمادي حديدي، بصلايةٍ عن كرسيها، وحيّت السيدتين بخضوعٍ صارمٍ عندما فتحتا الباب، كان من الواضح أنها

تتمتع بشخصية لا تشوبها شائبة، ولكن ليس من دون عيوب واضحة، حواجب كثيفة وعريضة، صوت عميق ومهيب، أسلوب قاسٍ ومستقيم، غياب تام في شكلها للمنحنيات المتموجة المميزة لجنسها.. كلها عبّرت عن الفضيلة في هذه السيدة الممتازة في أقل جوانبها جاذبية، اعتاد الغرباء، في أول لقاء لها، أن يتساءلوا: لماذا لم تكن رجلاً؟!!!

- هل أنت بخير يا سيدة (رولاند)؟
- أنا كما أتوقع أن أكون يا سيدتي، وقت حياتي.
- هل هناك أي شيءٍ يمكنني القيام به من أجلك؟
- سيادتك يمكن أن تقدمي لي معروفًا عظيمًا، لو تحدثتِ عن شخصيتي عندما كنت في خدمتك، فقد عُرض عليّ مكان لأقوم بخدمة سيدة مريضة، جاءت مؤخرًا للعيش في هذا الحي.
- آه، نعم لقد سمعت عنها، قيل أنها السيدة (كاربوري) مع ابنة أختٍ جميلةٍ جدًا، لكن سيدة (رولاند) لقد تركت خدمتي منذ وقتٍ ليس بقصير، ستتوقع السيدة (كاربوري) بالتأكيد أن ترجعي إلى آخر سيدةٍ كنت تعملين معها.

وميض من السخط الفاضل، أشعّ عيني السيدة (رولاند) الغارقة، سعلت قبل أن تجيب، وكأن (سيدتها الأخيرة) عالقة في حلقتها..

- لقد أوضحت للسيدة (كاربوري) مسبقًا يا سيدتي، أنه لا يمكنني حقًا منح آخر شخص خدمته، لقب سيدتي في وجود سيادتك! وقد غادرت إنجلترا إلى أمريكا، تدرك السيدة (كاربوري)

أنني تركت الشخص بمحض إرادتي وتعرف السبب، وهي موافقة على سلوكي حتى الآن، كلمة من سيادتكم ستكون كافية بشكل كبير لتيسير الموقف لي.

• حسنًا يا سيدة (رولاند) ليس لدي أي اعتراض على أن أكون مرجعك، في ظل هذه الظروف، ستجدني السيدة (كاربوري) في المنزل غدًا حتى الساعة الثانية صباحًا.

• السيدة (كاربوري) ليست بحالة جيدة بما يكفي لمغادرة المنزل يا سيدي، وستأتي ابنة أختها (الآنسة هالدين) وتجري الاستفسارات، إذا لم يكن لدى سيادتكم أي اعتراض.

• ليس لدي أدنى اعتراض، ابنة الأخ الجميلة تحمل معها الترحيب الخاص بها، انتظري لحظة يا (سيدة رولاند).. هذه السيدة هي (الآنسة لوكوود) ابنة عم زوجي وصديقي، إنها حريصة على التحدث إليك عن الساعي الذي كان في خدمة اللورد (مونباري) الراحل في البندقية.

قطبت السيدة (رولاند) جبينها في رفضٍ شديد لموضوع المحادثة الجديد..

• يؤسفني سماع ذلك يا سيدي.

كان هذا كل ما قالت.

• ربما لم يتم إبلاغك بما حدث بعد مغادرتك البندقية!

غامرت (أغنيس) بالإضافة..

• غادر (فيراري) القصر سرًا؛ ولم يسمع عنه منذ ذلك الحين.

أغمضت السيدة (رولاند) عينيها بغموض، كما لو كانت تستبعد رؤية الساعي المفقود الذي كان من طبيعته إزعاج امرأة محترمة..

• لا شيء مما قد يفعله السيد (فيراري) سيفاجئني. ردت بأعمق نبراتها.

قالت (أغنيس):

• أنت تتحدثين عنه بقسوةٍ إلى حدِّ ما.

فتحت السيدة (رولاند) عينيها فجأة مرة أخرى، وقالت:

• لا أتحدث بقسوة عن أحد من دون سبب، لقد تصرف السيد (فيراري) معي يا آنسة (لوكوود) كما لم يتصرف أي رجلٍ على قيد الحياة، قبل أو بعد.

• ماذا فعل؟

أجابت السيدة (رولاند) بنظرة رعبٍ صخرية:

• أخذ حرثته معي.

انقلبت السيدة الصغيرة (مونتباري) فجأة جانبًا، ووضعت منديلها على فمها بينما تتشنج من الضحكات المكبوتة.

واستطردت السيدة (رولاند) مستمتعة بالحيرة التي أحدثها ردها

في (أغنيس):

• وعندما أصررت على الاعتذار يا آنسة، كان جريئًا بشكلٍ كافٍ ليقر بأن الحياة في القصر كانت مملّة، ولم يعلم كيف يسلي نفسه!

قالت (أغنيس):



- أخشى أن يكون ما قصدت ليس واضحًا، أنا لا أتحدث إليك من منطلق أي اهتمامٍ بـ (فيراري).. هل تعلمين أنه متزوج؟
- قالت السيدة (رولاند):
- أشفق على زوجته.
- تابعت (أغنيس):
- إنها بشكلٍ طبيعي، تشعر بالحزن الشديد عليه.
- تدخلت السيدة (رولاند) قائلة:
- عليها أن تشكر الله لأنها تخلصت منه، لا تزال (أغنيس) مستمرة، أنا أعرف السيدة (فيراري) منذ طفولتها، وحريصة بصدق على مساعدتها في هذا الأمر.. هل لاحظت أي شيءٍ أثناء وجودك في البندقية، من شأنه أن يفسر الاختفاء غير العادي لزوجها؟ بأي نوعٍ من المصطلحات، على سبيل المثال، هل عاش مع سيده وسيدته؟
- قالت السيدة (رولاند):
- من حيث الإمام بسيدته، الأمر الذي كان ببساطة مقززًا لخدّام إنجليزي محترم، أنها كانت تشجعه على التحدث معها عن كل شؤونه، كيف كان يتعامل مع زوجته، ومدى الضغط عليه من أجل المال، وما شابه، تمامًا كما لو كانا متساويين، هذا ما اعتبره.
- تابعت (أغنيس):
- وسيدته؟ كيف تعامل (فيراري) مع اللورد (مونتباري)؟
- أجابت السيدة (رولاند):
- سيدي كان يعيش صامتًا في مكتبه وأحزانه.

وبوقارٍ شديد، أعربت عن احترامها ذكرى سيادته.

"حصل السيد (فيراري) على ماله في وقته؛ ولم يهتم بأي شيءٍ آخر، لو كان بإمكانه تحمل التكاليف، فسأغادر المكان أيضًا؛ لكنني لا أستطيع تحمل ذلك."

كانت هذه الكلمات الأخيرة التي قالها في الصباح عندما غادرت القصر، لم أقم بأي رد، بعد ما حدث (في تلك المناسبة الأخرى) وبشكلٍ طبيعي، لم أكن على تواصل مع السيد (فيراري).

• هل يمكنك حقًا إخباري بأي شيءٍ يلقي أي ضوءٍ على هذا الأمر؟

قالت السيدة (رولاند):

• لا شيء.

باستمتاع غير مقنع بخيبة الأمل التي كانت تسببها.

استأنفت (أغنيس) حديثها قائلة:

• كان هناك فرد آخر من العائلة في البندقية.

بينما كانت مصرة على كشف أكبر قدر من الحقائق حالما سنحت لها الفرصة.. "كان هناك بارون ريفار".

رفعت السيدة (رولاند) يدها الكبيرة المغطاة بقفازٍ أسود اللون بال، كاحتجاجٍ صامت على إدخال (البارون ريفار) كموضوعٍ للتحقيق، واستهلت قائلة:

• هل تعلمين يا آنسة، أنني تركت المكان نتيجةً لما لاحظته...؟

أوقفتها (أغنيس) هناك، وأوضحت..

• أردت فقط أن أسأل عما إذا كان هناك أي شيء قاله أو فعله (بارون ريفار) والذي قد يفسر السلوك الغريب لـ (فيراري)!  
 قالت السيدة (رولاند):

• لا أعرف شيئاً سوى أن ما حدث بين (البارون) والسيد (فيراري) - إذا صح لي استخدام مثل هذا التعبير - كان يدل أن "الطيور على أشكالها تقع" بقدر ما استطعت أن أرى، أعني كان أحدهما بلا مبادئ تماماً كالآخر، أنا امرأة عادلة، وسأعطيك مثلاً، قبل يومٍ من مغادرتي، سمعت (البارون) يقول من خلال باب غرفته المفتوح بينما كنت أعبر الممر: "فيراري، أريد ألف جنيه، ماذا تفعل مقابل ألف جنيه؟" وسمعت السيد (فيراري) يجيب: "أي شيء يا سيدي، ما دام أمري لا يُكتشف" ثم انفجرا ضاحكين، لم أسمع أكثر من ذلك، واحكمي بنفسك يا آنسة.

ربطت (أغنيس) أفكارها للحظة، ألف جنيه هو المبلغ نفسه الذي تم إرساله إلى السيدة (فيراري) في الرسالة المجهولة، هل النتيجة أن تلك اللعبة مرتبطة بأي شكلٍ من الأشكال بالمحادثة بين (البارون، وفيراري)؟ كان من غير المجدي الضغط على السيدة (رولاند) بشأن أي استفساراتٍ أخرى، كما أنها أقرت بأنها لا تستطيع إعطاء مزيدٍ من المعلومات التي لها أدنى أهمية للموضوع المعروض، لم يكن هناك بديلٌ سوى الإذن لها بالمغادرة، لقد بُذل جهد آخر للعثور على أثر للرجل المفقود، وفشل مرة أخرى.

كان هناك حفلة عائلية على مائدة العشاء في ذلك اليوم، الضيف الوحيد المتبقي في المنزل، هو ابن شقيق (اللورد مونباري)

الجديد، الابن الأكبر لأخته (الليدي بارفيل) ولم تستطع (الليدي مونباري) مقاومة سرد قصة الهجوم الأول والأخير على فضيلة السيدة (رولاند) بتقليدٍ هزليٍّ دقيق لصوت السيدة (رولاند) العميق والكثيب، وعندما سألتها زوجها عن الأمر الذي جلب هذه السيدة الرهيبة إلى المنزل، ذكرت بطبيعة الحال الزيارة المتوقعة من الأنسة (هالدين).. سمع هذا (آرثر بارفيل) الذي كان صامتًا بشكلٍ غير معتاد ومنشغلًا طوال السهرة، ودخل في المحادثة فجأةً وبحماسٍ شديدة، قال:

• الأنسة (هالدين) هي الفتاة الأكثر سحرًا في أيرلندا! رأيتها أمس، من فوق جدار حديقته بينما كنت أركب الحصان، في أي وقتٍ ستأتي غدًا؟ قبل الثانية؟ سأدخل إلى غرفة الرسم بالصدفة، سأموت لأتعرّف إليها!

كانت (أغنيس) مستمتعةً بحماسته، فسألت:

• هل وقعت في حب الأنسة (هالدين) بالفعل؟!

أجاب (آرثر) بجدية:

• ليس الأمر مزاحًا، لقد بقيت طوال اليوم عند جدار الحديقة، في انتظار رؤيتها مرة أخرى! الآن يعتمد الأمر على الأنسة (هالدين) لتجعلني أسعد أو أسوأ رجل على قيد الحياة.

• أنت فتى أحرق! كيف يمكنك التحدث بمثل هذا الهراء؟!

كان يتحدث بلا معنى، ولكن لو كانت (أغنيس) تعرف ما سيحدث فقط، فقد كان يفعل شيئًا أكثر من الهراء، لقد قادها ببراءة إلى مرحلةٍ أخرى أقرب في طريقها إلى البندقية.

## الفصل الرابع عشر

مع تقدم شهور الصيف، شارف تحول قصر البندقية إلى فندقٍ حديث على الانتهاء وبشكلٍ سريع.

في قرارٍ حكيم، تُرك الجزء الخارجي من المبنى، بواجهته الرائعة المطلة على القناة دون تغيير، أما في الداخل، وعلى سبيل الضرورة، تم إعادة بناء الغرف تقريبًا، على الأقل فيما يتعلق بحجمها وترتيبها، تم تقسيم الصالون الشاسع إلى (شقق) تحتوي على ثلاث أو أربع غرف، توفر الممرات العريضة في المناطق العليا مساحة احتياطية كافية لصفوف من غرف النوم الصغيرة، المخصصة للخدم والمسافرين ذوي الموارد المحدودة، لم يدخر شيئًا سوى الأرضيات الصلبة والأسقف المنحوتة بدقة، هذه الأخيرة، في ظل الحفاظ على جودة الصناعة، تتطلب فقط التنظيف وإعادة البناء هنا وهناك لتضيف بشكلٍ كبير إلى جمال وأهمية أفضل الغرف في الفندق، الاستثناء الوحيد لإعادة التنظيم الكامل للداخل، كان عند أحد طرقي المبنى، في الطابقين الأول والثاني، هنا يحدث، في كل جهة، أن تقام بعض الغرف ذات الحجم المعتدل نسبيًا، ومزينة بشكلٍ جذاب للغاية، لدرجة أن

المهندس المعماري، اقترح تركها كما هي، اكتشف بعد ذلك أن هذه لم تكن سوى الشقق التي كان يشغلها سابقًا اللورد (مونتباري) في الطابق الأول، و(البارون ريفار) في الطابق الثاني، كانت الغرفة التي مات فيها (مونتباري) لا تزال مجهزة كغرفة نوم، وتم تصنيفها الآن كرقم أربعة عشر، الغرفة التي فوقها، التي نام فيها (البارون) أخذت مكانها في سجل الفندق كرقم ثمانية وثلاثين، مع الزخارف على الجدران والأسقف نظيفة ومشرقة، ومع استبدال الأسرة والكراسي والطاولات الثقيلة القديمة بأثاثٍ حديثٍ مشرق، جميل وفاخر، وهاتان الغرفتان كانتا في آنٍ واحدٍ الأكثر جاذبية والأكثر راحة في الفندق، أما الطابق الأرضي من المبنى الذي كان مهجورًا ومهملاً، تم تحويله الآن، إلى غرفٍ طعامٍ رائعة، وغرف استقبال، وغرف (بلياردو) وغرف تدخين، مما جعله قصرًا بحد ذاته، حتى الأقبية التي تشبه الأبراج المحصنة الموجودة أسفله، والتي تمت إضاءتها وتثبيتها الآن وفقًا للخطة الحديثة الأكثر اعتمادًا، تم تحويلها كما لو كان سحرًا إلى مطابخ ومكاتب للخدم وغرف ثلجٍ وأقبية نبيذ، يستحق روعة لقب (أضخم فندق في إيطاليا) منذ سبعة عشر عامًا مضت.

بعد مرور شهر الصيف في البندقية، إلى انقضاء شهر الصيف في أيرلندا، الجدير بالذكر بعد ذلك أن السيدة (رولاند) حصلت على وظيفة خدمة السيدة (كاربوري) المريضة؛ وأن السيدة (هالدين) الجميلة، كامرأة قيصر، جاءت واحتلت قلوب كل من في منزل اللورد (مونتباري) الجديد في أول زيارة لها.

صخبَت السيدات في مدحها كـ (آرثر بارفيل) نفسه، أعلن اللورد (مونتباري) أنها كانت المرأة الجميلة الوحيدة التي رآها على الإطلاق، والتي كانت غير واعية حقًا لجاذبيتها الخاصة، أقرت المريضة العجوز بأنها بدت وكأنها قد خرجت للتو من لوحة فنية، ولم تكن تريد شيئًا سوى إطارٍ مذهبٍ حولها لإكمالها، من جانبها عادت الأنسة (هالدين) من زيارتها الأولى إلى (مونتباريز) مفتونةً بمعارفها الجدد، وفي وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه، ذهب (آرثر) وقدم الفاكهة والزهور للسيدة (كاربوري) مع تعليمات ليسألها عما إذا كانت في حالةٍ جيدة بما يكفي لاستقبال اللورد والسيدة (مونتباري) والأنسة (لوكوود) في اليوم التالي، في غضون أسبوعٍ، كانت الأسترتان على علاقةٍ ودية، السيدة (كاربوري) التي كانت محصورة على الأريكة بسبب مرض في العمود الفقري، تعتمد حتى الآن على ابنة أختها في واحدة من الملذات القليلة التي يمكن أن تستمتع بها، وهي متعة قراءة أفضل الروايات الجديدة لها عند ظهورها، اكتشف (آرثر) ذلك، تطوع لإراحة الأنسة (هالدين) على فترات، في مهمة القارئ، لقد كان ذكيًا في جميع أنواع الاختراعات الميكانيكية، وأدخل تحسينات على أريكة السيدة (كاربوري) وفي وسائل نقلها من حجرة النوم إلى غرفة المعيشة، مما خفف من معاناة السيدة المسكينة، وأضفى البهجة على حياتها الكئيبة، مع المحاولات للحصول على امتنان العمدة، مدعومة بالمزايا الشخصية التي يمتلكها بلا شك، طور (آرثر) علاقته بسرعة مع ابنة الأخ الساحرة، لا داعي للقول بأنها كانت مدركة تمامًا أنه يجبها بينما كان هو نفسه متحفظًا بشكلٍ متواضع بشأن

الموضوع، سار في الأمر تمامًا بالقدر الذي سمحت الكلمات، لكنها لم تكن سريعة بالقدر نفسه في اختراق طبيعة مشاعرها تجاه (آرثر).. أما السيدة المريضة وعند مشاهدتها الشاين بالمراقبة الشديدة، المركزة عليهما التي فرضتها عليها العزلة الكاملة لحياتها، اكتشفت علامات حساسية، أثارت الأنسة (هالدين) في وجود (آرثر) والتي لم تظهر مسبقًا أبدًا في علاقاتها الاجتماعية مع المعجبين الآخرين الذين كانوا حريصين على التقرب منها.

بعد أن استخلصت السيدة (كاربوري) استنتاجاتها الخاصة على انفراد، اغتنمت أول فرصة مواتية (لصالح آرثر) لاختبارهم. قالت ذات يوم:

• لا أعرف ما سأفعل عندما يرحل (آرثر)!  
نظرت الأنسة (هالدين) بسرعة بينما كانت تعمل، وصرخت قائلة:

• بالتأكيد لن يتركنا!  
• عزيزتي! لقد أقام بالفعل في منزل عمه لمدة شهرٍ أطول مما كان ينوي، يتوقع والده وأمه بطبيعة الحال رؤيته في المنزل مرةً أخرى. واجهت الأنسة (هالدين) هذه العقبة باقتراحٍ، من المحتمل أنه تقدم بحكم الارتباك من ويلات العاطفة الرقيقة، فسألت:

• لماذا لا يستطيع والده ووالدته القدوم لرؤيته عند اللورد مونتباري؟ منزل السير (ثيودور) يبعد ثلاثين ميلًا فقط، والسيدة (بارفيل) هي أخت اللورد (مونتباري).. لا يحتاجان إلى الرسمية.  
قالت السيدة (كاربوري):



- قد يكون لديهما ارتباطات أخرى.
- عمتي العزيزة، لا نعرف ذلك! فلتسألني (آرثر)؟
- فلتسألني أنت؟

حنت الآنسة (هالدين) رأسها مرة أخرى لتكمل عملها، وفجأة كما حدث، رأت عمتها وجهها، ووجهها قد خانها.

عندما جاء (آرثر) في اليوم التالي، قالت السيدة (كاربوري) كلمةً على انفراد بينما كانت ابنة أختها في الحديقة، تركت آخر رواية جديدة مهملة على الطاولة، تبع (آرثر) الآنسة (هالدين) في الحديقة، وفي اليوم التالي، كتب خطابًا إلى المنزل، مرفقًا بصورة الآنسة (هالدين).. وقبل نهاية الأسبوع، وصل (السير ثيودور) و(الليدي بارفيل) إلى منزل (اللورد مونتباري) وأعطوا حكمهم الخاص الذي جزم بدقة الصورة، لقد تزوجوا هم أنفسهم في وقتٍ مبكرٍ من حياتهم، وليس من الغريب القول أنهم لم يعترضوا من حيث المبدأ على الزيجات المبكرة لأشخاصٍ آخرين، وبهذا يتم التخلص من مسألة العمر، وهكذا مسار الحب الحقيقي، لم يكن لديه أي عقباتٍ أخرى لمواجهتها، كانت الآنسة (هالدين) طفلةً وحيدة، وتمتلك ثروة كبيرة، أما (آرثر) فكانت مهنته في الجامعة جديدة بالثقة، لكنها بالتأكيد ليست رائعة بما يكفي لتقديم انسحابه من مركزه في ضوء كارثة، بصفته الابن الأكبر لـ (السير ثيودور).. منصبه قد تم تحديده بالفعل، كان في الثانية والعشرين من عمره، والفتاة في الثامنة عشرة من عمرها، لم يكن هناك حقًا سبب معقول لإبقاء العاشقين ينتظران، أو عذر لتأجيل يوم الزفاف إلى ما بعد الأسبوع الأول من شهر أيلول،

في الفترة التي سيعقب فيها العروسان في الجولة الحتمية إلى الخارج، تطوعت أخت السيدة (كاربوري) للبقاء معها أثناء الانفصال المؤقت عن ابنة أخيها، وفي ختام شهر العسل، كان من المقرر أن يعود الزوجان الشابان إلى أيرلندا، وأن يثبا إقامتهما في منزل السيدة (كاربوري) الفسيح والمريح.

تم البت في هذه الترتيبات في أوائل شهر آب، في التاريخ نفسه تقريباً، وتم الانتهاء من التعديلات الأخيرة في القصر القديم في البندقية، وتجفيف الغرف بالبخار، الأقبية كانت مجهزة، جمع المدير حوله جيشاً من الخدم الماهرين؛ وقد تم الإعلان عن افتتاح الفندق الجديد في جميع أنحاء أوروبا ليتم في شهر تشرين الأول.

# الفصل الخامس عشر

(من الآنسة لوكوود إلى السيدة فيراري)

"لقد وعدت أن أقدم لك بعض المعلومات يا عزيزتي (إميلي) حول زواج السيد (آرثر بارفيل) والآنسة (هالدين).. حدث ذلك بعد عشرة أيام، لكن كان لدي الكثير من الأشياء التي يجب أن أعتني بها في غياب سيد وسيدة هذا المنزل، لدرجة أنني لم أتمكن أن أكتب إليك لليوم.. الدعوات لحضور حفل الزفاف، اقتصرت على أفراد العائلة من كلا الجانبين، بسبب اعتلال صحة عممة الآنسة (هالدين) إلى جانب عائلة (مونتباري) كان هناك بعض الحاضرين، إلى جانب اللورد والسيدة (مونتباري) و(السير ثودور) و(الليدي بارفيل).. السيدة (نوريري) التي قد تتذكرينها وهي الأخت الثانية لسيادته، والسيد (فرانسيس ويستويك) والسيد (هنري ويستويك).. حضرت أنا والأطفال الثلاثة الحفل كوصيفات الشرف، انضمت إلينا سيدتان صغيرتان، ابتاع عم العروس، تتسمان باللطف، كانت فساتيننا بيضاء ومزينة بالأخضر تكرمًا لأيرلندا، وكل منا لديها سوار ذهبي جميل، قدم لنا كهديفة من العروس الذكر، إذا أضفت إلى

الأشخاص الذين ذكرتهم بالفعل، كبار السن من عائلة السيدة (كاربوري) والخدم القدامى من كلا المنزليين - الذين يتمتعون بامتياز شرب صحة المتزوجين في الطرف الأخير من الغرفة - سيكون لديك قائمة الشركة في حفل الزفاف كاملة.. كان الطقس رائعًا، والحفل مع الموسيقى رائعًا، أما بالنسبة للعروس، فلا توجد كلمات يمكن أن تصف جمال مظهرها، أو كيف قامت بكل شيء بشكل جيد، كنا سعداء للغاية في وجبة الإفطار، وخرجت الخطب بشكل جيد بما يكفي، الخطاب الأخير، قبل تفكك الحفل، ألقاه السيد (هنري ويستويك) وكان الأفضل على الإطلاق، قدم اقتراحًا سعيدًا، في النهاية، أدى إلى تغيير غير متوقع بالمرة في حياتي هنا.. كما أتذكر، اختتم بهذه الكلمات: في النقطة الأولى، كلنا متفقون، أننا نشعر بالحزن لقرب ساعة الفراق، ويجب أن نكون سعداء للقاء مرة أخرى، لماذا لا نلتقي مرة أخرى؟ هذا هو وقت الخريف من العام، ومعظمنا يغادر المنزل لقضاء الإجازات، ما رأيكم - إذا لم يكن لديكم ارتباطات تمنع اقتراحي - في الانضمام إلى أصدقائنا الشباب المتزوجين قبل انتهاء جولتهم، وتحديد النجاح الاجتماعي لهذا الفطور اللذيذ بمهرجان آخر تكريمًا لشهر العسل؟ يذهب العروسان إلى ألمانيا والتيروول في طريقهما إلى إيطاليا، أقترح أن نسمح لهما بقضاء شهر ثم نرتب لمقابلتهما بعد ذلك في شمال إيطاليا، لنقل في البندقية.

قوبل هذا الاقتراح بتصفيق كبير، وتحول إلى صيحات ضحك من قبل شخص متحمس، لم يكن سوى ممرضتي العجوز العزيزة، في

اللحظة التي نطق فيها السيد (ويستويك) كلمة (البندقية) انطلقت بين الخدم في الطرف السفلي من الغرفة، وصرخت بأعلى صوتها:

• اذهبوا إلى فندقنا، أيها السيدات والسادة! نحصل على ستة في المائة، على أموالنا بالفعل؛ وإذا كنتم ستشغلون المكان وتطلبوا الأفضل من كل شيء، فستكون 10 في المائة بجيوبنا في وقتٍ قصيرٍ جدًا، أسألوا السيد (هنري)!

استأنف السيد (ويستويك) بهذه الطريقة التي لا تقاوم، ولم يكن لديه خيار سوى توضيح أنه كان قلقًا بصفته مساهمًا في شركة فنادق جديدة بالبندقية، وأنه استثمر مبلغًا صغيرًا من المال للممرضة - ليس بشكلٍ كبيرٍ كما اعتقد - في الاستثمار، عند سماع ذلك، قام الحضور مازحين، بشرب نخب جديد: "النجاح لفندق الممرضة، وزيادة سريعة في الأرباح!"

عندما عادت المحادثة في الوقت المناسب إلى السؤال الأكثر جدية حول الاجتماع المقترح في البندقية، بدأت الصعوبات في الظهور، بسبب دعوات الخريف التي قبلها العديد من الضيوف بالفعل، كان اثنان فقط من أفراد عائلة السيدة (كاربوري) لهما الحرية في الاحتفاظ بالموعد المقترح، من جانبنا كنا أكثر في أوقات الفراغ للقيام بما يحلو لنا، قرر السيد (هنري ويستويك) الذهاب إلى البندقية قبل البقية لاختبار الإقامة في الفندق الجديد يوم الافتتاح، تطوعت السيدة (نوربيري) والسيد (فرانسيس ويستويك) لاتباعه؛ وبعد بعض الإقناع، وافق اللورد والسيدة (مونتباري) على نوعٍ من التسوية، لم يكن بإمكان سيادته توفير الوقت الكافي للرحلة إلى البندقية، لكنه

رتب مع السيدة (مونتباري) لمرافقة السيدة (نوريري) والسيد (فرانسيس وستويك) في طريقهما إلى إيطاليا وصولاً إلى باريس فقط، وبعد خمسة أيام، غادروا للقاء رفاقهم في لندن، يتركني هنا مسؤولاً عن الأطفال الثلاثة الأعماء، لقد توسلوا بشدة بالطبع لأن يذهبوا مع "بابي ومامي" لكن كان القرار أنه من الأفضل ألا يقاطع تقدم تعليمهم، وعدم تعريضهم - وخصوصاً الفتاتين الأصغر - لإرهاق السفر.

لقد تلقيت رسالة ساحرة من العروس هذا الصباح، مؤرخة في كولونيا، لا يمكنك أن تتخيلي كيف تؤكد لي سعادتها بجمالٍ ورقي، بعض الناس كما يقولون في أيرلندا، ولدوا للحظ الطيب، وأعتقد أن (آرثر بارفيل) هو واحد منهم.

"عندما تكتسي في المرة التالية، أمل أن أسمع أنك في صحة ومعنويات أفضل، وأنت لا تزالين تحبين عملي، صديقي، مع حي صديقتك أ.ل."

كانت (أغنيس) قد أغلقت لتوها رسالتها ووجهتها، عندما دخلت أكبر تلميذاتها الغرفة بإعلانٍ مذهل عن وصول خادم اللورد (مونتباري) من باريس! انزعاجها من فكرة حدوث مصيبة، جعلها تهرع لمقابلة الرجل في القاعة، أخبره وجهها عن مدى جدية خوفها قبل أن تتمكن من الكلام، سارع بقول: "لا يوجد شيء سيئ يا آنسة، سيدي وسيدتي يستمتعان في باريس، ويريدان أن تكوني أنتِ والفتيات معهما فقط."

قال هذه الكلمات الرائعة، وسلم إلى (أغنيس) رسالة من  
(الليدي مونتباري).  
(قرأت)..

"عزيزتي (أغنيس) أنا مفتونة جداً بالتغيير المبهج في حياتي، لقد  
مرت ست سنوات، أتذكر منذ أن سافرت لآخر مرة في القارة، لقد  
بذلت كل سحري لإقناع اللورد (مونتباري) بأن أذهب إلى البندقية،  
والأهم هو أنني نجحت بالفعل! لقد ذهب للتو إلى غرفته لكتابة  
خطابات الاعتذار اللازمة في الوقت المناسب لإرسال البريد إلى  
إنجلترا، أتمنى أن تحظين بزواج جيد يا عزيزتي، عندما يحين وقتك! في  
غضون ذلك، الشيء الوحيد الذي أريده الآن، أن أكمل سعادتي،  
بأن تكوني معنا أنت وأطفالي الأعزاء.. (مونتباري) بائس من دوهم  
مثلي، رغم أنه لا يعترف بذلك بشكل واضح، لن تواجهك أي  
صعوبات، سيقوم (لويس) بتوصيل هذه الرسائل المستعجلة، وسيعتني  
بك خلال الرحلة إلى باريس، قبلي الأطفال من أجلي ألف مرة، ولا  
تكرثني لتعليمهم في الوقت الراهن! قومي بحزم أمتعتك على الفور يا  
عزيزتي، وسأكون مولعاً بك أكثر من أي وقت مضى، صديقتك  
الحنون.. أديلا مونتباري."

طوت (أغنيس) الرسالة؛ وشعرت بالحاجة لأن تدرك ما يحدث  
حولها، فلجأت لبضع دقائق في غرفتها.

بعد إحساسها الطبيعي بالدهشة والإثارة من احتمال الذهاب  
إلى البندقية، شعرت بانطباعات من النوع الأقل قبولاً، مع استعادة  
رباطة جأشها المعتادة، جاءت الذكرى غير المرحب بها لكلمات

الفراق التي قالتها أرملة (مونتباري): "سنلتقي مرة أخرى، هنا في إنجلترا، أو هناك في البنديقية حيث توفي زوجي، وسنلتقي للمرة الأخيرة."

كانت صدفة غريبة، على أقل تقدير، أن مسيرة الأحداث، يجب أن تأخذ (أغنييس) بشكل غير متوقع إلى البنديقية، بعد أن قلت تلك الكلمات! هل كانت المرأة ذات التحذيرات الغامضة والعينين السوداوين الجامحتين، لا تزال على بعد آلاف الأميال في أمريكا أم أن مسيرة الأحداث أخذتها بشكل غير متوقع أيضًا في رحلتها إلى البنديقية؟

قامت (أغنييس) من على كرسيها بينما تشعر بالخجل حتى من التنازل اللحظي عن الخرافات التي ينطوي عليها مجرد وجود مثل هذه الأسئلة في ذهنها.

قرعت الجرس، ونادت تلاميذها الصغار، أعلنت اقتراب مغادرتهم للمنزل، فرحة الأطفال الصاخبة، والتشجيع المجهد لحزم أمتعتهم بسرعة، أثارا طاقاتها، لقد محت الشكوك السخيفة من اعتبارها، بالازدراء الذي يستحقونه، عملت كما يمكن للنساء فقط أن يعملن، عندما تكون قلوبهن في ما يفعلونه، وصل المسافرون إلى دبلن بذلك اليوم، في الوقت المناسب للقارب إلى إنجلترا، وبعد مرور يومين، كانوا مع اللورد والليدي (مونتباري) في باريس.



## القسم الرابع



# الفصل السادس عشر

كان ذلك في العشرين من شهر أيلول فقط، عندما وصلت (أغنييس) والأطفال إلى باريس، السيدة (نوريري) وشقيقها (فرانسيس) قد بدأ بالفعل رحلتها إلى إيطاليا، قبل ثلاثة أسابيع على الأقل من التاريخ الذي كان من المقرر افتتاح الفندق الجديد فيه لاستقبال المسافرين.

الشخص المسؤول عن هذه المغادرة المبكرة، هو (فرانسيس وستويك).

مثل شقيقه الأصغر (هنري) قام بزيادة موارده المالية من خلال مشروعه الخاص وبراعته؛ مع اختلاف أن تكهناته كانت مرتبطة بالفنون، كان قد كسب المال، في المقام الأول، من صحيفة أسبوعية؛ وبعد ذلك استثمر أرباحه في مسرح بلندن، هذا المشروع الأخير، الذي تم إجراؤه بشكلٍ مثير للإعجاب، كافأه الجمهور بتشجيعٍ ثابت وليبرالي، إثر تفكيره في شكلٍ جديدٍ من الجاذبية المسرحية لموسم الشتاء المقبل، قرر (فرانسيس) إحياء الذوق العام الضعيف لـ (الباليه) من خلال الترفيه عن اختراعه، والجمع بين الاهتمام الدرامي

والرقص، وبناءً عليه، هو الآن يبحث عن أفضل راقصة (تمتلك من عوامل الجذب، الشخصية التي لا غنى عنها) والتي يمكن أن يجدها في مسارح القارة، سمع من مراسليه الأجانب عن امرأتين، حققنا ظهورًا أولاً ناجحًا، واحدة في ميلانو، والأخرى في فلورنسا، وهكذا رتب لزيارة تلك المدن، وللحكم على مزايا الراقصتين بنفسه، قبل أن ينضم إلى العروسين، أخته الأرملة، والتي لديها أصدقاء في فلورنسا، تتوق لرؤيتهما، رافقته بسهولة، بقيت عائلة (مونتباري) في باريس، حتى حان الوقت ليظهروا أنفسهم في اجتماع العائلة بالبنديقية، وجد (هنري) أنهم ما زالوا في العاصمة الفرنسية، عندما وصل من لندن في طريقه لافتتاح الفندق الجديد.

ضد نصيحة (الليدي مونتباري) انتهز الفرصة لتجديد علاقته مع (أغنيس) لم يكن بإمكانه أن يختار وقتًا غير مرغوب فيه لمتابعة قضيته معها، كان لابتهاج باريس - غير المفهوم تمامًا لها، وكذلك لجميع من كان حولها - تأثيرٌ محبطٌ على معنوياتها، لم يكن لديها مرض تشكو منه؛ شاركت عن طيب خاطر في الملاهي المعروضة التي تعاقبت وتنوعت باستمرار عارضةً للغرباء ببراعةٍ بالغة أكثر الناس حيوية في العالم، لكن لم يثرها شيء؛ ظلت تشعر بالملل باستمرار ومرهقة خلال كل شيء، في هذا الإطار الذهني والجسمي، لم تكن في روح الدعابة لتلقي خطابات (هنري) في التوقيت السيئ برضا، أو حتى بصبر، لقد رفضت بوضوح وبشكل نهائي، الاستماع إليه، سألت بفضافة:

• لماذا تذكرني بما عانيت؟ ألا ترى أنه ترك بصماته علي مدى الحياة؟! الحياة؟!!

قال (هنري):

• اعتقدت أنني أصبحت أفهم شيئًا عن النساء بحلول هذا الوقت.

وناشد (الليدي مونباري) لتواسيه..

• لكن (أغنييس) تحيرني تمامًا، لقد مضى عام على وفاة (مونباري) وهي مكرسة تفكيرها لذكراه كما لو أنه مات مخلصًا لها، لا تزال تشعر بفقدانه، كما لم يشعر أحد منا به!

أجابت (الليدي مونباري) قائلة:

• إنها أصدق امرأة، تنفست أنفاس الحياة على الإطلاق، تذكر ذلك، وستفهمها، هل يمكن لامرأة مثل (أغنييس) أن تمنح الحب أو ترفضه حسب الظروف لأن الرجل كان لا يستحقها؟ هل كان أقل من اختيارها؟ كانت أصدق وأفضل صديقة له في حياته على الرغم من عدم استحقاقه، فهي بطبيعة الحال ستظل الصديق المخلص والأفضل لذاكرته الآن، إذا كنت تحبها حقًا، انتظر وثق بأعز صديقين لك، بالوقت وبي، ها هي نصيحتي، ودع تجربتك تقرر ما إذا كانت هذه ليست أفضل نصيحة يمكنني تقديمها، استأنف رحلتك إلى البندقية غدًا؛ وعندما تغادر (أغنييس) تحدث معها بلطفٍ كما لو لم يحدث شيء.

اتبع (هنري) هذه النصيحة بحكمة، فهمته (أغنييس) جيدًا، وودعته بودٍ ولطفٍ من جانبها، عندما توقف عند الباب لإلقاء نظرة

أخيرة عليها، أدارت رأسها على عجل حتى تخفي وجهها عنه، هل كانت هذه علامة جيدة؟!

قالت (ليدي مونباري) التي رافقت (هنري) أسفل الدرج:

• نعم بالتأكيد! اكتب لنا عندما تصل إلى البندقية، سننتظر لتلقي رسائل من (آرثر) وزوجته، وسنقوم بالرحيل إلى إيطاليا وفقاً لذلك.

مر أسبوع ولم تصل أي رسالة من (هنري) ثم بعد بضعة أيام، تم استلام بريقة منه، وإرسالها من ميلانو بدلاً من البندقية؛ وقد حملت هذه الرسالة الغريبة:

"لقد غادرت الفندق، سأعود عند وصول (آرثر) وزوجته، العنوان في غضون ذلك، ألبيرغو ريبالي، ميلانو."

بتفضيله البندقية على جميع مدن أوروبا الأخرى، وبعد أن قام بالترتيبات للبقاء هناك حتى يتم اجتماع العائلة، ما الحدث غير المتوقع الذي دفع (هنري) لتغيير خطته؟ ولماذا ذكر الحقيقة المجردة دون إضافة كلمة شرح واحدة؟ دع السرد يتبعه، واعثر على إجابات تلك الأسئلة في البندقية.

# الفصل السابع عشر

تم الاحتفال بفندق القصر، الذي دعا إلى تشجيع المسافرين الإنجليز والأمريكيين بشكلٍ أساسي، بافتتاح أبوابه بإقامة مأدبة كبيرة، وإلقاء سلسلةٍ طويلةٍ من الخطب.

تأخر (هنري ويستويك) في رحلته، ولم يصل إلى البندقية إلا في الوقت المناسب لينضم إلى الضيوف لتناول القهوة والسيجار، لاحظ روعة غرف الاستقبال، ولاحظ بشكلٍ خاص المزيج الرائع من الراحة والفخامة في غرف النوم، وبدأ في مشاركة نظرة المرضة العجوز حول المستقبل، والتفكير بجديّة في العائد القادم بنسبة 10 في المائة، كان الفندق يبدأ بشكلٍ جيد، على جميع المقاييس، لقد أثار اهتمام الكثيرين بالمشروع، في الداخل والخارج، من خلال الإعلانات الغزيرة، حيث تم حجز الإقامة الكاملة للمبنى من قبل المسافرين من جميع الدول ليلة الافتتاح، حصل (هنري) على واحدة فقط من الغرف الصغيرة في الطابق العلوي، نتيجة حادث حظ، وهو غياب الرجل النبيل الذي كان قد حجزها، لقد كان راضيًا تمامًا، وفي طريقه إلى

الفرش، عندما غيّر حادث آخر توقعاته في تلك الليلة، ونقله إلى غرفة أخرى أفضل.

بينما كان صاعدًا في طريقه إلى الأجزاء الأعلى حتى الطابق الأول من الفندق، جذب انتباهه صوتٌ غاضبٌ يمتج، بلهجة نيو إنجلاند القوية، على واحدة من أعظم المصاعب التي يمكن أن يتعرض لها مواطن من مواطني الولايات المتحدة، وهي مشقة إرساله إلى الفرش دون مصباح غازٍ في غرفته.

الأمريكيون ليسوا فقط أكثر من يكرم الضيف على وجه الأرض، إنهم أيضًا - في ظل ظروفٍ معينة - أكثر الناس صبرًا، لكنهم بشرًا! وقد تم تجاوز حد التحمل الأمريكي في مؤسسة عفا عليها الزمن من وراء إضاءة غرفة النوم، رفض المسافر الأمريكي - في هذه الحالة - التصديق بأن غرفة نومه كانت جاهزة تمامًا من دون مصباح غاز، عندها أشار المدير إلى الزخارف العتيقة الجميلة (المجددة والمتجددة) على الجدران والسقف، وأوضح أن انبعاث ضوء الغاز المحترق سيفسدها بالتأكيد في غضون بضعة شهور، فأجاب المسافر أن ذلك ممكن إلا أنه لا يفهم بالديكورات.. غرفة نوم تحتوي على مصباح يعمل، كانت هي ما اعتاد عليه وما يريد، وما كان مصرًا على الحصول عليه، تطوع المدير الذي امتثل لرغبته لسؤال رجلٍ نبيلٍ آخر، ينزل في الطابق العلوي الأدنى بالمستوى - والذي كان مضاءً بالكامل بالغاز - لتغيير الغرف، عند سماعه ذلك، ولأنه كان مستعدًا تمامًا لاستبدال حجرة النوم الصغيرة بأخرى كبيرة، تطوع (هنري) ليكون الرجل الآخر، صافحه الأمريكي الأصلي في الحال، وقال:



"أنت شخصٌ متحضر يا سيدي، ولا شك أنك ستقدر هذه الديكورات."

نظر (هنري) إلى رقم الغرفة على الباب حين فتحها، كان الرقم (14).

شعر بالتعب والنعاس، ومن الطبيعي أنه يتوقع ليلة نوم هانئة، في الحالة الصحية الممتازة لنظامه العصبي، كان ينام في سريرٍ بالخارج كما ينام في سريرٍ بالمنزل، لكن من دون أدنى سبب محدد، خابت توقعاته، كان السرير الفاخر، والغرفة جيدة التهوية، والهدوء اللذيذ لمدينة البندقية في الليل، كلها في صالح نومه الجيد، لكنه لم ينام إطلاقاً، لقد جعله إحساس لا يوصف بالاكتئاب وعدم الراحة، يستيقظ في الظلام، وفي ضوء النهار على حدٍ سواء، نزل إلى غرفة القهوة بمجرد أن بدأت الحركة في الفندق، وطلب الإفطار، ظهر تغيير آخر غير قابل للمساءلة داخله مع ظهور الوجبة.. (عجة) ممتازة، وشرائح اللحم المطبوخة إلى حد الكمال، ردها جميعها دون أن يتذوقها، هو الذي لم يفقد شهيته سابقاً، والذي لا يزال هضمه يساوي أي متطلبٍ آخر عليه!

كان اليوم مشرقاً وجميلاً، طلب زورقاً من زوارق البندقية الشهيرة، وتم التجديف به إلى نهر الليدو.

في الخارج على بحيرة "لاجون" جيدة التهوية، شعر وكأنه رجل جديد، كان قد غادر الفندق قبل عشر دقائق فقط عندما استغرق في النوم بالزورق، استيقظ عند وصوله إلى مكان الهبوط، عبر نهر الليدو، واستمتع بالسباحة الصباحية في البحر (الأدرياتيكي).. لم

يكن هناك سوى مطعمٍ فقيرٍ على الجزيرة في تلك الأيام؛ لكن شهيته قد أصبحت الآن جاهزة لكل شيء، أكل ما عرض عليه كرجلٍ خرج من مجاعةٍ للتو، بالكاد كان يصدق نفسه، عندما فكر في الأمر، أنه أعاد إفطاره المثالي دون حتى أن يتذوقه في الفندق.

بعد عودته إلى البنديقة، أمضى بقية اليوم في المعارض والكنايس، ونحو الساعة السادسة، أعاده الزورق، بشهيةٍ جيدة مجددًا، لمقابلة بعض معارفه المسافرين الذين كان قد تناول العشاء معهم في الفندق.

أثني على العشاء بجدارة وبأقوى قبولٍ من قبل كل ضيوف الفندق باستثناء واحدٍ فقط، فقد أدهشت (هنري) الشهية الكبيرة التي دخل بها الفندق ثم وبشكلٍ غامض تركته تمامًا عندما جلس على المائدة، تمكن أن يشرب بعض النبيذ، لكنه لم يستطع أن يأكل شيئًا حرقياً، سأله أصدقاؤه في السفر:

• ما بك بحق السماء؟

فأجاب بصدق:

• لا أعلم أكثر مما تعلمون.

عندما حل الليل، منح غرفة نومه المريحة والجميلة تجربةً أخرى، كانت نتيجة التجربة الثانية تكرار نتيجة الأولى، ومرةً أخرى، شعر بالإحساس السائد بالاكتمال وعدم الراحة، مرةً أخرى قضى ليلةً بلا نوم، ومرةً أخرى، عندما حاول تناول وجبة الإفطار، اختفت شهيته تمامًا!

كانت تجربة (هنري) الشخصية للفندق الجديد غير عاديةٍ لدرجةٍ لا يمكن تجاوزها في صمت، ورواها لأصدقائه في الغرفة العامة، في جلسة استماع للمدير، المدير الذي كان متحمسًا بشكلٍ طبيعي للدفاع عن الفندق، أصيب ببعض الأذى من الانعكاس الضمني الذي تم إلقاءه على الرقم (14).. دعا المسافرين الحاضرين للحكم بأنفسهم على ما إذا كانت غرفة نوم السيد (ويستويك) هي المسؤولة عن ليالي السيد (ويستويك) التي يملأها الأرق، وناشد بشكلٍ خاص رجلًا نبيلًا ذا شعرٍ رمادي، كان ضيفًا على مائدة إفطار مسافر إنجليزي، ليأخذ زمام المبادرة في التحقيق، وأوضح: "هذا هو الطبيب (برونو) أول طبيبٍ عندنا في البندقية، أناشده أن يقول ما إذا كان هناك أي تأثيراتٍ غير صحيةٍ في غرفة السيد (ويستويك)".

عند ذهابه إلى الغرفة رقم (14) نظر الطبيب حوله بتعبيرٍ مشيرٍ للاهتمام، لاحظته جميع الحاضرين، وقال: "آخر مرة كنت في هذه الغرفة، كانت في مناسبةٍ حزينة، ذلك قبل أن يتم تحويل القصر إلى فندق، كنت بحكم مهنتي أشرف على أحد النبلاء الإنجليز الذين ماتوا هنا."

أحد الأشخاص الحاضرين، استفسر عن اسم النبيل، فأجاب الدكتور (برونو) دون أدنى شكٍ بأنه كان يتحدث أمام شقيق الرجل الميت.. (اللورد مونباري).

غادر (هنري) الغرفة مهدوء دون أن ينبس ببنت شفة.

لم يكن رجلًا مؤمنًا بالخرافات، لكنه شعر مع ذلك بإحجامٍ - لا يمكن التغلب عليه - عن البقاء في الفندق، قرر مغادرة البندقية،

إن طلب غرفةً أخرى ستكون جريمةً في نظر المدير كما هو واضح، والانتقال إلى فندقٍ آخر، يعني التخلي علناً عن مؤسسة، كان له فيها مصلحة مالية، ترك ملاحظة لـ (آرثر بارفيل) عند وصوله إلى البندقية، ذكر فيها فقط أنه ذهب لإلقاء نظرة على البحيرات الإيطالية، وأن الخط الموجه إلى فندقه في ميلانو، سيعيده مرةً أخرى، استقل القطار بعد الظهر إلى (بادوفا) وتناول العشاء بشهيته المعتادة ثم نام في تلك الليلة.

في اليوم التالي، وصل رجلٌ وزوجته - غريبان تماماً عن عائلة مونتباري - عائدين إلى إنجلترا عن طريق البندقية، إلى الفندق ونزلا في الغرفة رقم (14).

لا يزال المدير مدرّكاً للفتنة التي تم إلقاؤها في واحدةٍ من أفضل غرف نومه، لذا انتهز الفرصة ليسأل المسافرين في صباح اليوم التالي عن مدى إعجابهما بغرفتهما، تركاه ليحكم بنفسه على مدى رضاهما، من خلال البقاء يوماً أطول في البندقية مما خطط له في الأصل، فقط لغرض الاستمتاع بالإقامة الممتازة التي قدمها لهما الفندق الجديد، قالوا: "لم نلتقِ بأي شيء يشبهه في إيطاليا؛ يمكنك الاعتماد على توصيتنا لك لجميع أصدقائنا."

في اليوم الذي كانت فيه الغرفة رقم (14) شاغرةً مرةً أخرى، وصلت سيدة إنجليزية، تسافر بمفردها مع خادمتها إلى الفندق، ورأت الغرفة، وشغلتها على الفور.

السيدة كانت السيدة (نوريري).. قد تركت (فرانسيس وستويك) في ميلانو، منشغلاً في التفاوض من أجل ظهور الراقصة

الجديدة بمسرحه في سكالالا، لم تسمع السيدة (نوربيرى) عكس ذلك، فافترضت أن (آرثر بارفيل) وزوجته قد وصلا بالفعل إلى البندقية، كانت مهتمة بمقابلة الزوجين الشابين أكثر من انتظار نتيجة المساومة الصعبة التي أخرت اتفاقية الراقصة الجديدة، وتطوعت لتقدم اعتذار شقيقها، إذا تسببت أعماله المسرحية في تأخره عن مواعده في مهرجان شهر العسل.

تجربة السيدة (نوربيرى) مع الغرفة رقم (14) اختلفت تمامًا عن تجربة شقيقها (هنري) في الغرفة، فبعد أن فشلت في النوم كالمعتاد، تعكرت راحتها بسبب سلسلة من الأحلام المخيفة، وكانت الشخصية المركزية في كل واحد منهم، هي شخصية أخيها الميت (اللورد مونتباري الأول).. رآته يتضور جوعًا في سجنٍ بغيض، يلاحقه قتلة ويموت تحت سكاكينهم، رآته يغرق في أعماقٍ لا حصر لها من المياه المظلمة، كما رآته في سريرٍ مشتعلٍ بالنار، يحترق حتى الموت، يغريه مخلوقٌ غامضٌ للشرب، ويموت من السم، كان للربح المتكرر لهذه الأحلام تأثير كبير عليها لدرجة أنها نهضت مع فجر اليوم، خائفةً من تسليم نفسها مرة أخرى للنوم، في أيامهم السابقة، كانت مشهورة في العائلة بأنها الفرد الوحيد الذي تربطه مشاعر طيبة بـ (مونتباري) في حين كانت الأخت الأخرى وإخوته يتشاجرون معه باستمرار، حتى والدته اعترفت أن ابنها الأكبر كان من بين جميع أطفالها، الطفل الوحيد الذي لم تحبه، ارتحفت السيدة (نوربيرى) التي كانت عاقلة وحازمة، من الذعر بينما تجلس على نافذة غرفتها، تراقب شروق الشمس وتفكر في أحلامها.

قدمت العذر الأول الذي جال بخاطرهما، عندما جاءت خادمتها في الساعة المعتادة، ولاحظت كيف تبدو مريضة! كانت المرأة ذات عقلٍ يؤمن بالخرافات لدرجة أنه كان من الجنون المطلق أن تثق بها وتخبرها الحقيقة، اكتفت السيدة (نوربيرى) بالإشارة إلى أنها لم تجد السرير كما يرضيها، بسبب حجمه الكبير، فقد اعتادت في المنزل - كما تعلم خادمتها - النوم في سريرٍ صغير، بعد إبلاغه بهذا الاعتراض في وقتٍ لاحق من اليوم، أعرب المدير عن أسفه لأنه لا يستطيع أن يعرض على السيدة سوى اختيار حجرة نومٍ واحدة أخرى، وهي الغرفة رقم (38) تقع مباشرةً فوق حجرة النوم التي ترغب في مغادرتها، قبلت السيدة (نوربيرى) التغيير المقترح للغرفة، وأصبحت الآن على وشك أن تقضي ليلتها الثانية في الغرفة التي كان يشغلها (البارون ريفار) في الأيام الخوالي من القصر.

مرةً أخرى، غرقت في النوم كالمعتاد، ومرةً أخرى، أرعبتها أحلام الليلة الأولى المخيفة نفسها، تتبع بعضها البعض، هذه المرة أعصابها التي اهتزت بالفعل، لم تكن على القدر نفسه من العذاب القاهر المتجدد الذي تعرضت له، رمت عليها رداءها وخرجت تركض من غرفتها في منتصف الليل، اندهش الحمال - الذي انزعج من قرع الباب - عندما رآها تنزل مسرعةً على السلام، بحثًا عن أول إنسانٍ يمكن أن تجده ليقبى برفقتها، فوجئ الرجل بشكلٍ كبيرٍ بهذه الظاهرة الجديدة الأخيرة لـ "الغرابة الإنجليزية" الشهيرة، نظر إلى سجل الفندق، وقاد السيدة مرةً أخرى إلى الطابق العلوي نحو الغرفة التي تشغلها خادمتها، لم تكن الخادمة قد نامت بعد، والأروع من ذلك

أنها لم تكن حتى قد خلعت ملابسها، استقبلت سيدتها بهدوء، وعندما أصبحتا بمفردهما، واضطرت أخيراً السيدة (نوربيرى) أن تخبر مضيفتها بما حدث، ردت المرأة بغرابة شديدة.. قالت:

• لقد كنت أسأل عن الفندق، في عشاء الخدم في الليل، سمع خادم أحد السادة المقيمين هنا أن الراحل (اللورد مونتباري) كان آخر شخصٍ عاش في القصر، قبل تحويله إلى فندق، والغرفة التي مات فيها يا سيدي، كانت هي الغرفة التي نمت بها الليلة الماضية، غرفتك الليلة هي الغرفة فوقها مباشرةً، لم أخبرك شيئاً قلقاً من إخافتك، من ناحيتي، لقد قضيت الليلة كما ترين، والأنوار مضاءة، وأقرأ كتابي المقدس، في رأيي، لا يمكن لأي فردٍ من عائلتك أن يأمل في أن يكون سعيداً أو مرتاحاً في هذا المنزل.

• ماذا تعنين؟

• أرجوك دعيني أوضح قصدي يا سيدي، عندما كان السيد (هنري ويستويك) هنا - علمت هذا من الخادم أيضاً - نزل في الغرفة التي مات فيها شقيقه دون أن يعرف ذلك، مثلك.. لمدة ليلتين لم يغلق عينيه من دون أي سبب، سمعه الخادم بينما يخبر السادة في غرفة القهوة أنه لا يستطيع النوم؛ شعر بالضعف والبؤس في نفسه، وما هو أكثر من ذلك، عندما يأتي النهار، لم يستطع حتى أن يأكل بينما كان تحت هذا السقف، قد تضحكين يا سيدي، لكن حتى الخادمة قد تتوصل إلى استنتاجاتها الخاصة؛ استنتاجي هو أن شيئاً ما حدث لسيدي، ولم يعرفه أحدنا، عندما مات في هذا المنزل، شبحه يجول في عذابٍ حتى يتمكن من إخبارنا، والأحياء الذين يجواره هم

الأشخاص الذين سيشرحون بقربه منهم، قد يراه مجددًا هؤلاء الأشخاص في الوقت القادم، لا تبقوا، لا تمكثوا بعد الآن في هذا المكان الرهيب! لن أبقى هنا ليلةً أخرى.. لا، مهما عُرض علي!  
طمأنت السيدة (نوربيري) عقل خادمتها بشأن هذه النقطة الأخيرة، وقالت بجديّة:

• أنا لا أفكر في الأمر كما تفعلين أنت، لكن أود أن أتحدث إلى أخي عما حدث، لذا سنعود إلى ميلانو.  
انقضت بعض ساعات قبل أن يتمكننا من مغادرة الفندق، بواسطة أول قطارٍ في الظهيرة.

في تلك الفترة، وجدت خادمة السيدة (نوربيري) الفرصة لإبلاغ الخادم بسريّة بما حدث بينها وبين سيدتها، كان للخادم أصدقاء آخرون، قد روى لهم الظروف بدوره، وفي الوقت المناسب، وصل السرد من فيم إلى فيم وصولاً إلى آذان المدير، رأى على الفور أن رصيد الفندق في خطر، ما لم يتم فعل شيءٍ لاستعادة سمعة الغرفة المرقمة (14).. أخبره المسافرون الإنجليز - الذين يعرفون النبلاء جيّدًا في بلدهم الأصلي - أن (هنري وستويك) والسيدة (نوربيري) لم يكونا بأي حالٍ من الأحوال، الفردين الوحيدين في عائلة (مونتباري) وقد يجلب الفضول المزيد منهم إلى الفندق، بعد سماع ما حدث، حضر المدير بسهولة الوسائل الواضحة لتضليلهم، في هذه الحالة، كانت أرقام جميع الغرف مطليّة باللون الأزرق، على ألواحٍ خزفية بيضاء، ومثبتة على الأبواب، فأمر بتحضير لوحة جديدة برقم (13) (أ) وأبقى الغرفة فارغة، بعد أن غادر المستأجر الحالي، حتى أصبحت



اللوحة جاهزة ثم أعاد ترقيم الغرفة؛ وضع الرقم (14) الذي تمت إزالته على باب غرفته في الطابق الثاني، والذي لم يكن قد تم ترقيمه من قبل على الإطلاق، بهذه الحركة، اختفى الرقم (14) مرةً واحدة وإلى الأبد من كتب الفندق، كرقم غرفة النوم التي يجب الهروب منها.

بعد أن حذر الخدم من الثثرة مع المسافرين، حول موضوع الأرقام المتغيرة، تحت طائلة الفصل، أقنع المدير نفسه بأنه قام بواجبه تجاه أصحاب العمل..

فكر محدثاً نفسه: "فلتأتي الأسرة بأكملها إلى هنا إذا رغبوا في ذلك! الفندق ند لهم."



## الفصل الثامن عشر

قبل نهاية الأسبوع، وجد المدير نفسه على علاقة بـ (العائلة) مرة أخرى، أعلنت برقية من ميلانو أن السيد (فرانسيس وستويك) سيصل إلى البندقية في اليوم التالي؛ وسيكون ملزمًا إذا كان من الممكن حجز الغرفة رقم (14) في الطابق الأول له، وذلك إذا كانت شاغرة في ذلك الوقت.

توقف المدير عن التفكير قبل أن يصدر توجيهاته، تم إعطاء الغرفة التي أعيد ترقيمها مؤخرًا لرجلٍ فرنسيٍّ نبيل، سيتم شغلها يوم وصول السيد (فرانسيس وستويك) لكنها ستكون فارغة مرةً أخرى في اليوم التالي، هل سيكون من الجيد حجز الغرفة لينزل بها السيد (فرانسيس) بشكلٍ خاص؟ وعندما يقضي الليل بلا ريبة وبراحة مطلقة في الغرفة رقم (13- أ) نسأله أمام الشهود؛ كم أحب حجرة نومه؟ في هذه الحالة، إذا تم الحديث عن سمعة الغرفة مرةً أخرى، فإن الإجابة ستبرئها، بناءً على أن أحد أفراد العائلة نفسها أعطى الغرفة رقم (14) سمعةً سيئة، بعد قليل من التفكير، قرر المدير خوض التجربة، وأمر بضرورة حجز الغرفة (13- أ) وفقًا لذلك.

في اليوم التالي، وصل (فرانسيس وستويك) في حالةٍ معنويةٍ ممتازة.

وقع اتفاقيات مع الراقصة الأكثر شعبية في إيطاليا، كان قد نقل مهمة مرافقة السيدة (نوريري) إلى شقيقه (هنري) الذي انضم إليه في ميلانو؛ وهو الآن يتمتع بكامل الحرية لتسلية نفسه من خلال اختبار التأثير الاستثنائي الذي يمارسه الفندق الجديد على أقاربه بكل طريقة ممكنة، عندما أخبره شقيقه وأخته لأول مرة عن تجربتهما، أعلن على الفور أنه سيذهب إلى البندقية من أجل مسرحه، احتوت الظروف التي أحاطت به على تلميحات لا تقدر بثمن لمسرحية أشباح، وخطر له العنوان في سكة الحديد "الفندق المسكون" .. انشر ذلك بأحرف حمراء بارتفاع ستة أقدام، على أرضية سوداء، في جميع أنحاء لندن، وثق بالجمهور المثير للتجمع في المسرح!

لقي (فرانسيس) اهتمامًا مهذبًا من قبل المدير، لكن واجه خيبة أمل عند دخوله الفندق ..

• هناك خطأ ما يا سيدي، لا توجد غرفة في الطابق الأول، تحمل الرقم (14) .. الغرفة التي تحمل هذا الرقم هي في الطابق الثاني، وقد نزلت فيها منذ اليوم الذي افتتح فيه الفندق، ربما كنت تقصد الرقم (13- أ) في الطابق الأول؟ ستكون في خدمتك غدًا، غرفة ساحرة، في غضون ذلك، سنبذل قصارى جهدنا من أجلك الليلة.

على الأرجح أن يكون الرجل الذي يدير مسرحًا ناجحًا هو آخر رجل في العالم المتحضر قادر على الإعجاب بآراءٍ تؤيد رفاقه من

المخلوقات، اعتبر (فرانسييس) أن المدير محتال، والقصة حول ترقيم الغرف كذبة.

في يوم وصوله، تناول العشاء بمفرده في المطعم، أمام الساعة على مائدة تناول الطعام، لغرضٍ صريح وهو استجواب النادل، دون أن يسمعه أحد، وقادته الإجابة إلى استنتاج مفاده أن الغرفة (13- أ) هي نفسها الغرفة التي وصفها شقيقه وشقيقته بالغرفة رقم (14) ثم طلب قائمة الزوار؛ ووجد أن الرجل الفرنسي الذي شغل الغرفة (13- أ) كان صاحب مسرحٍ في باريس، ويعرفه شخصياً، هل كان الرجل حينها في الفندق؟ لقد خرج، لكنه سيعود بالتأكيد إلى الطاولة، عندما انتهى العشاء العام، دخل (فرانسييس) الغرفة، واستقبله زميله الباريسي حرقياً بذراعين مفتوحتين، قال الفرنسي الودود: "تعال لندخلن السيجار في غرفتي، أريد أن أعرف ما إذا كنت قد أشركت هذه المرأة حقاً في ميلانو أم لا؟"

بهذه الطريقة السهلة، وجد (فرانسييس) فرصته الذهبية لمقارنة الجزء الداخلي للغرفة بالوصف الذي سمع عنه في ميلانو.

عند وصوله إلى الباب، عرض الفرنسي ما يجول في خاطره على رفيقه في السفر، فقال: "الرسام الخاص بي هنا معي، يبحث عن مواد، إنه رفيقٌ ممتاز، وسيعتبره لطفًا إذا طلبنا منه الانضمام إلينا، سأخبر الحمال أن يرسله إلى هنا عندما يأتي."

وسلم مفتاح غرفته إلى (فرانسييس) مضيئاً: "سأعود خلال دقيقة واحدة، إنها في نهاية الممر (13- أ)."

دخل (فرانسييس) الغرفة بمفرده، كانت هناك زخارف على الجدران والسقف، تمامًا كما وصفت له! أدرك هذا في لحظة، قبل أن يتحول انتباهه إلى نفسه وأحاسيسه، بعد حدثٍ بغيضٍ بشكلٍ غريب فاجأه تمامًا.

أدرك وجود رائحةٍ كريهةٍ غامضةٍ في الغرفة، جديدة تمامًا في تجربته مع الروائح الكريهة، كانت تتألف - إذا كان من الممكن أن يوجد مثل هذا الشيء - من زفيرين مختلطين، ومع ذلك كانا زفيرين يمكن اكتشافهما بشكلٍ منفصلٍ، يتكون هذا المزيج الغريب من الروائح من شيءٍ خافتٍ وعطريٍ غير محببٍ، ممزوجٍ برائحةٍ خفيةٍ أخرى، مقززةٍ بشكلٍ لا يوصفٍ لدرجة أنه ألقى بنفسه على النافذة، وأخرج رأسه في الهواء النقي، غير قادرٍ على تحمل الجو الملوث بشكلٍ رهيبٍ للحظةٍ أطول.

انضم المالك الفرنسي إلى صديقه الإنجليزي، وكان قد أشعل سيجاره بالفعل، انفعل في حالة من الفزع لرؤية مشهد يروع الرجال، من أبناء بلده بشكلٍ عام، مشهد النافذة المفتوحة! وصرخ قائلاً: "أنتم الإنجليز مهووسون تمامًا من موضوع الهواء النقي! سنلقى حتفنا موتًا من البرد."

استدار (فرانسييس) ونظر إليه بدهشة ثم سأل:

- هل أنت حقًا لا تشعر بالرائحة الموجودة في الغرفة؟
- الرائحة! أشم رائحة سيجاري الجيدة، جرب واحدًا بنفسك،

ومن أجل الجنة أغلق النافذة!

رفض (فرانسييس) السيجار بإشارة، وقال:

• ساحني، سأتركك لتغلق النافذة، أشعر بالإغماء والدوار، من الأفضل أن أخرج.

وضع منديله على أنفه وفمه، وعبر الغرفة إلى الباب، تبع الفرنسي تحركات (فرانسييس) في حالة من الحيرة لدرجة أنه نسي بالفعل اغتنام الفرصة لإغلاق الهواء النقي، سأل بنظرة واسعة من الدهول:

• هل الأمر مقزز إلى هذا الحد؟

• مروع!

تمتم (فرانسييس) خلف منديله..

• لم أشم رائحة مثلها في حياتي!

كان هناك طرق على الباب، ظهر الرسام، سأله صاحب العمل على الفور عما إذا كان يشم أي شيء..

• أشم رائحة السيجار الخاص بك، لذيذ! أعطني واحدًا فورًا!

• انتظر دقيقة، إلى جانب السيجار الخاص بي، هل تشم أي شيء آخر كريه، بغيض، قاهر، لا يوصف، لم يسبق له مثيل من قبل؟!

بدا الرسام متحيرًا من الطاقة الشديدة للغة الموجهة إليه،

وأجاب:

• الغرفة منعشة ولطيفة كما ينبغي أن تكون.

وبينما كان يتحدث، نظر إلى الخلف بذهول نحو (فرانسييس ويستويك) واقفًا في الممر بينما ينظر إلى الجزء الداخلي من حجرة النوم بتعبير اشمئزاز غير منطقي.

اقترب المخرج الباريسي من زميله الإنجليزي، ونظر إليه بتدقيقٍ شديدٍ وقلقٍ..

• كما ترى يا صديقي، ها نحن اثنان، مع أنفين جيدين كأنفك، والذي لا يشم شيئاً، إذا كنت تريد أدلة من المزيد من الأنوف، انظر هناك!

وأشار إلى فتاتين إنجليزيتين صغيرتين، تلعبان في المرر..

• باب غرفتي مفتوح على مصراعيه، وأنت تعرف مدى السرعة التي يمكن أن تنتقل بها الرائحة، استمع الآن بينما أسأل هؤلاء الأنوف البريئة، بلغة جزيرتهم الكثيرة، حبيبتاي الصغيرتان، هل تشمان رائحة كريهةً هنا.. ها؟

انفجرتا ضاحكتين، وأجابتا بشكلٍ قاطع: "لا."

فاستأنف الفرنسي بلغته:

• لا! عزيزي (ويستويك) هناك شيءٌ خطأ، خطأً جدياً في أنفك، أنصحك بمقابلة طبيب.

بعد أن قدم هذه النصيحة، عاد إلى غرفته، وأغلق الهواء النقي المروع بصوتٍ عالٍ من الارتياح، غادر (فرانسيس) الفندق من الممرات المؤدية إلى ساحة القديس (مارك).. سرعان ما أعاد له نسيم الليل نشاطه، وكان قادراً على إشعال سيجار، والتفكير بهدوءٍ فيما حدث.



# الفصل التاسع عشر

تجنّبًا للاحتشاد تحت الأعمدة، سار (فرانسيس) ببطءٍ لأعلى وأسفل في الفضاء المفتوح للميدان العريق، مغمورًا بضوء القمر الصاعد.

لقد كان مادياً دقيقاً دون أن يدرك ذلك، التأثير الغريب الذي أحدثته الغرفة عليه - بعد التأثيرات الغريبة الأخرى التي أحدثتها على أقارب شقيقه الميت - لم يتمكن من إحداث تغيير في عقل هذا الرجل العاقل، فقال:

• ربما أصبح مزاجي خيالياً أكثر مما كنت أفترض، وهذه خدعة خدعني بها خيالي نفسه! أو ربما صديقي على حق! هناك خطبٌ ما في جسدي! أنا لا أشعر بالمرض بالتأكيد، لكن هذا ليس معياراً آمناً في بعض الأحيان، لن أنام في تلك الغرفة البغيضة هذه الليلة، يمكنني الانتظار حتى الغد لأقرر ما إذا كنت سأتحديث إلى طبيبٍ أم لا، في هذه الأثناء، لا يبدو أن الفندق سيزودني بموضوع القطعة، الرائحة الكريهة من شبحٍ غير مرئي، هي فكرة جديدة تماماً،

لكن يكمن بها عيبٌ واحد، إذا جسدت ذلك على الخشبة، فسأطرد الجمهور كله من المسرح.

عندما توصلت فطرته السليمة إلى هذه النتيجة الواضحة، أدرك وجود سيدة، ترتدي ملابس سوداء بالكامل، وتراقبه باهتمام ملحوظ، سألت السيدة في اللحظة التي نظر فيها إليها:

- هل أنا محقة في افتراض أنك السيد (فرانسيس وستويك)؟
- هذا اسمي يا سيدتي، هل لي أن أستفسر إلى من أتشرف بالتحدث؟

أجابت مراوغة:

- لقد التقينا مرةً واحدةً فقط، عندما قدمني أخوك الراحل لأفراد عائلته، أتساءل عما إذا كنت قد نسيت تمامًا عينيَّ السوداوين، وبشرتي البشعة؟!

رفعت حجابها بينما كانت تتحدث، واستدارت حتى استقر ضوء القمر على وجهها.. تعرّف (فرانسيس) في لمحّة إلى المرأة التي يبغضها أكثر من أي شخصٍ آخر، أرملة أخيه المتوفى (اللورد مونتباري الأول).. عبس عندما نظر إليها، تجربته على المسرح، جمعته في بروفات لا حصر لها مع ممثلات حاولن بصعوبة أن يفقدونه أعصابه، قد اعتاد أن يتحدث بخشونة مع النساء اللواتي يكن مكرهات له، فقال:

- أنا أتذكرك، اعتقدت أنك في أمريكا!
- لم تنتبه للهجته وسلوكه السيئين؛ وأوقفته ببساطة عندما رفع قبعته واستدار ليتركها.

أجابت بهدوء:

• دعني أمشي معك لبضع دقائق، لدي ما أقوله لك.

أراها سيجاره، وقال:

• أنا أدخن.

• لن أمنعك من التدخين.

عدا الوحشية الصريحة، لم يكن هناك شيء يمكن فعله سوى

الاستسلام بعد ذلك، وقد استسلم على مضض..

• حسنًا.. ماذا تريد مني؟

• ستسمع حاليًا يا سيد (ويستويك).. اسمح لي أولاً أن أخبرك

بحالتي، أنا وحيدة في العالم، لقد أُضيف إلى مصيبة فقدان زوجي

الآن، فجيرة أخرى، فقدان رفيقي في أمريكا، أخي.. البارون ريفار.

سمعة (البارون) والشك الذي ألقته به فضيحة علاقته المفترضة

بالكونتيسة، كان يعرفهما (فرانسيس) جيدًا، سأل بوحشية:

• أطلق عليه الرصاص في صالون قمار؟

• السؤال هو سؤال طبيعي تمامًا من جانبك.

قالت بطريقةٍ ساخرة، لا يمكن اختراقها، والتي يمكن أن تفترضها

هي في مناسباتٍ معينة..

• بصفتك مواطنًا من إنجلترا، بلد سباقات الخيول، فأنت

تتلمي إلى أمة المقامر، لم يمت أخي ميتةً استثنائية يا سيد

(ويستويك).. لقد غرق مع العديد من الأشخاص التعساء، من حمى

سائدة في مدينةٍ غريبةٍ، صادفنا زيارتها، مصيبة خسارته جعلت

الولايات المتحدة لا تطاق بالنسبة لي، لذا غادرت بأول باخرةٍ أبحرت

من نيويورك، سفينة فرنسية نقلتني إلى هافر، وواصلت رحلتي الوحيدة إلى جنوب فرنسا ثم تابعت إلى البندقية.

فكر (فرانسيس) قائلاً:

• ماذا يعني في كل هذا؟

توقفت مؤقتاً، ومن الواضح أنها كانت تتوقع منه أن يقول شيئاً.. قال بلا مبالاة:

• إذا لماذا أتيت إلى البندقية؟

أجابت:

• لأنني لم أستطع عدم القدوم.

نظر إليها (فرانسيس) بفضولٍ ساخر قائلاً:

• هذا يبدو غريباً، ما الذي يدفعك؟

أوضحت قائلة:

• النساء معتادات على التصرف بدافع، لنفترض أن الدافع هو الذي وجه رحلتي، ومع ذلك، هذا هو آخر مكان في العالم أتمنى أن أجد نفسي فيه، الذكريات التي أكرهها مرتبطة به في ذهني، ولو أنني بكامل إرادتي، فلن أراه مرةً أخرى، أكره البندقية، لكن كما ترى، أنا هنا، متى قابلت مثل هذه المرأة غير المعقولة من قبل؟ أنا متأكدة أنك لم تفعل أبداً!

توقفت وراقبته للحظة ثم غيرت نبرة صوتها فجأة وسألت:

• متى يتوقع أن تكون الآنسة (أغنيس لوكوود) في البندقية؟

لم يكن من السهل الإخلال بتوازن (فرانسيس) لكن هذا السؤال غير العادي أدى إلى ذلك..

• وكيف عرفت الشيطانة أن الأنسة (لوكوود) قادمة إلى

البندقية؟

صرخ..

ضحكت ضحكةً مريرةً ساخرة..

• لنقل، أني خمنت!

شيء ما في نبرة صوتها، أو ربما شيء ما في التحدي الجريء لعينها أثناء استراحتها عليه، أثار المزاج السريع الذي كان في (فرانسيس وستويك).. بدأ "ليدي مونباري...!"

"توقف هناك!"

قاطعته..

• زوجة أخيك (ستيفن) تسمى نفسها (الليدي مونباري) الآن، ولا أشارك لقي مع أي امرأة، ادعوني باسمي قبل أن أرتكب الخطأ القاتل بالزواج بأخيك، خاطبني إذا سمحت بالكونتيسة (نارونا).

استأنف (فرانسيس):

• الكونتيسة (نارونا) إذا كان هدفك من ادعاء معرفتي هو وضعي في الحيرة، فقد أتيت إلى الرجل الخطأ، تحدثي بوضوح، أو اسمحي لي أن أرجو لك مساءً سعيدًا.

• إذا كان هدفك هو إبقاء وصول الأنسة (لوكوود) إلى البندقية سرًا، فتحدث بوضوح يا سيد (ويستويك) من جانبك، وقل ذلك.

من الواضح أن نيتها كانت إغضابه ونجحت..

• هراء!

اندلع بفضاظة..

• ترتيبات سفر أخي ليست أسرارًا لأحد، أحضر الآنسة (لوكوود) هنا، مع السيدة (مونتباري) والأطفال، كما يبدو أنك على دراية بكل هذا، ربما تعرفين سبب قدومها إلى البندقية!

أصبحت الكونتيسة فجأةً رزينة وسرحت بالتفكير، لم ترد، الصديقان المرتبطان بغرابية، بعد أن وصلا إلى أحد طرفي الميدان، وقفنا الآن أمام كنيسة القديس (مارك) وكان ضوء القمر ساطعًا بدرجةٍ كافيةٍ لإظهار الهندسة المعمارية للكاتدرائية الكبرى في تنوعها الرائع من التفاصيل، حتى طيور القديس (مارك) كانت واضحة، في صفوفٍ مظلمة ومكتظة، جاثمة في أقواس أبواب المدخل العظيمة.

قالت الكونتيسة بهدوء:

• لم أر من قبل كم تبدو الكنيسة القديمة جميلة على ضوء القمر.

لا تتحدث إلى (فرانسيس) بل إلى نفسها..

• وداعًا، سانت مارك في ضوء القمر! لن أراك مرة أخرى.

ابتعدت عن الكنيسة ورأت (فرانسيس) يستمع إليها بنظراتٍ

عجبية..

• لا.

استأنفت، التقطت بهدوء الخيط المفقود من المحادثة..

• لا أعرف لم أتت الآنسة (لوكوود) إلى هنا! أعرف فقط أننا

سنلتقي في البندقية.

- بموعدي سابق؟
- بالقدر.
- أجابت ورأسها على صدرها وعيناها على الأرض.
- انفجر (فرانسيس) ضاحكًا..
- أو، إذا كنت تفضل أكثر.
- استأنفت على الفور..
- بما يسميه الحمقى صدفة.
- أجاب (فرانسيس) بسهولة، من أعماق الفطرة السليمة لديه،
- وقال:
- يبدو أن الصدفة تتخذ طريقة غريبة لتحقيق اللقاء، لقد رتبنا جميعًا للقاء في فندق القصر، كيف لا يكون اسمك موجودًا في قائمة الزوار؟! كان يجب أن يأتيك القدر إلى الفندق أيضًا.
- خلعت حجابها فجأة.. وقالت:
- قد يفعل القدر ذلك أيضًا! فندق القصر؟
- كررت وتحدثت مرة أخرى لنفسها..
- الجحيم القديم تحول إلى الحاجز الجديد بين الجنة والنار، المكان نفسه! يا للهول! المكان نفسه!
- توقفت ووضعت يدها على ذراع رفيقها..
- ربما لن تذهب الآنسة (لوكوود) إلى هناك مع البقية منكم؟
- انفجرت بحماسة مفاجئة:
- هل أنت متأكد أنها ستكون في الفندق؟

• بشكلٍ قاطع! ألم أخبرك أن الأنسة (لوكوود) تسافر مع اللورد والليدي (مونتباري)؟! ولا تعلمين أنها فرد من العائلة! ستضطرين إلى الانتقال، كونتيسة، إلى فندقنا.

كانت محصنة تمامًا لنبرة المزاح التي يتحدث بها..  
قالت بصوتٍ خافت:

• نعم، يجب أن أنتقل إلى فندقكم.

كانت يدها لا تزال على ذراعه، يشعر بها ترتجف من رأسها إلى قدميها بينما تتحدث، ومع أنه يكرهها ولا يثق بها، أجبرته غريزة الإنسانية الطبيعية على السؤال عما إذا كانت تشعر بالبرد.  
قالت:

• نعم، البرد والدوار.

• برد ودوار، كونتيسة، في مثل هذه الليلة؟!!

• الليلة لا علاقة لها بهذا يا سيد (ويستويك).. كيف تفترض أن المجرم يشعر على السقالة بالبرد والدوار بينما الجلاد يضع الحبل حول رقبتة؟! أيضًا يجب أن أفكر، اعذر خيالي القاتم، فكما ترى، لقد أحاط القدر بالحبل حول رقبتني، وأشعر بذلك.

نظرت حولها، كانا في تلك اللحظة بالقرب من المقهى الشهير المعروف باسم (فلوريان).. قالت:

• خذني إلى هناك؛ يجب أن أحصل على شيءٍ يحييني، ومن الأفضل ألا تتردد، من المهم لك أن أعود لوعيي، لم أقل ما أرغب في قوله بعد، إنه عمل، ومرتببط بمسرحك.



تساءل في داخله عما يمكن أن تريده من مسرحه، استسلم (فرانسيس) على مضض لاحتياجات الموقف، وأخذها إلى المقهى، وجد ركنًا هادئًا يمكنهما فيه الجلوس دون جذب الانتباه، سأل مستسلمًا:

• ماذا ستناولين؟

أعطت طلباتها للنادل دون أن تزعجه ليتحدث نيابة عنها.

• ماراشينو.. أريد كوبًا من الشاي.

حدق النادل، وحدق (فرانسيس).. كان الشاي شيئًا حديثًا - فيما يتعلق بالماراشينو - لكليهما، غير مبالية سواء فاجأهم أم لا، طلبت من النادل، بعد الامتثال لتعليماتها، سكب كأس نبيذ كبيرة مليئة بالمشروب الكحولي في كأس، وملاه من إبريق الشاي، فقالت:

• لا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى، يدي ترتجف بشدة.

شربت المزيج الغريب بلهفة، حازًا كما كان، قالت:

• جرعة ماراشينو، هل ستتذوق بعضًا منه؟ لقد ورثت اكتشاف هذا المشروب، عندما كانت ملكتكم الإنجليزية (كارولين) في القارة، ألحقت والدي بمحكمتها، اخترعت تلك السيدة الملكية المصابة، في ساعات سعادتها، جرعة الماراشينو، تعلقت والدي باعتزازٍ بسيدتها الكريمة، وشاركتها أذواقها، وأنا بدوري تعلمت من والدي، الآن يا سيد (ويستويك) لنفترض أنني أخبرتك بطبيعة عملي، أنت مدير المسرح، أتريد مسرحية جديدة؟

• أريد دائمًا مسرحية جديدة بشرط أن تكون جيدة.

• وهل تدفع، إذا كانت مسرحية جيدة؟

• أدفع كما يخلو لي لاهتماماتي الخاصة.

• وإذا كتبت المسرحية، هل ستقرأها؟

تردد (فرانسيس) وسأل:

• ما الذي وضع كتابة مسرحية في رأسك؟

أجابت:

• مجرد حادث.. أتيت لي الفرصة مرة واحدة لإخبار أخي

الراحل عن زيارة قمت بها إلى الأنسة (لوكوود) عندما كنت في إنجلترا

آخر مرة، لم يهتم بما حدث في المقابلة، لكن شيئاً ما صدمه في

طريقي بربطها، فقال: "تصفين ما مر بينك وبين السيدة بطريقة

جيدة ومتباينة لحوارٍ مسرحي، لديك غريزة الدراما، حاولي أن تكتبي

مسرحية، يمكن أن تكسبي المال.

هذا ما وضع الفكرة في رأسي.

بدا أن هذه الكلمات الأخيرة، أذهلت (فرانسيس)!

• بالتأكيد، لا تريد المال!

• أنا دائماً أريد المال، أذواقى غالية الثمن، لا أملك سوى

أربعمائة جنيه في السنة، والحطام المتبقي من النقود الأخرى، حوالي

مائتي جنيه كأوراق نقدية، لا أكثر.

عرف (فرانسيس) أنها كانت تشير إلى العشرة آلاف جنيه التي

تدفعها مكاتب التأمين..

• كل تلك الآلاف ذهبت بالفعل!

صاح.

نفث القليل من الهواء على أصابعها..

• ذهبت هكذا!

أجابت بيروود.

• بارون ريفار؟

نظرت إليه بوميض من الغضب في عينيها السوداوين القاسيتين.

• أموري هي سري يا سيد (ويستويك).. لقد قدمت لك عرضًا، ولم تجبني بعد، لا تقل لا، دون التفكير أولاً، تذكر ما كان منجم الحياة، لقد رأيت الكثير من العالم أكثر من معظم الناس، بما في ذلك كُتاب المسرح، لقد خضت مغامراتٍ غريبة، وسمعت قصصًا فريدة، لقد لاحظت وتذكرت، ألا يوجد المطلوب هنا في رأسي لكتابة مسرحية، إذا أتحت لي الفرصة؟

انتظرت لحظة، وفجأة كررت سؤالها الغريب عن (أغنيس)..

• متى من المتوقع أن تكون الأنسة (لوكوود) في البندقية؟

• ما علاقة ذلك بمسرحيتك الجديدة، يا كونتيسة؟

بدا أن الكونتيسة شعرت ببعض الصعوبة في إعطاء هذا السؤال إجابته المناسبة، خلطت قدحًا آخر مليئًا بالماراشينو، وشربت نصفًا جيدًا منه قبل أن تتحدث مرة أخرى.

• كل ما يتعلق بمسرحيتي الجديدة.

كان كل ما قالته..

• أجبني.

أجابها (فرانسيس):

- الأنسة (لوكوود) قد تكون هنا في غضون أسبوع، أو على الرغم من كل ما أعرفه عكس ذلك، في وقتٍ أقرب من ذلك.
  - ممتاز، إذا كنت على قيد الحياة وحررة في غضون أسبوع، أو إذا كنت ما زلت أمتلك حواسي في غضون أسبوع - لا تقاطعني، أعرف ما أتحدث عنه - سيكون لدي مقدمة أو مخطط مسرحي جاهز، كنموذج لما يمكنني فعله، مرة أخرى، هل ستقرأها؟
  - سأقرأها بالتأكيد، لكن كونتيسة، أنا لا أفهم...
  - رفعت يدها ليصمت، وأنتهت النصف الثاني من قده الماراشينو.
- قالت:

• أنا لغزٌ حي، وتريد أن تعرف الرواية الحقيقية حولي، ها هي الرواية، كما تقول عبارتك الإنجليزية، باختصار.. هناك فكرة حمقاء في أذهان العديد من الأشخاص، أن السكان الأصليين في المناخات الدافئة هم أناس خياليون، لم أرَ أبدًا خطأً أكبر من هذا، لن تجد مثل هؤلاء الأشخاص عديمي الخيال في أي مكانٍ كما تجدهم في إيطاليا وإسبانيا واليونان ودول الجنوب الأخرى، إن عقولهم صماء وعمياء بطبيعتها لأي شيءٍ خيالي، لأي شيءٍ روحي، بين الحين والآخر، على مر القرون، ظهرت عبقرية عظيمة بينهم، وهو الاستثناء الذي يثبت القاعدة، الآن انظر! أنا، على الرغم من أنني لست عبقرية، لكنني بطريقتي الصغيرة (كما أفترض) استثناء أيضاً، يؤسفني أن لدي بعضاً من هذا الخيال الشائع جداً بين الإنجليز والألمان، وهو نادر جداً بين الإيطاليين والإسبان وغيرهم! وما النتيجة؟

أعتقد أنه أصبح مرضًا في داخلي، أنا مليئة بالعروض التي تجعل هذه الحياة الشريرة واحدة من حالات الرعب الطويل بالنسبة لي، لا يعني الآن ما هم عليه، يكفي أنهم يحكموني تمامًا، يدفعونني إلى البر والبحر بإرادتهم الرهيبة؛ إنهم في داخلي ويعذبونني في هذه اللحظة! لماذا لا أقاومهم؟ ها! لكني أقاومهم، أحاول - بمساعدة جرعة جيدة - أن أقاومهم الآن، على فتراتٍ متقطعة، أزرع الفضيلة الصعبة للحس السليم، في بعض الأحيان، يصنع الإحساس السليم امرأة متفائلة مني، في وقتٍ من الأوقات، كان لدي أمل في أن ما بدا لي حقيقة هو مجرد وهمٍ مجنون، بعد كل شيءٍ حتى أنني سألت طبيبًا إنجليزيًا! في أوقاتٍ أخرى، أحاطت بي شكوك معقولة أخرى في نفسي، لا تهتم بالحديث عنهم الآن، فدائمًا ما ينتهي الأمر بالرعب والخرافات القديمة التي تستحوذ علي مرة أخرى، في غضون أسبوع، سأعرف ما إذا كان القدر من يقرر مستقبلي بالفعل، أو ما إذا كنت أنا أقرره بنفسي، في الحالة الأخيرة، فإن قراري هو توظيف خيالي المعذب للذات في المهنة التي أخبرتك عنها مسبقًا، هل تفهمني أفضل قليلاً الآن؟ وبعد تسوية أعمالنا، عزيزي السيد (ويستويك) هل نخرج من هذه الغرفة الساخنة إلى الهواء البارد اللطيف مرة أخرى؟

نفضاً لمغادرة المقهى، استنتج (فرانسيس) أن جرعة الماراشينو، قدمت التفسير الوحيد القابل للاكتشاف لما قالته الكونتيسة.



# الفصل العشرين

- هل سأراك مرة أخرى؟  
سألته بينما تمد يدها لتغادر..
- أعتقد أن الأمور أصبحت مفهومة بيننا حول المسرحية؟  
استذكر (فرانسيس) تجربته غير العادية ذلك المساء في الحجرة  
المعاد ترقيمها، وأجاب:
- إقامتي في البندقية غير مؤكدة، إذا كان لديك أي شيء آخر  
ترغبين في قوله عن هذا المشروع الدرامي الخاص بك، فقد يكون من  
الأفضل أن تقوليهِ الآن، هل قررت موضوعًا بالفعل؟ أعرف الذوق  
العام السائد في إنجلترا أفضل منك، قد أوفر عليك بعض إهدار  
الوقت والمتاعب، إذا لم تختاري موضوعك بحكمة.  
أجابت بلا مبالاة:
- لا يعني الموضوع الذي أكتب عنه، ما دمت أكتب، إذا  
كان لديك موضوع في رأسك، أعطه لي، وسأتولى مهمة  
الشخصيات والحوار.  
كرر (فرانسيس):

• تولين مهمة الشخصيات والحوار، هذه طريقة جريئة للتحدث للمبتدئين! أتساءل عما إذا كان ينبغي لي أن أهز ثقتك السامية في نفسك، إذا اقترحت أكثر الموضوعات خطورة ومعرفة على المسرح! ماذا تقولين يا كونتيسة لدخول القوائم مع شكسبير، وتجربة الدراما مع وجود شبحٍ فيها؟ قصة حقيقية! انتبهي! بنيت على أحداثٍ جرت في هذه المدينة التي تهتمين بها.

أمسكت بذراعه، وسحبته بعيداً عن صف الأعمدة المزدهم إلى الفضاء الانفرادي الأوسط للميدان ثم قالت بلهفة:

• أخبريني الآن! هنا، حيث لا يوجد أحد بالقرب منا، كيف أنا مهتمة بها؟ كيف؟ كيف؟

لا تزال تمسك بذراعه، وتمزقه بصبرٍ نافذ لسماح الكشف القادم، تردد للحظة، حتى الآن، مستمتعةً بإيمانها الجاهل بنفسها، كان يتحدث من باب الدعابة المجردة، الآن ولأول مرة، متأثراً برغبتها التي لا تقاوم، بدأ يفكر فيما يدور حوله من وجهة نظر أكثر جدية، بمعرفتها بكل ما مر في القصر القديم، قبل تحوله إلى فندق، كان من الممكن بالتأكيد أن تقترح بعض الشرح لما حدث لأخيه وأخته وله نفسه، أو إذا فشلت في القيام بذلك، فقد تكشف عن غير قصدٍ بعض الأحداث في تجربتها الخاصة والتي تعمل بمثابة تلميح إلى مختص مسرحي، قد يكون ما يصنع مسرحية، كان ازدهار مسرحه هو الشيء الجاد الوحيد في حياته، وقال:

• قد أمشي على أثر (أخوة كورسيكان) آخر.. قطعة جديدة من هذا النوع ستضع في جيبي عشرة آلاف جنيه على الأقل.



بمذه الدوافع - التي تستحق التفاني الخالص في الأعمال  
الدرامية والتي جعلت فرانسيس مديرًا ناجحًا - تحدث دون مزيد من  
التردد عن تجربته الخاصة، وما كانت تجربة أقاربه في الفندق المسكون،  
حتى أنه وصف اندلاع حالة الرعب الخرافية التي هربت من فم  
خادمة السيدة (نوريري) الجاهلة..

• أحداث محزنة، إذا نظرت إليها بشكلٍ معقول.

هناك شيءٌ مثير في مفهوم التأثير الشبحي، يجعل نفسه مشعورًا  
بالعلاقات في تعاقب، حيث يدخلون واحدًا تلو الآخر إلى الغرفة  
المميتة، حتى يأتي القريب المختار الذي سيرى المخلوق الغريب،  
ويعرف الحقيقة الرهيبة، مادة للمسرحية، كونتيسة، مادة من الدرجة  
الأولى للمسرحية!

هناك توقف.. لم تتحرك أو تتكلم، انحنى ونظر إليها عن كثب.

ما الانطباع الذي تركه؟ لقد كان انطباعًا أخفقت براعته  
القصوى في توقعه، وقفت بجانبه تمامًا كما وقفت أمام (أغنيس) -  
عندما أجابت سؤالها عن (فيراري) بشكلٍ واضحٍ أخيرًا - كما لو  
كانت امرأة تتحول إلى حجر، كانتا عيناها شاغرتين وجامدتين،  
تلاشت كل الحياة في وجهها، جذب (فرانسيس) يدها الباردة مثل  
الرصيف الذي يقفان عليه، سألها عما إذا كانت مريضة.

لم تتحرك بها عضلة واحدة، كأنه يتحدث إلى امرأة ميتة.. قال:

• أنت بالتأكيد لست بالغباء الكافي لأخذ ما قلته على محمل

الجد؟

تحركت شفتها ببطء، كما يبدو، كانت تبذل جهداً للتحدث

معه.

قال:

• بصوتٍ أعلى، لا أستطيع سماعك.

كافحت لاستعادة حواسها، بدأ ضوءٌ خافت في تلطيف النظرات الباردة الباهتة بعينيهما، بعد قليلٍ تحدثت حتى يسمعها.

• لم أفكر في العالم الآخر قط.

تمتت بنبرةٍ منخفضة باهتة، مثل امرأةٍ تتحدث في نومها.

عاد عقلها إلى يومٍ آخر، مقابلة لا تستطيع نسيانها مع (أغنيس).. كانت تتذكر ببطءٍ الاعتراف الذي أفلت منها، كلمات التحذير التي قالتها في ذلك الوقت الماضي، نظر إليها (فرانسيس) في حيرة، غير قادر على فهم ذلك، استمرت بالنبرة الفارغة الباهتة نفسها، تتبع بثباتٍ مسارها الفكري، عيناها الغافلتان على وجهه، وعقلها الضال بعيداً عنه.

• قلت أن حدثاً تافهًا سيجمعنا المرة القادمة، لقد كنت مخطئة، لن يجمعنا أي حدثٍ تافه، قلت أنني قد أكون الشخص الذي سيخبرها بما حدث لـ (فيراري) إذا أجبرتني على ذلك، هل سأشعر بتأثيرٍ آخر غير تأثيرها؟ هل سيغيرني على ذلك؟ وعندما تراه، هل سأراه أيضًا؟

غرق رأسها قليلاً، انخفضت جفونها الثقيلة ببطء؛ تنفست تنهيدة طويلة ضعيفة بضجر، أمسك (فرانسيس) ذراعها بيده وحاول إيقاظها..

• تعالي يا كونتيسة، أنت مرهقة ومنهكة، لدينا ما يكفي من الكلام حتى الليل، دعيني أراك تعودين بأمانٍ إلى فندقك، هل هو بعيد عن هنا؟

قالت عندما تحرك، وأجبرها على التحرك معه، وكأنه أيقظها فجأة من نوم عميق:

• ليس بعيدًا، الفندق القديم على الرصيف، ذهني في حالة غريبة، لقد نسيت الاسم.

• دانييلي؟

• نعم!

قادها بسبطيء.. رافقته في صمت حتى نهاية الساحة هناك، عندما كشف المنظر الكامل للبحيرة المقمرة عن نفسه، أوقفته عندما استدار نحو "ريفنا ديجلي شيافوني" وهي واجهة بحرية..

• هناك شيءٌ أود أن أسألك عنه، لكن أرغب في الانتظار والتفكير.

استعادت فكرتها المفقودة بعد توقفٍ طويل، وسألت:

• هل ستنام في الغرفة الليلة؟

أخبرها أنها كانت في حيازة مسافرٍ آخر تلك الليلة، وأضاف قائلاً:

• لكن المدير حجزها لي غدًا، إذا كنت أرغب في الحصول عليها.

قالت:

• لا، يجب أن تتخلى عنها.

- إلى من؟
- إلي!
- بعد ما قلته، هل ترغبين حقًا في النوم بتلك الغرفة ليلة الغد؟
- يجب أن أنام فيها.
- ألا تخافين؟!
- أنا خائفة بشكلٍ رهيب.
- لذلك يجب علي أن أفكر أكثر، بعد ما لاحظته فيك الليلة، لماذا عليك أن تأخذي الغرفة؟ لست مجبرَةً على النزول فيها، إلا إذا أردت.
- لم أكن مضطرة للمجيء إلى البندقية، عندما غادرت أمريكا، ومع ذلك جئت إلى هنا، يجب أن آخذ الغرفة، وأحتفظ بها، حتى...
- قطعت تلك الكلمات.. ثم قالت:
- لا تهتم بالباقي، هذا لا يعينك.
- كان من غير المجدي الخلاف معها، غيّر (فرانسيس) الموضوع، وقال:
- لا يمكننا فعل أي شيء الليلة، سآتي إليك صباح الغد، وسأسمع رأيك في ذلك الحين.
- انتقلوا مرة أخرى إلى الفندق، عندما اقتربوا من الباب، سأها (فرانسيس) عما إذا كانت تقيم في البندقية باسمها.
- هزت رأسها..

• بصفتي أرملة أخيك، سأكون معروفة هنا، وبصفتي الكونتيسة (نارونا) سأكون معروفة هنا، أريد أن أكون غير معروفة هذه المرة للغرباء في البندقية؛ أنا أسافر باسم إنجليزي شائع.

ترددت ووقفت ساكنة ثم تمت قائلة:

• ماذا حدث لي؟ أتذكر بعض الأشياء، وأنسى البعض الآخر! لقد نسيت اسم (دانييلي) والآن نسيت اسمي باللغة الإنجليزية.

جذبه على عجل إلى قاعة الفندق، التي علقت على الحائط قائمة بأسماء الزوار.

مررت إصبعها ببطء أسفل القائمة، وأشارت إلى الاسم الإنجليزي الذي افترضته: "السيدة جيمس".

قالت:

• تذكر ذلك عندما تأتي غدًا، رأسي أصبح ثقيلًا، تصبح على خير.

عاد (فرانسيس) إلى فندقه، متسائلًا عما ستجلبه أحداث اليوم التالي، حدث منعطف جديد في شؤونه في غيابه، أثناء عبوره القاعة، طلب منه أحد الخدم السير إلى المكتب الخاص، كان المدير ينتظر هناك، يبدو مشغول البال بشكلٍ خطير، كما لو كان لديه شيءٌ جاد ليقوله، وأعرب عن أسفه لسماع أن السيد (فرانسيس وستويك) واجه، كأفراد الأسرة الآخرين، مصادر جديدة للانزعاج في الفندق الجديد، كان قد أُبلغ بسريةٍ تامة عن اعتراض السيد (ويستويك) الغير عادي على جو غرفة النوم في الطابق العلوي، وبدون افتراضية

مناقشة الأمر، طلب إعفائه من حجز الغرفة للسيد (ويستويك) بعد ما حدث.

أجاب (فرانسيس) بحدة، منزعجًا من النبرة التي تحدث بها المدير معه:

• ربما وعلى الأرجح، كنت سأرفض النوم في الغرفة، لو حجزتها، هل تتمنى أن أغادر الفندق؟  
رأى المدير الخطأ الذي ارتكبه، فأسرع لإصلاحه..

• بالتأكيد لا يا سيدي! سنبذل قصارى جهدنا لنجعلك مرتاحًا أثناء إقامتك معنا، أستمحك عذرًا، إذا قلت أي شيءٍ سيءٍ إليك، سمعة مؤسسة مثل هذه هي مسألة ذات أهمية بالغة، هل لك أن تسدي لنا معروفًا عظيمًا، وألا تقول شيئًا عما حدث في الطابق العلوي؟ لقد وعد الفرنسيان بإبقاء الأمر سرًّا.

لم يترك هذا الاعتذار لـ (فرانسيس) بديلًا مهذبًا سوى الموافقة على طلب المدير..

• هناك نهاية للمخطط الوحشي للكونتيسة.

فكر عندما استرخى ليلاً.

• هذا أفضل للكونتيسة!

قام في وقتٍ متأخر من صباح اليوم التالي للاستفسار عن صديقيه الباريسيين، أُبلغ أنهما قد غادرا إلى ميلانو، أثناء عبوره الصالة بينما كان في طريقه إلى المطعم، لاحظ رئيس الحمال، يطبع أرقام الغرف على بعض الأمتعة التي كانت تنتظر الصعود إلى الطابق العلوي، جذبت أحد الأمتعة انتباهه بسبب العدد الهائل من

ملصقات السفر القديمة التي تركت عليها، كان (العتال) يضع علامة عليها في ذلك الوقت، إنه الرقم (13 - أ).

نظر (فرانسيس) على الفور إلى البطاقة المثبتة على المقبض، كانت تحمل الاسم الإنجليزي المعروف..

• السيدة (جيمس)؟!!

سأل على الفور عن السيدة، كانت قد وصلت في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، جلست حينها في غرفة القراءة، نظر إلى الغرفة، اكتشف سيدة تجلس وحدها فيها، تقدم أقرب قليلاً، ووجد نفسه وجهاً لوجه مع الكونتيسة.

كانت جالسة في زاوية مظلمة، رأسها لأسفل وذراعاها على صدرها، قالت بعد نفاذ الصبر المرهق، قبل أن يتمكن (فرانسيس) من التحدث إليها:

• اعتقدت أنه من الأفضل عدم انتظارك، لقد عقدت العزم على الوصول إلى هنا قبل أن يتمكن أي شخصٍ آخر من أخذ الغرفة.

سأل (فرانسيس):

• هل حجزتها لفترة طويلة؟  
• أخبرتني أن الأنسة (لوكوود) ستكون هنا في غضون أسبوع، لقد حجزت لمدة أسبوع.

• ما علاقة الأنسة (لوكوود) بها؟

• لهاكل العلاقة، يجب أن تنام في الغرفة، سأعطي الغرفة لها عندما تأتي إلى هنا.

بدأ (فرانسيس) في فهم الغرض الخرافي الذي كانت ترمي إليه،  
صاح قائلاً:

• هل أنت كامرأة متعلمة حقًا تملكين رأي خادمة أختي  
نفسها؟! بافتراض أن خرافاتك السخيفة شيءٌ خطير، فأنت تتخذين  
الوسائل الخطأ لإثبات صحتها، إذا لم أر أنا وأخي وأختي شيئًا،  
فكيف تكتشف (أغنيس لوكوود) ما لم يكشف لنا؟ إنها قريبة بعيدة  
عن عائلة (مونباري).. إنها ابنة عمنا فقط.

أجابت الكونتيسة بصرامة:

• لقد كانت أقرب إلى قلب (مونباري) الذي مات، حتى  
آخر يوم في حياته، ندم زوجي البائس على هجره لها، سترى ما لم يره  
أحدكم، ستكون الغرفة لها.

استمع (فرانسيس) في حيرةٍ من أمره إلى تفسير الدوافع التي  
حركتها، فقال:

• لا أدري ما الذي يدفعك للقيام بهذه التجربة الغريبة!  
• من مصلحتي ألا أجربها! من مصلحتي أن أهرب من  
البندقية، وألا أضع عينًا على (أغنيس لوكوود) أو أفراد عائلتك مرة  
أخرى!

• وما الذي يمنعك من القيام بذلك؟

وقفت ثم نظرت إليه بعنفٍ قائلة:

• لا أعرف ما يمنعني أكثر منك!

انفجرت..



• هناك إرادة أقوى من إرادتي، تدفعني إلى دماري، على الرغم

من نفسي!

جلست فجأة مرة أخرى، ولوحت بيدها ليذهب ثم قالت:

• اتركني، دعني لأفكاري.

تركها (فرانسيس) مقتنعةً بشدة في هذا الوقت بأنها فقدت  
رشدها، لبقية اليوم، لم يرها أبدًا، الليل على حد علمه، مر بهدوء، في  
صباح اليوم التالي، تناول الإفطار في وقتٍ مبكر، وقرر الانتظار في  
المطعم لظهور الكونتيسة، جاءت وطلبت فطورها بهدوء، بدت  
ضجرة ومتهالكة ومنغمسة في ذاتها، كما بدت عندما رآها آخر مرة،  
أسرع إلى طاولتها وسألها عما حدث في الليل.

أجابت:

• لا شيء.

• هل استرحت كالعادة؟

• تمامًا كال المعتاد، هل تلقيت أي رسائل هذا الصباح؟ هل

سمعت أنها قادمة؟

• لم أحصل على أي رسائل، هل حقًا ستبقين هنا؟ ألم تغير

تجربتك الليلة الماضية رأيك الذي أعربت عنه لي أمس؟

• مطلقًا.

تلاشى البريق الحيّ اللحظي الذي عبر وجهها عندما سألته عن

(أغنيس) مرةً أخرى عندما أجابها، فنظرت وتحدثت، تناولت وجبة

الإفطار باستسلامٍ فارغ، كامرأة فقدت الآمال، وخسرت كل

الاهتمامات، خسرت كل شيء ما عدا الحركات الميكانيكية وغرائز الحياة.

خرج (فرانسيس) في رحلة المسافرين الروحية المعتادة إلى مزارات (تيتيان وتينتوريت).. بعد بضع ساعات من الغياب، وجد رسالة تنتظره عندما عاد إلى الفندق، كتبها شقيقه (هنري) وأوصاه بالعودة إلى ميلانو على الفور، حيث كان صاحب المسرح الفرنسي، الذي وصل مؤخرًا من البندقية، يحاول إقناع الراقصة الشهيرة التي اتفق معها (فرانسيس) على كسر العقد معه وقبول راتب أعلى.

بعد أن افتتح بهذا الإعلان المذهل، شرع (هنري) في إبلاغ شقيقه أن اللورد والسيدة (مونتباري) مع (أغنيس) والأطفال، سيصلون إلى البندقية في غضون ثلاثة أيام أخرى، كتب (هنري).. "إنهم لا يعرفون شيئًا عن مغامراتنا في الفندق، وقد أرسلوا برقية إلى المدير عن مكان الإقامة الذي يريدونه، سيكون هناك شيء خرافي سخيف في إعطائهم تحذيرًا من شأنه أن يخيف السيدات والأطفال من أفضل فندق في البندقية، سنكون طرفًا قويًا هذه المرة، حفل قوي جدًا للأشباح! سألتقي بالمسافرين عند وصولهم بالطبع، وسأجرب حظي مرة أخرى فيما تسميه بالفندق المسكون، لقد قطع (آرثر بارفيل) وزوجته بالفعل مسافة بعيدة، ووصلوا ترينت؛ واثنان من قريبات السيدة رتبوا لمرافقتهم في الرحلة إلى البندقية.

قام (فرانسيس) - بشكلٍ منطقيٍّ غاضبًا من سلوك زميله الباريسي - باستعداداته للعودة إلى ميلانو بالقطار في ذلك اليوم.

في طريقه للخروج، سأل المدير عما إذا كان قد استلم برقية من أخيه، وصلت البرقية، ولدهشة (فرانسييس) كانت الغرف قد حجزت بالفعل، فقال ساخرًا:

• اعتقدت أنك سترفض السماح لمزيد من أفراد الأسرة بالدخول إلى الفندق.

أجاب المدير (مع احترام الواجب) بنفس النبرة.

• الغرفة رقم (13-أ) آمنة يا سيدي، وفي حوزة شخصٍ غريب، أنا خادم الشركة، ولا أجرؤ على إخراج الأموال من الفندق. عند سماع ذلك، قال (فرانسييس): وداعًا.

ولم يقل شيئًا أكثر من ذلك، كان يخجل من الاعتراف بذلك لنفسه، لكنه شعر بفضولٍ لا يقاوم لمعرفة ما سيحدث عندما تصل (أغنييس) إلى الفندق، إلى جانب ذلك.. (السيدة جيمس) قد وضعت ثقتها به، ركب زورقه، محترماً ثقة (السيدة جيمس)..

مساء اليوم الثالث، وصل اللورد (مونتباري) ورفاقه في الموعد المحدد لهم.. كانت (السيدة جيمس) جالسةً على نافذة غرفتها تراقبهم، رأت اللورد الجديد يهبط من الزورق أولاً، ساعد زوجته في نزول الدرج، وكان الأطفال الثلاثة بعد ذلك مكلفين برعايته، أخيراً ظهرت (أغنييس) في المدخل الأسود الصغير للزورق، وأخذت يد اللورد (مونتباري) ثم مرت بدورها إلى الدرج، لم تكن تضع حجابًا، عندما تقدمت إلى باب الفندق، لاحظت الكونتيسة بينما تنظر إليها من خلال زجاجة أوبرا، أنها توقفت مؤقتًا لتنظر إلى الجزء الخارجي من المبنى، وأن وجهها كان شاحبًا للغاية.



## الفصل الحادي والعشرون

استقبلت مدبرة الفندق اللورد والليدي (مونتباري) في حين تغيب المدير ليومٍ أو اثنين في عملٍ له علاقة بشؤون الفندق. كان عدد الغرف التي حجزت للمسافرين في الطابق الأول، ثلاثة.. تتألف من غرفتي نوم، تفتح إحداها على الأخرى وتتصلان من جهة اليسار بغرفة المعيشة، وقد أثبتت الترتيبات للغرفة الثالثة - التي كان من المفترض أن تنام بها (أغنيس) وابنة (مونتباري) الكبرى التي عادةً ما كانت تشاركها الغرفة خلال السفر - أنها غير مرضية تمامًا، الحجره على يمين غرفة المعيشة، كانت تشغلها بالفعل أرملة إنجليزية، والحجر الأخرى في النهاية الأخرى للممر كانوا أيضًا محجوزين بالكامل، لذلك لم يكن هناك بديل سوى وضع غرفة أخرى أكثر راحة في الطابق الثاني تحت تصرف (أغنيس).. اشتكت الليدي (مونتباري) من هذا الفصل بين أحد أفراد مجموعة سفرها عن البقية، فألححت مدبرة الفندق بأدبٍ أنه من المستحيل أن تطلب من أحد المسافرين التخلي عن غرفته، كان بإمكانها فقط التعبير عن أسفها وطمأننة الأنسة (لوكوود) أن غرفتها في الطابق الثاني هي واحدة من أفضل الغرف في ذلك القسم من الفندق.

عند ذهاب المدبرة، لاحظت الليدي (مونباري) أن (أغيس) جلست بعيداً، وبوضوح لا تشعر بأي اهتمامٍ في مسألة غرف النوم، هل كانت مريضة؟ لا؛ شعرت ببعض التوتر بسبب رحلة القطار، وهذا كان كل شيء، عند سماع ذلك، اقترح اللورد (مونباري) أن تخرج معه وتقوم بتجربة المشي لنصف ساعة في هواء المساء البارد، قبلت (أغيس) الاقتراح بسرور، اتجها نحو ساحة القديس (مارك) للاستمتاع بالنسيم الذي يهب فوق بحيرة لاغون، كانت زيارة (أغيس) الأولى للبنديقية، طغى سحر المدينة الرائعة بمياهها بتأثيره الكامل على طبيعتها الحساسة، كانت نصف الساعة المقترحة قد انقضت بالفعل، وامتدت إلى نصف ساعة أخرى قبل أن يتمكن اللورد (مونباري) من إقناع رفيقته أن العشاء بانتظارهما، بينما كانا عائدين، مرا تحت رواق الكولوناد، لم يلاحظا السيدة في حدادٍ عميق، تتمشى في فضاء الساحة المفتوح، مشيت عندما لاحظت (أغيس) تسير مع اللورد (مونباري) الجديد، ترددت للحظة ثم تبعتهما، على مسافةٍ قصيرة، عائدة إلى الفندق.

استقبلت السيدة (مونباري) (أغيس) في حالةٍ معنوية عالية، مع أنباء عن حدثٍ وقع في غيابها.. لم تغادر الفندق أكثر من عشر دقائق، قبل أن تحضر مدبرة المنزل ملاحظة صغيرة بالقلم الرصاص إلى السيدة (مونباري).. أثبتت الكاتبة أنها شخص ليس أقل من السيدة الأرملة التي شغلت الغرفة على الجانب الآخر من غرفة المعيشة، والتي كانت سيادتها تأمل عبثاً في تأمينها لـ (أغيس).. الكتابة تحت اسم (السيدة جيمس).. أوضحت الأرملة المهذبة أنها سمعت من مدبرة

المنزل عن خيبة الأمل التي عانت منها السيدة (مونتباري) فيما يتعلق بالغرف، كانت (السيدة جيمس) وحيدة تمامًا، وما دامت حجرة سريرها جيدة التهوية ومريحة، فلا يعينها أن تنام في الطابق الأول أو الثاني من المنزل، ووفقًا لذلك، كان لديها الكثير من المتعة في اقتراح تغيير الغرف مع الأنسة (لوكوود).. تم بالفعل إزالة أمتعتها، ويجب على الأنسة (لوكوود) فقط أن تستحوذ على الغرفة (رقم 13- أ) والتي أصبحت الآن تحت تصرفها بالكامل.

• اقترحت على الفور مقابلة السيدة جيمس.

تابعت السيدة (مونتباري)..

• وأن أشكرها شخصيًا على لطفها الشديد، لكن أبلغت أنها خرجت، دون أن تترك خبرًا في أي ساعة من المتوقع أن تعود، لقد كتبت ملاحظة شكر صغيرة، قائلة:

• يسعدني التعبير شخصيًا عن إحساسنا بلطف (السيدة جيمس) غدًا، في هذه الأثناء يا (أغنيس) لقد طلبت نقل الصناديق الخاصة بك من الطابق السفلي، اذهبي واحكمي بنفسك يا عزيزتي، إذا لم تتخل لأجلك تلك السيدة الطيبة عن أجمل غرفة في الفندق!

بهذه الكلمات، غادرت السيدة (مونتباري) الأنسة (لوكوود) للاستحمام السريع قبل تناول العشاء.

أحدثت الغرفة الجديدة في الحال انطباعًا إيجابيًا عند (أغنيس).. النافذة الكبيرة التي تفتح على الشرفة، تطل على منظرٍ رائعٍ للقناة، نسخت الزخارف على الجدران والسقف بمهارة من التصميم الرائعة والفريدة لرافائيل في الفاتيكان، تحتوي خزانة الملابس الضخمة على

رفوف ذات حجم غير عادي، حيث يمكن أن تستوعب ضعف عدد الفساتين التي تمتلكها (أغنيس) وقد يتم تعليقها بشكلٍ مريح على طولها الكامل، في الزاوية الداخلية للغرفة، بالقرب من رأس السرير، كان هناك غرفة تم تحويلها إلى غرفة ملابس صغيرة، والتي كانت مفتوحة من خلال بابٍ ثانٍ على درج الفندق السفلي، الذي يستخدمه الخدم عادةً، لاحظت (أغنيس) هذه الجوانب من الغرفة في لحظة، أجرت التغيير اللازم في فستانها بأسرع ما يمكن، وفي طريق عودتها إلى غرفة المعيشة، تحدثت معها خادمة في الممر وطلبت مفتاحها، قائلة:

• سأرتب غرفتك لليلة يا آنسة، وسأعيد لك المفتاح إلى غرفة المعيشة.

بينما كانت الخادمة في عملها، سارت سيدة وحيدة حول ممر الطابق الثاني، تراقبها من فوق الدرابزين.. بعد فترة، ظهرت الخادمة ودلوها في يدها، غادرت الغرفة عن طريق غرفة الملابس والسلام الخلفية، عندما غابت عن الأنظار، كانت السيدة في الطابق الثاني (ليس غيرها، ولا داعي للإضافة، الكونتيسة نفسها) ركضت بسرعة على الدرج، ودخلت غرفة النوم من الباب الرئيسي ثم اختبأت في المكان الجانبي الفارغ من خزانة الملابس، عادت الخادمة وأكملت عملها ثم أغلقت باب غرفة الملابس على الجانب الداخلي، وأغلقت باب المدخل الرئيسي عند مغادرتها الغرفة ثم أعادت المفتاح إلى (أغنيس) في غرفة الاستقبال.



كان المسافرون قد جلسوا للتو لتناول العشاء في وقت متأخر، عندما لاحظ أحد الأطفال أن (أغنيس) لم تكن ترتدي ساعتها، هل تركتها في حجرة سريرها عندما كانت في عجلة من أمرها لتغيير فستانها؟ نهضت من على الطاولة على الفور بحثًا عن ساعتها؛ نصحتها السيدة (مونتباري) عندما خرجت لتتأكد من أمن حجرة نومها في حالة وجود لصوص في الفندق، وجدت (أغنيس) ساعتها منسية على منضدة المرايا كما توقعت، قبل أن تغادر الغرفة مرة أخرى، تصرفت بناءً على نصيحة السيدة (مونتباري) وحاولت استخدام المفتاح في غلق باب غرفة الملابس، كان آمنًا، غادرت غرفة النوم وأغلقت الباب الرئيسي خلفها.. فور مغادرتها، غامرت الكونتيسة - التي خنقها الهواء المحصور في خزانة الملابس - بالخروج من مخبأها إلى الغرفة الفارغة، عند دخولها غرفة تبديل الملابس، استمعت إلى الباب، حتى أخبرها الصمت بالخارج أن الممر خالي، فتحت الباب، خرجت وأغلقتة مرة أخرى بهدوء تاركة الباب، يبدو - عند النظر إليه من الجانب الداخلي - مؤمنًا بعناية كما رأته (أغنيس) عندما جربت المفتاح في القفل بيدها.

بينما كانت عائلة (مونتباري) تتناول العشاء، انضم إليهم (هنري ويستويك) الذي قدم من ميلانو، عندما دخل الغرفة، ومرة أخرى عندما تقدم لمصافحتها، أدركت (أغنيس) شعورًا كامنًا، أطلق العنان بسرية لفرحة (هنري) الواضحة بلقائهما مجددًا، للحظة فقط، تبادلت معه النظرات؛ وفي تلك اللحظة أخبرها حدسها أنها شجعته بصمتٍ على الأمل، رأت ذلك في وهج الفرح المفاجئ الذي غطى

وجهه، ولجأت بشكلٍ مرتبكٍ إلى الاستفسارات التقليدية المعتادة المتعلقة بالأقارب الذين تركهم في ميلانو.

أخذ مكانه على الطاولة، وقدم وصفًا ممتعًا لموقف شقيقه (فرانسيس) بين راقصة الأوبرا الانتهازية من جهة، ومدير المسرح الفرنسي عديم الضمير من جهةٍ أخرى، تطورت الأمور إلى أقصى حد، حيث تم استدعاء القانون للتدخل، وقرر النزاع لصالح (فرانسيس) عند تحقيقه الانتصار، غادر المدير الإنجليزي ميلانو على الفور، واستدعي إلى لندن بشؤون مسرحه، ورافقته في رحلة العودة كما رافقته في رحلة القدوم، أخته.. قررت السيدة (نوربيري) بعد أن قضت ليلتين من الرعب في فندق البندقية، ألا تدخله مرة أخرى أبدًا، وطلبت إعفاءها من الظهور في مهرجان العائلة لاعتلال الصحة، في سنها هذا، أرهاقها السفر، وكانت سعيدة بالاستفادة من مرافقة شقيقها للعودة إلى إنجلترا.

بينما كان الحديث على مائدة العشاء يجري بسلاسة، حل الليل في السماء، وأصبح من الضروري إرسال الأطفال للنوم. عندما نهضت (أغنيس) لتغادر الغرفة برفقة الفتاة الأكبر، لاحظت بدهشة أن طريقة (هنري) تغيرت فجأة، بدا جادًا ومشغول البال؛ وعندما تمت له ابنة أخته ليلة سعيدة، قال فجأة:

• (ماريان).. أريد أن أعرف في أي جزء من الفندق ستنامين؟

أجابت (ماريان) في حيرةٍ من سؤاله بأنها ستنام كالعادة مع (العمة أغنيس).. تساءل (هنري) غير راضٍ عن هذا الرد عما إذا كانت غرفة النوم قريبة من الغرف التي يشغلها الأفراد الآخرون في

مجموعة السفر، ردًا على الطفلة، وتساؤلًا عما يمكن أن يكون هدف (هنري) ذكرت (أغنيس) التضحية المهذبة التي قدمتها (السيدة جيمس) لراحتها، فقالت:

• بفضل لطف تلك السيدة، بقينا أنا و(ماريان) على الجانب الآخر من غرفة المعيشة فقط.

لم يبد (هنري) أي ملاحظة؛ بدا ساخطًا بشكلٍ غير مفهوم عندما فتح الباب أمام (أغنيس) ورفيقتها ليخرجا، بعد أن تمنى لهما ليلة سعيدة، انتظر في الممر حتى رأها تدخلان غرفة الزاوية المميتة ثم نادى أخاه فجأة:

• تعال يا (ستيفن) ودعنا ندخن!

وبمجرد أن أصبح الشقيقان يتمتعان بحرية التحدث معًا على انفراد، أوضح (هنري) الدافع الذي أدى إلى استفساراته الغريبة عن غرف النوم، كان (فرانسيس) قد أبلغه بالاجتماع مع الكونتيسة في البندقية، وكل ما أعقبه؛ و(هنري) الآن كرر الرواية بعناية لأخيه بكل تفاصيلها، وأضاف قائلاً:

• أنا غير راضٍ عن هدف تلك المرأة في التخلي عن غرفتها بدون إثارة قلق السيدات بإخبارهن بما قلته للتو، ألا يمكنك تحذير (أغنيس) من توخي الحذر في تأمين بابها؟!!

أجاب اللورد (مونتباري) أن التحذير قد وجهته زوجته بالفعل، وأنه يمكن الوثوق بـ (أغنيس) لتعتني بنفسها وزميلتها الصغيرة، بالنسبة للبقية، اعتبر قصة الكونتيسة وخرافاتهما جزءًا من المبالغة

المسرحية، مسلية بدرجةٍ كافيةٍ في حد ذاتها، ولكنها لا تستحق الاهتمام الجاد للحظة.

بينما كان السادة غائبين عن الفندق، أصبحت الغرفة التي كانت مرتبطة بالفعل بالعديد من الظروف المذهلة مؤخرًا، مسرحًا لحدثٍ غريبٍ آخر، كان معنيًا بالطفلة الكبرى للسيدة (مونباري).

كانت (ماريان) الصغيرة مستعدة للنوم كالمعتاد، ولم تنتبه حتى الآن للغرفة الجديدة، عندما ركعت لتتلو صلاتها، صادف أنها نظرت إلى ذلك الجزء من السقف فوقها الذي كان فوق رأس السرير، في اللحظة التالية، أرعبت (أغنيس) عندما بدأت في القفز على قدميها صارخة من الرعب، وتشير إلى بقعة بنية صغيرة على أحد الأجزاء المغطاة بألواحٍ بيضاء في السقف المنحوت، صاحت الطفلة:

• إنها بقعة من الدم! خذيني بعيدًا! لن أنام هنا!

بعد أن رأت بوضوحٍ أنه سيكون من غير المجدي التفكير معها أثناء وجودها في الغرفة، قامت (أغنيس) بلف (ماريان) على عجل في ثوب، وأعادتها إلى والدتها في غرفة المعيشة، هنا.. بذلت السيدتان قصارى جهدهما لتهدئة الفتاة المرتجفة وطمأنتها، ثبت أن الجهد لا طائل منه، الانطباع الذي تولد في عقلها اليافع والحساس، لا يمكن إزالته عن طريق الإقناع، لم تستطع (ماريان) إعطاء أي تفسيرٍ للذعر والرعب الذي استولى عليها، لم تكن قادرة تمامًا على تحديد سبب ظهور بقعة على السقف بلون بقعة من الدم، لقد عرفت فقط أنها يجب أن تموت من الرعب إذا رأت ذلك مرة أخرى، في ظل هذه

الظروف، بقي بديل واحد، تم الترتيب أن تقضي الطفلة الليلة في الغرفة التي تشغلها شقيقتها والمرضة.

بعد نصف ساعة أخرى، كانت (ماريان) نائمة بسلام وذراعها حول عنق أختها، عادت الليدي (مونتباري) مع (أغنيس) إلى غرفتها لترى البقعة في السقف، والتي أخافت الطفلة بشكلٍ غريب، كانت صغيرة جداً لدرجة أنها يمكن إدراكها فقط، وكان من المحتمل أن يكون سببها إهمال عامل، أو عن طريق ماء انسكب عن طريق الخطأ على أرضية الغرفة أعلاه.

قالت ليدي (مونتباري):

• لا أستطيع حقاً أن أفهم لم صنعت (ماريان) هذه الضجة الصادمة لمثل هذا الشيء التافه!  
واقترحت (أغنيس):

• أظن أن الممرضة مسؤولة بطريقةٍ ما عما حدث، ربما كانت تخبر (ماريان) بقصة مأساوية، تركت انطباعها المؤذي وراءها، الأشخاص في موقعها يجهلون للأسف خطورة إثارة خيال الطفل، من الأفضل أن نحذرنا غداً.

نظرت السيدة (مونتباري) حول الغرفة بإعجابٍ قائلة:

• أليست مزينة بشكلٍ جميل؟ أفترض يا (أغنيس) أنك لا تمنعين في النوم هنا بمفردك!

ضحكت (أغنيس) وأجابت:

• أشعر بالتعب الشديد، لدرجة أنني كنت أفكر في أن أمتني لك ليلة سعيدة بدلاً من العودة إلى غرفة المعيشة.

استدارت السيدة (مونتباري) نحو الباب، واستأنفت قائلة:

- أرى علبة الجواهر الخاصة بك على الطاولة، لا بد أن تغلقي الباب الآخر هناك، في غرفة الملابس.

قالت (أغنيس):

- لقد تفقدت ذلك بالفعل، وجربت المفتاح بنفسني، أيمكنني أن أساعد في شيءٍ قبل أن أنام؟
- لا يا عزيزتي، شكرًا لك؛ أشعر بالنعاس بما يكفي.. لذا سأفعل مثلك، أرجو أن تقضي ليلة سعيدة يا (أغنيس) وأحلامًا سعيدة في أول ليلةٍ لك بالبندقية.

## الفصل الثاني والعشرون

بعد أن أغلقت الباب وتأكدت من رحيل الليدي (مونتباري) ارتدت (أغنيس) ثوبها، واتجهت إلى صناديقها المفتوحة، وبدأت في تفريغ الأمتعة، في عجلةٍ من أمرها للاستحمام قبل تناول العشاء، ارتدت الفستان الأول الذي كان ملقياً على وجه الصندوق، وألقت زي سفرها على السرير، فتحت الآن أبواب خزانة الملابس لأول مرة، وبدأت في تعليق فساتينها على المشجب الكبير.. بعد بضع دقائق فقط من هذا العمل، سئمت منه وقررت ترك الصندوق كما هو حتى صباح اليوم التالي، ربح الجنوب الجائرة، التي كانت تهب طوال النهار، ما زالت تسود في الليل، بدا جو الغرفة ثقيل الوطأة؛ ألقت (أغنيس) غطاءً على رأسها وكتفيها، وفتحت النافذة ثم خرجت إلى الشرفة لترى المنظر، كان الليل ثقيلاً ومغطى بالغيوم، لا يمكن رؤية أي شيءٍ بوضوح، بدت القناة تحت النافذة وكأنها خليجٌ أسود، كانت البيوت المقابلة بالكاد مرئية كصفٍ من الظلال، ممتدة بشكلٍ خافتٍ مقابل السماء التي غابت عنها النجوم والقمر، على فتراتٍ طويلة، كانت تسمع صرخة تحذيرٍ من زورقي متأخر، حيث كان يدور حول زاوية قناةٍ بعيدة، وينادي إلى زوارقٍ أخرى ربما تقترب منه في

الظلام، وبين الحين والآخر، كان صوت التجديف في الماء - والذي يقترب خلال الممرات التي تنعدم الرؤية فيها - يدل على اقتراب الزوارق الأخرى التي كانت تعيد الضيوف إلى الفندق، باستثناء هذه الأصوات النادرة، كان الصمت الغامض لمدينة البندقية في تلك الليلة يشبه صمت القبر.

كانت (أغنيس) متكئة على حاجز الشرفة، تنظر بفراغ إلى الفضاء الأسود تحتها، عادت أفكارها إلى الرجل البائس الذي نكث بوعده لها، ومات في ذلك البيت، بدا أن بعض التغيير قد طرأ عليها منذ وصولها إلى البندقية، تأثير جديد ما زال في طور التكوين، ولأول مرة في تجربتها مع نفسها، لم تثر ذكرى (مونتباري) الميت، مشاعر التعاطف والندم فقط في قلبها، غمرها إحساسٌ قويٌّ بالظلم الذي عانت منه، الظلم الذي لم تعد تتعامل معه بتلك الطبيعة اللطيفة والمتسامحة، وجدت نفسها تفكر في الأيام الماضية التي دُلت فيها بالقسوة نفسها التي كان يفكر بها (هنري وستويك).. هي التي وبجته آخر مرة تكلم فيها باستخفافٍ عن أخيه أمامها! انتشر خوفٌ وشكٌّ مفاجئ في نفسها، أذهلها جسدياً ومعنويّاً، استدارت من الهاوية الغامضة إلى المياه المظلمة، وكأن الكآبة التي تكتنفها كانت مسؤولة عن المشاعر التي فاجأها للتو، أغلقت النافذة فجأة، ألقَت معطفها جانباً، وأضاءت الشموع على رف الموقد، مدفوعةً بشغفٍ مفاجئٍ للضوء في عزلة غرفتها.

سطوع الضوء حولها، المتناقض مع الظلام الأسود في الخارج، أعاد معنوياتها، شعرت بأنها تستمتع بالنور كطفل!



حدثت نفسها قائلة: هل سيكون من الجيد أن أستعد للنوم؟ لا! ذهب الشعور بالنعاس الذي شعرت به منذ نصف ساعة، عادت إلى العمل الممل المتمثل في تفرغ صناديقها، بعد بضع دقائق فقط، أصبح العمل مضجراً مرة أخرى، جلست بجانب الطاولة، وأخذت دليلاً مطبوعاً..

"الأزود نفسي بالمعلومات"

فكرت "في موضوع البندقية" ..

شرد انتباهها عن الكتاب قبل أن تقلب الصفحة الأولى منه.. كانت صورة (هنري ويستويك) هي الصورة الرئيسية في ذاكرتها الآن، بعد أن تذكرت أدق الأحداث وتفاصيل الأمسية، فكرت فيما يخصه بطريقة إيجابية ومثيرة للاهتمام، ابتسمت لنفسها بهدوء، وعاد لونها بتدرجات رائعة بينما شعرت بلذة العيش على الحقيقة الكاملة والمؤكد في إخلاصه لها، هل كان اكتئاب الروح الذي عانت منه باستمرار في رحلاتها يُعزى بأي شكلٍ إلى انفصالهما الطويل عن بعضهما البعض؟! ربما شعرت بالمرارة بسبب ندمها العثي عندما تذكرت استقبالها القاسي له في باريس! وفجأة بعد أن أدركت هذا السؤال الجريء، والتخلي عن الذات الذي ينطوي عليه، عادت ميكانيكياً إلى كتابها غير واثقة في الحرية المطلقة لأفكارها، يالها من إغراءات كامنة للحنان المفقود، تجدد مخابئها في ثوب المرأة عندما تكون وحدها في غرفتها بالليل! مع قلبها في قبر الميت (مونتباري).. هل يمكن أن تفكر (أغنيس) في رجلٍ آخر أو تفكر في الحب؟ كم هو عار! للمرة الثانية، حاولت أن تشغل اهتمامها بالدليل، ومرة

أخرى حاولت عبثًا، بعد إلقاء الكتاب جانبًا، التفتت يائسة إلى المهرب الوحيد المتبقي، إلى أمتعتها، وعقدت العزم على إرهاق نفسها دون رحمة، حتى تشعر بالتعب والنعاس بما يكفي للعثور على ملجأ آمن في السرير.

لبعض الوقت، استمرت في العمل الرتيب ونقل ملابسها من صندوقها إلى خزانة الملابس، ذكّرتها الساعة الكبيرة في القاعة - التي أعلنت حلول منتصف الليل - بأن الوقت قد تأخر، جلست للحظة على كرسيٍّ بجانب السرير لتستريح.

لفت الصمت السائد في الفندق انتباهها الآن، واستمر هذا الصمت، هل كان الجميع في الفراش نائمًا ما عداها؟ بالتأكيد حان الوقت لها لتفعل مثل الآخرين! باستعجالٍ متذمّرٍ، قامت مرة أخرى وخلعت ملابسها.. "لقد فقدت ساعتين من الراحة".. فكرت عابسة، تنظر إلى انعكاس صورتها على الزجاج بينما ترتب شعرها لليل..

"لن أستطيع فعل شيء غدًا!"

أشعلت ضوء الليل، وأطفأت الشموع، باستثناء شمعة واحدة، أنزلتها إلى طاولةٍ صغيرة، موضوعة على جانب السرير المقابل للجانب الذي يشغله الكرسي بذراعين، بعد أن وضعت علبة أعواد الثقاب الخاصة بالسفر، والدليل بالقرب من الشمعة، ففي حالة عدم نومها ربما ترغب في القراءة، أطفأت الضوء ووضعت رأسها على الوسادة.. كانت ستائر السرير ملفوفة للخلف للسماح للهواء بالمرور بحرية فوقها، استلقت على جانبها الأيسر، ووجهها بعيدًا عن

الطاولة، بإمكانها رؤية الكرسي بذراعين في ضوء الليل الخافت، كان له غطاء من القماش مرسوم عليه عناقيد كبيرة من الأزهار المتناثرة على أرض خضراء شاحبة، حاولت إرهاب نفسها في النعاس من خلال العد مرارًا وتكرارًا عناقيد الأزهار التي كانت مرئية من زاويتها، تم تشتيت انتباهها مرتين عن العد، بسبب الأصوات في الخارج، والساعة التي تدق نصف ساعة قبل الثانية عشرة.. ثم مرة أخرى، بسقوط زوج من الأحذية في الطابق العلوي، تم إلقاءه لتنظيفه، مع هذا التجاهل البربري لراحة الآخرين الذي يمكن ملاحظته عند البشرية عندما ينزلون في فندق، في الصمت الذي أعقب هذه الاضطرابات العابرة، واصلت (أغنييس) عد الأزهار على الكرسي ببطءٍ أكثر فأكثر، وقبل مضي وقت طويل، أخطأت في الأرقام، حاولت أن تبدأ العد مرة أخرى، ظنت أنها ستنتظر قليلًا أولاً لكنها شعرت بجفونها تتدلى، ورأسها يتكئ إلى أسفل وأسفل على الوسادة، تنهدت بصوتٍ خافت، وغرقت في النوم.

كم من الوقت استغرقت تلك الغفوة الأولى؟! لم تعرف أبدًا، فلم تستطع بعد ذلك إلا أن تتذكر أنها استيقظت فورًا.

اجتازت كل قدرة وكل ذرة إدراك فيها الخط الفاصل بين عدم الإحساس والوعي، إذا جاز التعبير، على قدمٍ وساق، دون أن تعرف السبب، جلست فجأة في السرير، تستمع لكن لا تعرف لماذا! كان رأسها في دوامة، وقلبها ينبض بشدة دون أي سببٍ محدد، لكن وقع حدث تافه خلال الفترة الفاصلة بينما كانت نائمة، فكان قد انطفأ ضوء الليل، وهكذا طبيعيًا، أصبحت الغرفة في ظلامٍ دامس..

تحسست علبة الثقب، وتوقفت بعد العثور عليها، كان هناك شعور غامض بالارتباك، لا يزال في ذهنها، لم تكن في عجلة من أمرها لإشعال الشمعة، كان التوقف في الظلام - في الوقت الحالي - مقبولاً لها.. خلال التدفق الهادئ لأفكارها في ذلك الوقت، سألت نفسها السؤال الطبيعي: ما السبب الذي أيقظها فجأة وهز أعصابها بشكلٍ غريب؟ هل كان تأثير الحلم؟ لم تكن تحلم على الإطلاق أو إذا صح أكثر، لا تتذكر أنها كانت تحلم.

كان لغزاً يفوق إدراكها؛ بدأ الظلام يضطهدها، ضربت عود الثقب على العلبة، وأضاءت شمعتها، عندما نشر ضوء الترحيب نفسه على الغرفة، استدارت من على الطاولة ونظرت نحو الجانب الآخر من السرير، في اللحظة التي استدارت فيها، استحوذت قشعيرة الرعب المفاجئ على قلبها، كما لو كانت تقفل عليها يدٌ جليدية.. لم تكن وحدها في غرفتها! هناك على الكرسي بجانب السرير، ظهرت فجأة تحت تدفق ضوء الشمعة، صورة امرأةٍ مستلقية، كان رأسها متكئاً على الكرسي، ووجهها يقابل السقف، وعيناها مغلقتين، كما لو كانت تغط في نومٍ عميق؛ الصدمة جعلت (أغنييس) عاجزة عن الكلام أو الحركة، كانت أول حركة واعية لها، عندما استعادت سيطرتها على نفسها مرة أخرى، هو أن تتكئ على السرير، وتنظر عن كثبٍ إلى المرأة التي تسللت بشكلٍ غير مفهوم إلى غرفتها في جوف الليل.

لقد كانت نظرة واحدة كافية؛ تراجعت للوراء بصرخة من الدهشة، لم يكن الشخص الجالس على الكرسي سوى أرملة (مونباري) الميت! المرأة التي حذرنا من أنهما ستلتقيان مرة أخرى، وأن المكان قد يكون البندقية!

عادت شجاعته إليها، متأثرةً بالشعور الطبيعي بالسخط الذي أثاره وجود الكونتيسة.

"استيقظي! كيف تجرؤين على المجيء إلى هنا؟! كيف دخلت؟ غادري الغرفة، أو سأستدعي للنجدة!"

رفعت صوتها بينما تقول الكلمات الأخيرة، لم ينتج عنها أي تأثير، انحنى أكثر على السرير، وأمسكت كتفي الكونتيسة بجرأة وهزتها، حتى هذا الجهد لم ينجح في إيقاظ المرأة النائمة، لا تزال مستلقية على الكرسي، ممسوسة بخمودٍ يشبه سبات الموت، لا تشعر بالصوت، أو اللمس، هل كانت نائمة حقًا أم أنها سقطت مغشيًا عليها؟!!

نظرت (أغنيس) إليها عن كثب، لم تفقد وعيها، كان تنفسها مسموعًا، يرتفع وينخفض في شهقات ثقيلة عميقة، وعلى فتراتٍ متقطعة كانت تطحن أسنانها بوحشية، انتشرت جبات العرق بغزارة على جبينها، ارتفعت يداها المشدودتان ثم سقطتا ببطءٍ من وقتٍ لآخر في حجرها، هل كانت تتعذب في حلمٍ ما أم أنها كانت روحياً تستشعر شيئاً مخفياً في الغرفة؟!!

الشك الذي ينطوي عليه هذا السؤال الأخير، كان لا يطاق، أصرت (أغنيس) على إيقاظ الخدم الذين كانوا يراقبون في الفندق

ليلاً.. تم تثبيت مقبض الجرس على الحائط، على جانب السرير من جهة الطاولة، رفعت نفسها من الوضع المنحني الذي كانت تتخذه في النظر عن قرب إلى الكونتيسة؛ واستدارت نحو الجانب الآخر من السرير ثم مدت يدها إلى الجرس، في اللحظة نفسها توقفت ونظرت إلى الأعلى، سقطت يدها على جنبها بلا حول ولا قوة، ارتجفت وارتدت غارقةً على الوسادة.

ماذا رأت؟

لقد رأت دخيلاً آخر في غرفتها.

في منتصف المسافة بين وجهها والسقف، كان هناك رأسٌ بشريٌّ مقطوع عند الرقبة، كراسٍ فصل عن جسده بواسطة المقصلة.

لا شيء يُرى، ولا شيء يُسمع! أعطاهما أي تحذير واضح عن سبب ظهوره، فجأة وبصمتٍ أخذ الرأس مكانه فوقها، لم يمر في الغرفة أي تغيير خارق للطبيعة، كما لم يكن يحدث في تلك اللحظة، الجسد المعذب على الكرسي، النافذة العريضة المقابلة لطرف السرير والليل الأسود خلفها؛ الشمعة المشتعلة على المنضدة، هؤلاء وجميع الأشياء الأخرى في الغرفة بقيت دون تغيير، لكن مع إضافة كائنٍ آخر، فظيع بشكلٍ لا يوصف، إلى بقية الأشياء، كان هذا هو التغيير الوحيد، لا أكثر ولا أقل! على ضوء الشمعة الأصفر، رأت الرأس بوضوح بينما يحوم في الهواء فوقها، نظرت إليه بثبات، مقيدة بالرعب الذي سيطر عليها، لم يكن هناك لحم على الوجه، كان الجلد المنكمش غامقاً ومظلاً، كجلد مومياءٍ مصرية باستثناء الرقبة، كان اللون هناك أفتح، ظهرت بقع بلون تلك البقعة الحمراء على السقف،

والتي صورها خيال الطفلة المرعوبة على أنها بقعة من الدم، بقايا رفيعة من شارب وشعيرات متباينة اللون، معلقة فوق الشفة العليا، وفوق التجاويف حيث كان الخدان موجودين مسبقاً، هذا فقط ما جعل الرأس يعرف بأنه رأس رجل، كان الموت والوقت قد طمس كل الملامح بنجاح، الجفون مغلقة، وشعر الجمجمة، الذي تغير لونه كشعر الوجه، قد احترق في بعض الأماكن، أظهرت الشفتان اللتان تمزقهما ابتسامة ثابتة، الصف المزوج من الأسنان، كان الرأس ساكناً تماماً عندما رآته في بادئ الأمر ثم بدرجاتٍ بطيئة، بدأ ينزل نحو (أغنيس) المستلقية تحته، بدرجاتٍ بطيئة، تلك الرائحة الغريبة المختلطة، التي اكتشفها المفوضون في أقبية القصر القديم، والتي هاجمت (فرانسيس وستويك) في غرفة نوم الفندق، نشرت زفيرها النتن في أنحاء الغرفة، لأسفل وأسفل، تقدم الشيء البشع تقدماً بطيئاً حتى توقف قرب (أغنيس).. توقف واستدار ببطءٍ حيث قابل وجه المرأة المقلوب على الكرسي، توقف للحظة، بعد ذلك أزعجت حركة غير طبيعية الراحة الجامدة للوجه الميت، فتحت الجفون المغلقة ببطء، كشفت العينان عن نفسيهما بإشراقٍ مع غشاء الموت الزجاجي، وثبتت نظرتهما المروعة على المرأة في الكرسي؛ رأت (أغنيس) تلك النظرة، كما رأت جفون المرأة الحية تنفتح ببطءٍ كجفون الموتى؛ رأتها تقوم كما لو كانت في طاعةٍ لأمرٍ خفي، ولم ترَ أكثر، الانطباع الواعي الذي تلا ذلك؛ ضوء الشمس الذي يتدفق من النافذة، والحضور الودي للسيدة (مونتباري) بجانب السرير؛ ووجوه الأطفال المندهشة تحتل النظر عند الباب.





## الفصل الثالث والعشرون

"لديك تأثير على (أغنيس).. جرب ما يمكنك القيام به يا (هنري) لجعلها تنظر للأمر بطريقة منطقية، لا يوجد شيء يستحق أن نثير الضجة حوله، طرقت خادمة زوجتي بابها في الصباح الباكر، مع فنجان الشاي المعتاد، وعندما لم تحصل على إجابة، ذهبت إلى غرفة الملابس، وجدت الباب على هذا الجانب مفتوحًا، ورأت (أغنيس) على السرير في نوبة إغماء، بمساعدة زوجتي، أعادوها إلى وعيها مرة أخرى؛ وروت لنا القصة غير العادية التي ذكرتها لك للتو، يجب أن تكون قد رأيت بنفسك أنها قد أرهقت للغاية، الفتاة المسكينة، بسبب رحلاتنا الطويلة عبر السكك الحديدية، أعصابها تالفة، وهي الشخص الملائم ليخيفه حلمٌ بكل سهولة، لكنها ترفض بعنادٍ قبول هذا الرأي العقلاني، لا تظن أنني كنت شديدًا معها! فعلت كل ما أقدر عليه لتغيير مزاجها، لقد كتبت إلى الكونتيسة (باسمها المفترض) لعرض إعادة الغرفة إليها، فرفضت بشكلٍ قاطعٍ العودة إليها، وبناءً على هذا، رتبت - حتى لا ينتشر الأمر في الفندق - أن أنام في الغرفة لمدة ليلة أو ليلتين، وأن تغادر (أغنيس) لتستعيد معنوياتها وتبقى تحت رعاية زوجتي، هل هناك أي شيء

يمكنني القيام به؟ مهما كانت الأسئلة التي وجهتها لي (أغنيس) فقد أجبتهما بأفضل ما لدي، إنها تعرف كل ما أخبرتني به عن (فرانسيس) والكونتيسة الليلة الماضية، لكن حاولت بقدر ما استطعت، ولم أستطع تهدئة عقلها، لقد تخلّيت عن المحاولة، وتركتهما في غرفة المعيشة.. اذهب كصديق جيد، وجرب ما يمكنك فعله لتهدئتهما."

بهذه الكلمات، شرح اللورد (مونتباري) القضية لأخيه من وجهة نظرٍ عقلانية، لم يبد (هنري) أي ملاحظة، ذهب مباشرةً إلى غرفة المعيشة، وجد (أغنيس) تمشي بسرعة إلى الأمام والخلف، منفعلّة وهائجة..

• إذا أتيت إلى هنا لتخبرني بما قاله أخوك لي!

انفجرت، قبل أن يتمكن من الكلام..

• جنب نفسك المتاعب، لا أريد المنطق السليم، أريد صديقًا حقيقيًا يصدقني.

أجاب (هنري) بهدوء:

• أنا ذلك الصديق يا (أغنيس) وأنتِ تعرفين ذلك.

• هل تصدق حقًا بأنني لم أنخدع بحلم؟

• أثق أنك لم تنخدعي بشيءٍ معين على الأقل.

• أي شيء؟

• فيما قلته عن الكونتيسة، إنه صحيح تمامًا...

أوقفته (أغنيس)..

• لماذا أسمع هذا الصباح فقط أن الكونتيسة والسيدة

(جيمس) هما الشخص نفسه؟!!

سألت بارتياب..

- لماذا لم يتم إخباري بهذا الليلة الماضية؟!
- أجاب (هنري):

• هل نسيت أنك قبلت تبادل الغرف قبل وصولي إلى البندقية؟ شعرت برغبةٍ شديدة لإخبارك، حتى في ذلك الوقت، لكن ترتيبات نومك في الليل كانت قد تمت كلها؛ كنت سأزعجك وأقلقك فقط، لذا انتظرت حتى الصباح بعد أن سمعت من أخي أنك تأكدت بنفسك أن الغرفة آمنة من أي اقتحام، من المستحيل معرفة كيف تم هذا التطفل! لا يسعني إلا أن أؤكد أن وجود الكونتيسة بجوار سريرك الليلة الماضية، لم يكن حلمًا، نيابةً عنها يمكنني أن أشهد أن ذلك كان حقيقة.

كررت (أغنيس) بلهفةٍ قائلة:

- نيابةً عنها! هل رأيتها هذا الصباح؟
- رأيتها منذ عشر دقائق.
- ماذا كانت تفعل؟
- كانت منشغلة بالكتابة، لم أتمكن حتى من جعلها تنظر إلي حتى فكرت في ذكر اسمك.

• لقد تذكرني بالطبع؟

- لقد تذكرتك بصعوبة، وبعد أن اكتشفت أنها لن تجيبني بأي شروطٍ أخرى، سألتها كما لو كنت قد أتيت منك مباشرةً ثم تحدثت، لم تعترف فقط أن لديها الدافع الخرافي نفسه لوضعك في تلك الغرفة الذي اعترفت به لـ (فرانسيس) بل أكدت أنها كانت

بجانب سريرك، تراقب طوال الليل "لترى ما رأيت" كما عبرت عن الأمر، عندما سمعت هذا، حاولت إقناعها أن تحبرني كيف دخلت الغرفة! لسوء الحظ، لفتت انتباهها مخطوطتها التي على الطاولة، وعادت إلى كتابتها قائلة: "البارون يريد المال، يجب أن أواصل مسرحيتي."

من المستحيل في الوقت الحاضر، اكتشاف ما رآته أو حلمت به أثناء وجودها في غرفتك، الليلة الماضية، ولكن بالحكم على ما قاله أخي عنها، وكذلك من خلال ما أتذكره عنها بنفسي، فهناك تأثيرٌ ما أدى إلى تغيير ملحوظ في هذه المرأة البائسة إلى الأسوأ، عقلها منذ الليلة الماضية مشوش جزئياً، أحد الأدلة على ذلك، أنها تحدثت معي عن (البارون) كما لو أنه لا يزال رجلاً حياً! عندما رآها (فرانسيس) أعلنت أن (البارون) قد مات، وهذه هي الحقيقة، أظهر لنا قنصل الولايات المتحدة في ميلانو، إعلان الوفاة في إحدى الصحف الأمريكية، وبقدر ما أستطيع أن أرى، يبدو أن العقل الذي لا تزال تمتلكه، منغمسٌ تماماً في فكرةٍ واحدةٍ سخيفة، فكرة كتابة مسرحية لـ (فرانسيس) لإخراجها في مسرحه، يعترف أنه شجعها على الأمل في الحصول على المال بهذه الطريقة، أعتقد أنه أخطأ، ألا تتفقين معي؟!!

دون الالتفات إلى السؤال، نهضت (أغنيس) فجأة من كرسيها

قائلة:

• أتستطيع فعل شيءٍ آخر لأجلتي يا (هنري)؟!.. يجب أن تصطحبني إلى الكونتيسة في الحال.

تردد (هنري) وسأل قائلاً:

- هل أنت مهياة لرؤيتها بعد الصدمة التي تعرضت لها؟
- ارتجفت، تسلل الاحمرار من وجهها، وتركه شاحبًا بشكلٍ قاتل، لكنها تمسكت بقرارها، وقالت بصوتٍ خافت:
- أسمعت عما رأيته الليلة الماضية؟! قاطعها (هنري) قائلاً:

- لا تتحدثي عن ذلك! لا ترهقي نفسك بلا فائدة.
- يجب أن أتحدث! عقلي مليء بالأسئلة المروعة حول هذا الموضوع، أعلم أنني لا أستطيع التعرف عليه، ومع ذلك أستمر في سؤال نفسي مرارًا وتكرارًا، في صورة من ظهر؟ هل كانت صورة فيراري أم أنه...؟

توقفت مرتجفة.. ثم استأنفت بقوة:

- الكونتيسة تعرف، يجب أن أرى الكونتيسة! سواء خذتني شجاعتي أم لا! يجب أن أقوم بالمحاولة، خذني إليها قبل أن يكون لدي وقت لأشعر بالخوف منها!

نظر إليها (هنري) بقلقٍ وقال:

- إذا كنت متأكدةً حقًا من قرارك، فأنا أتفق معك، كلما رأيته مبكرًا كان ذلك أفضل، هل تتذكرين مدى الغرابة التي تحدثت بها عن تأثيرك عليها عندما اقتحمت غرفتك في لندن؟

• أتذكرها تمامًا، لماذا تسأل؟

- لهذا السبب، في حالتها العقلية الراهنة، أشك أنها ستكون قادرة على الاستمرار بفكرتها الجامحة عنك كملاك منتقم سيحاسبها

على أفعالها الشريرة، لكن قد يكون من الجيد تجربة ما يمكن أن يفعله تأثيرك بينما لا تزال قادرة على الشعور به.

انتظر لسماع ما ستقوله (أغنيس) فجذبت ذراعها، وقادته في صمتٍ إلى الباب.. صعدوا إلى الطابق الثاني، وبعد أن طرقا، دخلا غرفة الكونتيسة، كانت منشغلة بالكتابة، عندما رفعت عينها عن الورقة ورأت (أغنيس).. كان تعبير الشك الفارغ هو التعبير الوحيد في عينها السوداوين، بعد لحظاتٍ قليلة، بدا أن الذكريات والصلات المفقودة، تعود إلى ذهنها ببطء، سقط القلم من يدها منهكة ومرتجفة، نظرت عن كذب إلى (أغنيس) وتعرفت إليها أخيراً..

• هل حان الوقت؟

قالت بصوتٍ منخفضٍ ممتلئ بالرهبة.

• أعطني راحةً أطول قليلاً، لم أكمل كتابتي بعد!

سقطت على ركبتيها، وبسطت يديها متوسلة، لم تكن (أغنيس) قد تعافت بعد الصدمة التي عانت منها في الليل، أعصابها أضعف من أن تقاوم الإجهاد الذي حل عليها الآن، لقد أذهلها التغيير في الكونتيسة لدرجة أنها كانت في حيرةٍ مما يجب أن تقوله أو تفعله بعد ذلك، اضطر (هنري) للتحدث معها، قال بينما يخفض صوته:

• اطرحي أسئلتك، ما دامت لديك الفرصة، أترين؟! النظرة

الفارغة تطأ وجهها مرة أخرى.

حاولت (أغنيس) جمع شجاعته..

• كنتِ في غرفتي الليلة الماضية...

قالت، وقبل أن تتمكن من إضافة كلمةٍ أخرى، رفعت الكونتيسة يديها في وضعٍ متشابكٍ فوق رأسها بأنينٍ خافتٍ من الرعب! تراجعت (أغنيس) إلى الوراء، واستدارت كما لو كانت ستغادر الغرفة، أوقفها (هنري) وطلب منها أن تحاول مرةً أخرى، أطاعته بعد جهدٍ، واستأنفت قائلة:

• لقد نمت الليلة الماضية في الغرفة التي تخلّيت عنها لي، لقد رأيت...  
فجأةً نهضت الكونتيسة على قدميها، وصرخت قائلة:

• ليس المزيد من السؤال عن الليلة الماضية، أوه، يا للهول! هل تعتقدين أنني أريد أن تخبريني بما رأيت؟ هل تعتقدين أنني لا أعرف ماذا يعني ذلك بالنسبة لك ولي؟! قرري بنفسك يا آنسة، اسألي عقلك، هل تأكدتِ أن يوم الحساب قد جاء أخيراً؟ هل أنتِ مستعدة لتتبعيني عبر جرائم الماضي إلى أسرار الموتى؟

رجعت إلى طاولة الكتابة دون انتظار الرد، عيناها تومضان وعادت كما كانت من قبل بينما تتحدث، فقط للحظة، أصبحت الحماسة القديمة والاندفاع منهكين تقريباً، غرق رأسها، تنهدت بشدة بينما تفتح درجاً في المكتب، أخرجت ورقة من الرف مغطاة بكتابة باهتة، كانت بعض النهايات الممزقة من الخيوط الحريرية، لا تزال معلقة بالورقة، كما لو كانت ممزقة من كتاب.

سألت:

• أيمكنك قراءة الإيطالية؟

ثم سلمت الورقة لـ (أغنيس).

أجابت (أغنيس) بإيماءةٍ من رأسها.

تابعت الكونتيسة قائلة:

• كانت الورقة ذات يوم تنتمي إلى كتابٍ في المكتبة القديمة للقصر بينما كان هذا المبنى لا يزال قصرًا، ليس عليك أن تعلمي من مزقها، ولأي غرضٍ تم تمزيقها، هذا قد تكتشفينه بنفسك، إذا أردت، اقرأيها أولاً، ابدأي بالسطر الخامس من أعلى الصفحة.

شعرت (أغنيس) بالحاجة الماسة لجمع نفسها، فقالت لـ

(هنري):

• أعطني كرسيًا، وسأبذل قصارى جهدي.

وقف خلف كرسيها حتى يتمكن من النظر فوق كتفها، ومساعدتها على فهم الكتابة على الورقة بتحويلها إلى العربية، قرأت على النحو التالي:

لقد أكملت الآن بحثي الأدبي للطابق الأول من القصر، بناءً على رغبة راعي النبيل والكريم، سيد هذا الصرح المجيد، صعدت بعد ذلك إلى الطابق الثاني، وأكملت كتيبي أو وصفي للصور والزخارف والكنوز الفنية الأخرى الموجودة فيه لأبدأ بغرفة الزاوية في الطرف الغربي من القصر، والتي تسمى غرفة (كارياتايدس) تيمناً بالتماثيل التي تدعم رف موقد النار، هذا العمل حديث التنفيذ نسبيًا، يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر فقط، ويكشف عن الذوق الفاسد لهذه الفترة في كل جزءٍ منها، ومع ذلك، هناك اهتمام معين يتعلق بقطعة رف الموقد، فهي تخفي محباً مبنياً بذكاء، بين أرضية الغرفة وسقف الغرفة التي تقع تحتها، والذي تم إنشاؤه خلال الأيام الشريرة الأخيرة



للمحكمة الكنسية<sup>(3)</sup> في البندقية، قيل إن المخبأ أنقذ واحداً من أجداد سيدي الكريم الذي لاحقته تلك المحكمة الرهيبة.

مكان الإخفاء الغريب هذا الذي تم الاحتفاظ به في حالة جيدة من قبل اللورد الحالي كنوعٍ من الفضول، له آلية عمل محددة، تنازل ليريني طريقة عملها بتقريب الكاريا تايدس من بعضهم البعض، تضع يدك على الجبهة (في منتصف المسافة بين الحاجبين) من الجسم الموجود على يسارك بينما تقف مقابل الموقد ثم تضغط على الرأس للدخول كما لو كنت تدفعه داخل الحائط، بفعل هذا تكون قد حركت الماكينة المخفية في الجدار، والتي تدير حجر الموقد على محور، وتكشف عن المكان الأجوف أدناه، هناك مساحة كافية لرجلٍ ليستلقي بسهولة على طوله الكامل، طريقة إغلاق الفجوة مرةً أخرى بسيطة بالقدر نفسه، تضع كلتا يديك على صدغ الجسم؛ وتسحبه نحوك، وسيدور حجر الموقد إلى موضعه الصحيح مرةً أخرى.

قالت الكونتيسة:

• ليس عليك أن تقرأي أكثر من ذلك، لكن احرصي على تذكر ما قرأته.

أعدت الورقة إلى مكتبها ثم أغلقتها، وسارت في طريقها إلى الباب.. ثم قالت:

• تعالوا! لنرى ما أسماه الفرنسي الساخر (بداية النهاية).

---

(3) المحكمة الكنسية: محكمة أنشأها البابا غريغوري التاسع 1232 لقمع البدع، كانت نشطة بشكلٍ رئيسي في شمال إيطاليا وجنوب فرنسا، واشتهرت باستخدام أساليب تعذيب مريعة.

كانت (أغنيس) بالكاد قادرة على النهوض من كرسيها؛ ارتجفت من رأسها إلى قدمها، قدم لها (هنري) ذراعه لدعمها، وهمس قائلاً:

• لا تخافي شيئاً؛ سأكون معك.

سارت الكونتيسة على طول الممر تجاه الغرب، وتوقفت عند الباب رقم (38).. كانت هذه هي الغرفة التي يسكنها (البارون ريفار) في الأيام الخوالي للقصر؛ تقع مباشرةً فوق حجرة النوم التي قضت فيها (أغنيس) ليلتها، كانت الغرفة فارغة خلال اليومين الماضيين، أظهر عدم وجود أمتعة بداخلها، عندما فتحوا الباب، أنه لم يتم شغلها بعد.

قالت الكونتيسة مشيرةً إلى الجسم المنحوت في المدفأة:

• أترونه؟ هل استحق الآن أن تلينوا العدل بالرحمة؟ أعطوني بضع ساعات إضافية.. (البارون) يريد المال، يجب أن أستمّر في المسرحية.

ابتسمت بفراغ، وافتعلت حركة الكتابة بيدها اليمنى حين نطقت الكلمات الأخيرة، جهد التركيز في موضوعاتٍ أخرى أقل ارتباطاً بموضوع النقص الدائم للمال في حياة (البارون) والاحتمال الغامض لتحقيق مكاسب من المسرحية غير المكتملة، أو هن عقلها، كما بدا من الواضح أنها استنفدت احتياطاتها الضعيفة من القوة، وعندما وافقوا على طلبها، لم توجه أي تعبيرٍ عن الامتنان إلى (أغنيس).. قالت فقط:

• لا شعري بالخوف يا آنسة، من محاولتي الهروب منك، فأنا يجب أن أكون حيث تكونين، حتى تأتي النهاية.  
تجولت عيناها حول الغرفة بنظرةٍ أخيرةٍ مرهقةٍ ومخدرةٍ ثم عادت إلى كتابتها بخطواتٍ بطيئةٍ واهنةٍ كخطوات سيدة عجوز.



## الفصل الرابع والعشرون

تركت (هنري) و(أغنيس) وحدهما في غرفة الكارياتايديس، الشخص الذي كتب وصف القصر، ربما كان مؤلفاً فقيراً أو فناناً، قد أشار بشكلٍ دقيقٍ إلى عيوب رف الموقد، كان الذوق السيئ - الذي ظهر على أوسع نطاق من تكلفةٍ وترف - مرئياً في كل جزءٍ منه، ومع ذلك فقد حظي بإعجابٍ كبيرٍ من قبل الجهلة المسافرين من جميع الطبقات؛ ويرجع ذلك جزئياً إلى حجمه المهيّب، وجزئياً بسبب عدد الكرات متعددة الألوان التي ابتكرها النحات لإدخالها في تصميمه، عُرضت صور الرف في الغرف العامة، ولاقت بيعاً سريعاً بين زائري الفندق الإنجليز والأمريكيين.

قاد (هنري) (أغنيس) إلى الجسم الموجود على اليسار، بينما كانا يقفان في مواجهة الموقد الفارغ، سألتها:

• هل أجرب أنا أم أنت؟

سحبت ذراعها بشكلٍ مفاجئٍ بعيداً عنه، وعادت إلى الباب

قائلة:

• لا أستطيع حتى النظر إليها، هذا الوجه الرخامي القاسي

يخيفني!

وضع (هنري) يده على جبين المجسم، وسأل مازحًا:

- ما الذي يثير قلقك يا عزيزتي في هذا الوجه الكلاسيكي التقليدي؟

وقبل أن يتمكن من الضغط على الرأس للدخول، فتحت (أغنيس) الباب على عجل، وصرخت قائلة:

- انتظر حتى أخرج من الغرفة! الفكرة المجردة لما قد تجده هناك ترعبي!

نظرت إلى الغرفة مرةً أخرى بينما تعبر العتبة قائلة:

- لن أتركك تمامًا، سأنتظر بالخارج.
- أغلقت الباب، تركت (هنري) بمفرده، رفع يده مرةً أخرى إلى الجبهة الرخامية للمجسم.

للمرة الثانية، تم فحصه من حيث وضع آلية المخبأ في الحركة، وبهذه المناسبة جاء ما قاطعه وكان اندلاع أصوات ودية في الممر، هتف صوت امرأة:

- عزيزتي (أغنيس) كم أنا سعيدة برؤيتك مرةً أخرى!

تبع ذلك صوت رجل، وتقديم أحد الأصدقاء إلى (الآنسة لوكوود).. صوت ثالث (الذي عرفه هنري بأنه صوت مدير فندق) بعد ذلك، يوجه مدبرة المنزل لتعرض على السيدات والسادة الشقق الشاغرة في الطرف الآخر من الممر، قال المدير:

- إذا احتجتم المزيد من الأماكن للإقامة، لدي غرفة ساحرة هنا.

فتح الباب بينما يتحدث، ووجد نفسه وجهًا لوجه مع (هنري ويستويك).. قال المدير بمرح:

• إنها بالفعل مفاجأة سارة يا سيدي! أنت أيضًا معجب بالمدخنة الشهيرة، كما أرى، هل لي أن أسأل السيد (ويستويك).. كيف تجد نفسك في الفندق هذه المرة؟ هل أثرت التأثيرات الخارقة للطبيعة على شهيتك مرة أخرى؟  
أجاب (هنري):

• لقد تركتني التأثيرات الخارقة للطبيعة وشأني هذه المرة، ربما قد تجد أنهم أثروا على بعض أفراد الأسرة الآخرين.  
تحدث بجدية مستاءً من النبرة المرتاحة التي أشار بها المدير إلى زيارته السابقة للفندق، سأل بغية تغيير الموضوع:

• هل عدت للتو؟  
• في هذه اللحظة يا سيدي، كما كان لي شرف السفر في القطار نفسه مع أصدقائك الذين وصلوا إلى الفندق؛ السيد والسيدة (آرثر بارفيل) ورفاقهم في السفر، الآنسة (لوكوود) معهم، ينظرون إلى الغرف، سيكونون هنا قريبًا، إذا وجدوا أنه من الملائم أكثر وجود غرفة إضافية تحت تصرفهم.

قرر (هنري) استكشاف مكان المخبأ بعد هذا الإعلان، قبل أن تتم مقاطعته، جال بخاطره عندما تركته (أغنييس) أنه ربما يجب أن يكون لديه شاهد، في حالة حدوث اكتشافٍ مقلق، كان المدير المعروف - الذي لا يشك في شيء - تحت تصرفه، التفت مرة

أخرى إلى الجسم الكاريابي، وعزم بشكلٍ خيث على جعل المدير شاهداً له، فقال:

• يسعدني أن أسمع أن أصدقائنا قد وصلوا أخيراً، قبل أن أصافحهم، دعني أطرح عليك سؤالاً حول هذا العمل الفني الغريب هنا، أرى صوراً لها في الطابق السفلي، هل هم للبيع؟

• بالتأكيد يا سيد (ويستويك)!

• هل تعتقد أن هذه المدخنة صلبة كما تبدو؟

تابع (هنري) قائلاً:

• عندما دخلت، كنت أتساءل فقط عما إذا كان هذا الشكل هنا قد أرخى عن غير قصدٍ عن الحائط خلفه.

وضع يده على الجبهة الرخامية للمرة الثالثة..

• من وجهة نظري، يبدو منحرفاً قليلاً عن الوضع العمودي، كاد يخيل لي أنني أستطيع الضغط على الرأس الآن، عندما لمستته.

ضغط على الرأس إلى الداخل بينما يلفظ تلك الكلمات.

سمع على الفور صوت صرير الحديد خلف الحائط، استدار حجر الموقد الصلب أمام المدفأة ببطءٍ عند أقدام الرجلين، وكشف عن تجويف مظلم أدناه، في اللحظة نفسها، فاح خليط الروائح الغريبة والمثيرة للاشمئزاز - الروائح المرتبطة حتى الآن بأقبيبة القصر القديم وحجرة النوم الموجودة تحتها - من الفجوة المفتوحة، وملأت الغرفة.

تراجع المدير للوراء قائلاً:

• يا إلهي.. سيد (ويستويك)!

صاح:



• ماذا يعني هذا؟

لقد تذكر ما شعر به شقيقه (فرانسيس) في الغرفة الموجودة أسفله، وما كانت عليه تجربة (أغنيس) في الليلة السابقة، كان (هنري) مصرّاً على أن يكون على أهبة الاستعداد، رده الوحيد:

• أنا متفاجئ مثلك.

قال المدير:

• انتظري لحظة يا سيدي، يجب أن أمنع السيدات والسادة بالخارج من الدخول.

سارع بعيداً دون أن ينسى إغلاق الباب وراءه، فتح (هنري) النافذة وانتظر هناك، يتنفس الهواء النقي، مخاوف غامضة من الاكتشاف القادم، ملأت عقله لأول مرة، لقد قرر الآن بشكلٍ مضاعف ألا يتحرك خطوة واحدة في التحقيق بدون شاهد.

عاد المدير ويده قطعة شمع، أضاءها بمجرد دخوله الغرفة..

وقال:

• يجب ألا نخاف من المقاطعة الآن، كن لطيفاً يا سيد (ويستويك) واحمل الضوء، إنه عملي أن أعلم ما يعنيه هذا الاكتشاف الاستثنائي.

حمل (هنري) الشمعة، وبالنظر إلى التجويف، من خلال الضوء الخافت والوميض، اكتشف كلاهما جسماً مظلماً في الجزء السفلي منه، فقال المدير:

• أعتقد أنني أستطيع الوصول إلى الهدف، إذا استلقيت، ووضعت يدي في الحفرة.

جنا على الأرض ثم تردد قائلاً:

• هل لك يا سيدي أن تعطيني قفازاتي؟ إنهم في قبعتي، على الكرسي خلفك.

أعطاه (هنري) القفازات..

• لا أدري ماذا يمكن أن أمسك!

أوضح المدير مبتسماً إلى حدٍّ ما بينما يرتدي قفازه الأيمن.

بسط نفسه على الأرض، ومرر ذراعه اليمنى إلى داخل

التجويف قائلاً:

• لا أستطيع أن أحدد ما حصلت عليه! لكنني أمسكته.

رفع نصف جسده ثم سحب يده..

في اللحظة التالية، وقف على قدميه بصرخة هلع! سقط رأس

بشري من قبضته المتوترة على الأرض، وتدحرج نحو قدمي (هنري)..

كان الرأس البشع نفسه الذي رآته (أغنيس) يحوم فوقها في الليل!

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض، كلاهما أصابهما الشعور

المرعب نفسه، كان المدير أول من يتحكم في نفسه قائلاً:

• انظر إلى الباب، ربما سمعني بعض الناس بالخارج.

انتقل (هنري) تلقائياً إلى الباب.

حتى عندما كانت يده على المفتاح جاهزاً لقلقه في حالة

الضرورة، نظر إلى الشيء المروع على الأرض، لم تكن هناك إمكانية

تطابق تلك الأجزاء الفاسدة والمشوهة مع أي كائنٍ حيٍّ آخر رآه،

ومع ذلك كان يدرك أنه يشعر بشكوكٍ غامضة ومروعة، هزته حتى

الروح، الأسئلة التي عذبت عقل (أغنيس) أصبحت الآن أسئلته

أيضاً، فسأل نفسه: "في صورة من كنت قد عرفته قبل أن يبدأ الانحلال؟ شبيه فيراري أم شبيه...؟"

توقف مرتجفاً لأن (أغنيس) توقفت أمامه ترتجف هي الأخرى.. اسم (أغنيس) من بين جميع أسماء النساء التي يعشقها، أصبح يربعه الآن! ماذا سيقول لها؟ ماذا يمكن أن تكون العاقبة إذا وثق بإخبارها بالحقيقة الرهيبة؟

لم تقترب أي خطواتٍ من الباب، لم تكن هناك أصواتٍ مسموعة في الخارج، كان المسافرون منشغلين بالغرف الواقعة في الطرف الشرقي من الممر.

في الفترة القصيرة التي مرت، استعاد المدير حواسه بشكلٍ كافٍ ليتمكن من التفكير مرةً أخرى في مصلحة حياته الأولى والأهم، مصلحة الفندق.. اقترب من (هنري) بقلبي قائلاً:

• إذا عُرف هذا الاكتشاف المخيف، فإن إغلاق الفندق وخراب الشركة سيكونان النتيجة الحتمية، أنا متأكد أنني أستطيع أن أثق بتكتمك يا سيدي، حتى الآن.

أجاب (هنري):

• يمكنك بالتأكيد أن تثق بي، لكن هناك حدود للتكتم، بعد هذا الاكتشاف الذي توصلنا إليه!

لقد فهم المدير أن الواجب الذي يدينون به للمجتمع بصفتهم رجالاً صادقين وملتزمين بالقانون، كان الواجب الذي أشار إليه (هنري) الآن.. فقال:

• سأجد على الفور وسيلة لنقل الرفات بسريةٍ إلى خارج الفندق، وسأضعه بنفسى في رعاية سلطات الشرطة، هل ستغادر الغرفة معى أم أنك لا تعارض أن تراقب هنا وتساعدنى عندما أعود؟ وبينما كان يتحدث، سمعا أصوات المسافرين فى نهاية الممر، وافق (هنرى) على الانتظار بالرفة، لقد كان يتملص من اللقاء المحتوم مع (أغنىس) إذا أظهر نفسه فى الممر بتلك اللحظة.

سارع المدير بالمغادرة كى لا يلاحظه أحد، لكن رآه ضيوفه قبل أن يتمكن من الوصول إلى رأس الدرج، سمع (هنرى) الأصوات بوضوحٍ عندما أدار المفتاح، وبينما كانت دراما الاكتشاف الرهيب، تجري على جانبٍ واحدٍ من الباب، ظهرت أسئلة تافهة حول أماكن التسلية فى البندقية، ومناقشات مضحكة حول المزايا النسبية للطبخ الفرنسى والإيطالى، تجري على الجانب الآخر، شيئًا فشيئًا، أصبح صوت الكلام خافتًا، كان الزوار - الذين رتبوا خططهم الترفهية لهذا اليوم - فى طريقهم للخروج من الفندق، وبعد دقيقة أو دقيقتين، ساد الصمت مرة أخرى.

استدار (هنرى) إلى النافذة، يفكر فى إراحة عقله من خلال النظر إلى شكل القناة المشرق، لكن سرعان ما سئم من المشهد، وأعاد الانبهار المهووس - الذى أشعله الموقف الشنيع - إلى الشيء المروع على الأرض.

حلمٌ أم حقيقة؟! كيف نجت (أغنىس) بعد رؤيته؟! عندما مر السؤال فى ذهنه، لاحظ لأول مرة شيئًا ملقى على الأرض بالقرب من الرأس، عندما نظر عن كثب، رأى علبة ذهبية صغيرة مصنوعة

من (الصفحة) مع ثلاثة أسنان مزيفة متصلة بها، والتي يبدو أنها سقطت (فكت بفعل الارتطام) عندما ترك المدير الرأس ليسقط على الأرض.

أهمية هذا الاكتشاف، وضرورة عدم نقله بسهولة للآخرين، حلت على (هنري).. من المؤكد أن هناك فرصة - إذا بقيت أي فرصة - لتحديد الرفات المروع الذي كان أمامه، الشاهد الغبي على الجريمة! بناءً على هذه الفكرة، استحوذ على الأسنان، قصد استخدامها كوسيلة أخيرة للتحقيق إذا ما تمت تجربة محاولات أخرى للتحقيق وفشلت.

عاد مرة أخرى إلى النافذة؛ بدأت عزلة الغرفة تؤثر على معنوياته، عندما نظر مرة أخرى إلى المنظر، كان هناك طرق خفيف على الباب، سارع إلى فتحه لكنه تردد ودخل رأسه الشك، هل كان المدير هو الطارق؟

نادى قائلاً:

• من هناك؟

أجابه صوت (أغنيس):

• هل لديك أي شيء لتخبرني به يا (هنري)؟

كان بالكاد قادرًا على الرد، فقال في حيرة:

• ليس الآن، ساعجيني إذا لم أفتح الباب، سأحدث إليك بعد

قليل.

سمع الصوت الجميل نفسه مرة أخرى، يتوسل إليه بشفقة

قائلاً:

• لا تتركني وحدي يا (هنري)! لا أستطيع العودة إلى الناس السعداء في الطابق السفلي.

كيف يمكنه مقاومة هذا النداء؟! سمع صوت تنهداها، سمع حفيف ثوبها عندما ابتعدت في يأس، الشيء نفسه الذي تملص من القيام به منذ بضع دقائق هو الشيء الذي فعله الآن! انضم إلى (أغنييس) في الممر، استدارت عندما سمعته، وأشارت مرتجفة تجاه الغرفة المغلقة، سألت بصوتٍ خافت:

• هل الأمر فظيع إلى هذا الحد؟

وضع ذراعه حولها ليواسيها، طرأت فكرة على ذهنه بينما ينظر إليها، تراقب رده في شكٍ وخوفٍ.. قال:

• ستعرفين ما اكتشفته، إذا أردتِ قبعتك ومعطفك أولاً، وتخرجين معي.

اندهشت بشكلٍ طبيعي، وسألت:

• أيمكنك أن تخبرني بدافعك في الخروج؟

اعترف بغرضه بلا تحفظ، وقال:

• أريد إرضاء عقلك وعقلي قبل كل شيء، بشأن موضوع موت (مونتباري).

سأصطحبك إلى الطبيب الذي عاجله في مرضه، وإلى القنصل الذي تبعه إلى القبر.

استقرت عينها على (هنري) بامتنانٍ وقالت:

• أوه، كم تفهمني جيداً!

انضم إليهما المدير في اللحظة نفسها عندما كان في طريقه إلى السلم، أعطاه (هنري) مفتاح الغرفة ثم دعا الخدم في القاعة لتجهيز الزورق عند الدرج.. سأله المدير:

- هل ستغادر الفندق؟
- همس (هنري) مشيرًا إلى المفتاح بحثًا عن دليل:
- إذا أرادت السلطات شيئًا مني، سأعود بعد ساعة.





## الفصل الخامس والعشرون

كان قد حل المساء، ذهب اللورد (موتباري) ومجموعة العرسان إلى الأوبرا، وظلت (أغنيس) وحدها في الفندق متذرة بحجة التعب، بعد أن استمر في إثبات وجوده برفقة أصدقائه في المسرح، تسلل (هنري ويستويك) بعد الفصل الأول، وانضم إلى (أغنيس) في غرفة المعيشة.

"هل فكرت فيما قلته لك باكراً اليوم؟"

سأل بينما كان يجلس بجانبها..

• هل تتفقين معي في أن الشك الرهيب الوحيد الذي اضطهد كلانا قد سكن على الأقل؟

هزت (أغنيس) رأسها بحزن قائلة:

• أتمنى أن أتفق معك يا (هنري).. أتمنى أن أقول بصراحة أن ذهني مرتاح.

هذه الإجابة يمكن أن تشبط عزيمة معظم الرجال لكن كان صبر (هنري) عندما يعني الأمر (أغنيس) مساوياً لأي متطلبٍ آخر عليه، فقال:

• إذا نظرت إلى أحداث اليوم فقط، يجب أن تعترفي أننا لم نشعر بالحيرة بشكلٍ كامل، تذكري كيف خلصنا الدكتور (برونو) من شكوكننا عندما قال: "بعد ثلاثين عامًا من الممارسة الطيبة! هل تعتقدان أنه من المحتمل أن أخطئ في أعراض الوفاة بسبب التهاب الشعب الهوائية؟" إذا كان هناك أي سؤالٍ غير قابل للإجابة، فهناك! هل يعتري الشك أي جزءٍ من شهادة القنصل، وقدمه إلى القصر لتقديم خدماته بعد سماعه بوفاة اللورد (مونتباري)؟ وصل في الوقت الذي كان فيه التابوت بالمنزل؛ لقد رأى الجثة موضوعة فيه كما رأى غطاءها مشدودًا، شهادة الكاهن لا جدال فيها، وقد مكث في الغرفة مع التابوت، يتلو الصلاة على الميت حتى خرجت الجنازة من القصر، ضعي كل هذه التصريحات في اعتبارك يا (أغنيس) وكيف تنكرين أن مسألة موت ودفن (مونتباري) هي مسألة محتومة؟! يتبقى شك واحد، لا يزال يتعين علينا أن نسأل أنفسنا عما إذا كان الرفات الذي اكتشفناه هو للساعي المفقود أم لا! هذه هي الحال كما استوعبها، هل شرحتها بشكلٍ منصف؟

لم تستطع (أغنيس) إنكار أنه وضع الأمر بإنصاف، فسأل (هنري):

• إذا، ما الذي يمنعك من الشعور بالراحة التي أشعر بها؟

أجابت (أغنيس):

• ما رأيته الليلة الماضية يمنعني.

عندما تحدثنا عن هذا الموضوع، بعد انتهاء استفساراتنا، عاتبني للتفكير بما أسميته الرؤية الخرافية، أنا لا أعترف بذلك تمامًا لكنني

أعترف أنه يجب علي أن أنظر إلى وجهة النظر الخرافية بطريقة منطقية إذا سمعتها من شخصٍ آخر، بتذكر ما كنت عليه مع أخيك في الماضي، يمكنني أن أفهم، لم أظهر نفسه لي! للمطالبة بالرحمة ليدفن ويرتاح في قبره، وللانتقام من الجريمة! يمكنني حتى أن أدرك بعض الاحتمالات الباهتة للحقيقة في التفسير الذي وصفته بالنظرية الساحرة، أن ما رأيته قد يكون نتيجة تأثير مغناطيسيٍ وصلني، بينما كنت أستلقي بين بقايا الزوج المقتول فوقي، والزوجة المذنبه التي تعاني من عذاب الندم على فراشي، لكن ما لم أستطع فهمه أنه يجب أن أجتاز تلك المحنة الرهيبة، ليس لي أي معرفة سابقة بالرجل المقتول في حياته - إذا افترضت أنني رأيت فيراري - فأنا أعرفه من خلال الاهتمام الذي أكنه لزوجته، لا أستطيع أن أختلف في الجدل معك يا (هنري) لكنني أشعر أنك قد حُددت، لا شيء سيهز إيماني بأننا ما زلنا بعيدين عن اكتشاف الحقيقة المروعة أكثر من أي وقتٍ مضى.

لم يقم (هنري) بأي محاولةٍ أخرى للنقاش معها، لقد أثارت إعجابه ببعض القبول المتردد لرأيها رغمًا عنه، فسألها:

• هل فكرتِ في طريقةٍ أفضل توصلنا إلى الحقيقة؟ من قد يساعدنا؟ لا شك أن هناك الكونتيسة التي لديها دليل على اللغز، ولكن في الحالة الراهنة لعقلها، هل يجب الوثوق بشهادتها حتى لو كانت على استعدادٍ للتحدث؟.. بناءً على تجربتي معها، يجب أن أقول: "لا".

• تقصد أنك رأيته مرة أخرى؟

قاطعته (أغنيس) بشغف.

• نعم، أزعجتها مرة أخرى خلال كتابتها التي لا تنتهي،  
وأصررت عليها أن تتحدث بصراحة.

• ثم أخبرتها بما وجدته عندما فتحت المخبأ؟!  
أجاب (هنري):

• بالطبع فعلت! إنني أحملها مسؤولية الاكتشاف رغم أنني لم  
أذكر علاقتها به للسلطات حتى الآن، واصلت كتابتها كأنني تحدثت  
بلغة غريبة! لكنني كنت على القدر نفسه من العناد من جانبي،  
فأخبرتها بوضوح أن الرأس قد وُضع تحت رعاية الشرطة، وأنا وقعنا  
أنا والمدير على تصريحاتنا وقدما أدلتنا، لم تولني أقل قدر من  
الاهتمام، على سبيل إغرائها بالتحدث، أضفت أن التحقيق برمته  
يجب أن يبقى سرًّا، وأنها قد تعتمد على تكتمي، حينها اعتقدت  
أنني نجحت، رفعت عينها من على كتابتها بوميض فضولٍ عابر،  
وقالت: "ماذا سيفعلون به؟" وأعتقد أن هذا يعني الرأس، أجبته بأنه  
كان من المقرر دفنه سرًّا بعد التقاط صور له لأول مرة، حتى أنني  
بذلت وقتًا طويلًا في إعلامها برأي الجراح الذي استشاروه بأن بعض  
الوسائل الكيميائية لإيقاف التحلل قد تم استخدامها ونجحت جزئيًا  
فقط، وسألتها بصراحة عما إذا كان الجراح على حق! لم يكن الفخ  
سيئًا لكنه فشل تمامًا، قالت بأهدأ طريقة: "بما أنك الآن هنا، أود أن  
أستشيرك بشأن مسرحيتي؛ أنا في حيرة من بعض الحوادث  
الجديدة" .. انتبهي! لم يكن هناك سخرية في كلامها هذا، لقد كانت  
حريصة حقًا على قراءة أعمالها الرائعة لي، من الواضح أنها تفترض

اهتمامي يمثل هذه الأشياء لأن أخي هو مدير المسرح! تركتها  
وقدمت العذر الأول الذي جال بخاطري، بقدر ما أشعر بالقلق، لا  
يمكنني فعل أي شيء معها، لكن من الممكن أن ينجح تأثيرك معها  
مرة أخرى، فقد نجح بالفعل، هل ستقومين بالمحاولة لإرضاء عقلك؟  
هي لا تزال في الطابق العلوي، وأنا مستعد تمامًا لمرافقتك.

ارتجفت (أغنيس) من الاقتراح..

• لا أستطيع! لا أجرؤ! بعد ما حدث في تلك الغرفة المروعة،  
أصبحت بغيضةً لي أكثر من أي وقتٍ مضى، لا تطلب مني القيام  
بذلك يا (هنري)! أشعر بيدي، لقد أصبحت باردةً برود الموتى فقط  
للحديث عنها!

لم تكن تبالغ في الرعب الذي استولى عليها، سارع (هنري)  
لتغيير الموضوع قائلاً:

• دعينا نتحدث عن شيءٍ أكثر إثارة، لدي سؤال أود أن  
أطرحه عليك؛ هل أنا محق في اعتقادي أنه كلما أسرعرت في الابتعاد  
عن البندقية، ستكونين أكثر سعادة؟  
• محق؟

كررت بحماسة..

• "أنت أكثر محق! لا توجد كلمات يمكن أن تعبر، كم أتوق  
للابتعاد عن هذا المكان الرهيب! لكنك تعلم طبيعة وضعي؛ هل  
سمعت ما قاله اللورد (مونتباري) وقت العشاء؟  
اقترح (هنري) قائلاً:

• لنفترض أنه غير خطئه التي كانت على وقت العشاء؟

بدت (أغنيس) مندهشة وقالت:

- اعتقدت أنه تلقى رسائل من إنجلترا، أجبرته على مغادرة البندقية غدًا.

اعترف (هنري) قائلاً:

- صحيح تمامًا، لقد رتب لبدء رحلته إلى إنجلترا غدًا، وتركك أنت والسيدة (مونتباري) والأطفال للاستمتاع بعطلتكم في البندقية، تحت رعايتي، ومع ذلك، فقد حدثت ظروف أجبرته على تغيير خططه، يجب أن يصطحبكم جميعًا غدًا لأنني غير قادر على تولى مسؤوليتكم، أنا مضطر للتخلي عن عطفتي في إيطاليا والعودة إلى إنجلترا أيضًا.

نظرت إليه (أغنيس) بحيرة قائلة:

- لم تكن متأكدة إذا كانت تفهمه أم لا.

سألت:

- هل أنت مجبر حقًا على العودة؟

ابتسم (هنري) وأجاب قائلاً:

- احتفظي بالسر، وإلا فإن (مونتباري) لن يغفر لي أبدًا!

قرأت الباقي في وجهه..

• أوه!

صاحت خجلًا..

- ألم تتخل عن عطلتك السارة في إيطاليا من أجلي؟

- سأعود معك إلى إنجلترا يا (أغنيس).. ستكون عطلة كافية

بالنسبة لي.

أخذت يده بامتنانٍ لا يمكن كبتة، وتمتمت بحنان:

- كم أنت جيدٌ معي! لم أكن أستطيع تحطّي المشاكل التي أصابتي دون عطفك، كم أشعر بلطفك يا (هنري)!

حاولت باندفاعٍ رفع يده إلى شفتيها، فأوقفها بلطفٍ قائلاً:

- (أغنيس).. هل بدأتِ تفهمين أنني أحبك بصدق؟

وجد هذا السؤال البسيط طريقه إلى قلبها، امتلكت الحقيقة كاملة دون أن تنبس بينت شفة، نظرت إليه ثم نظرت بعيداً مرة أخرى.

قربها إليه وهمس قائلاً:

- عزيزتي!

ثم قبلها بهدوءٍ وارتجاف.. لفت ذراعيها حول رقبتة، ودفنت وجهها في صدره، لم يتكلما أكثر.

لم يدم الصمت الساحر إلا قليلاً عندما انكسر بلا رحمة بقرع الباب.

وقفت (أغنيس) وتموضعت بجانب البيانو الذي كان مقابل الباب، كان من المستحيل - عندما جلست على كرسي الموسيقى - لأي شخصٍ يدخل الغرفة أن يرى وجهها، صرخ (هنري) بانفعالٍ:

- ادخل.

لم يفتح الباب، سأل الشخص الموجود على الجانب الآخر منه سؤالاً غريباً:

- هل السيد (هنري ويستويك) وحده؟

تعرفت (أغنيس) إلى صوت الكونتيسة، أسرعته إلى الباب الثاني الذي يتصل بإحدى غرف النوم، همست بعصبية قائلة:

- لا تدعها تقترب مني! ليلة سعيدة يا (هنري)! تصبح على خير!

لو كان (هنري) قادرًا على نقل الكونتيسة إلى أقصى أطراف الأرض لبذل الجهد دون ندم، بقي على حاله، لم يكرر إلا: "ادخلي!" بشكلٍ منزعج أكثر من أي وقتٍ مضى.

دخلت الغرفة ببطءٍ مع مخطوطتها الأبدية في يدها، كانت خطواتها غير ثابتة، ظهر احمرار غامق على وجهها بدلاً من شحوبه المعتاد؛ كانت عيناها محقتتين بالدم عند اقترابها من (هنري).. أظهرت عجزًا غريبًا عن حساب مسافاتها، اصطدمت بالطاولة التي كان يجلس بالقرب منها، عندما تحدثت، كان نطقها مرتبكًا، ونطقها لبعض الكلمات الأطول بالكاد مفهومًا، معظم الرجال سيشتبهون بأنها تحت تأثير المشروبات الكحولية المسكرة، اتخذ (هنري) وجهة نظر أكثر صدقًا، وقال بينما يضع لها كرسيًا:

- كونتيسة، يبدو أنك تحتاجين الراحة.

وضعت يدها على رأسها قائلة:

- اختفت أفكارى! لا أستطيع كتابة فصلي الرابع، كل شيء فارغ، كله فارغ!

نصحها (هنري) بالانتظار حتى اليوم التالي، اقترح قائلاً:

- اذهبي إلى الفراش، وحاولي النوم.

لوحث بيدها بصبرٍ نافذ، وأجابت:



• يجب أن أنهى المسرحية، أريد فقط تلميحًا منك، بالتأكيد تعرف شيئًا عن المسرحيات، أخوك يمتلك مسرحًا، لا بد أنك سمعته كثيرًا يتحدث عن الفصلين الرابع والخامس، لا بد أنك شاهدت البروفات وكل ما تبقى منها.

دفعت المخطوطة فجأة بيد (هنري) قائلة:

• لا أستطيع أن أقرأها لك، أشعر بالدوار عندما أنظر إلى كتاباتي، فقط قم بالقاء نظرة عليها، وأعطني تلميحًا.

نظر (هنري) إلى نص المسرحية، حدث أن نظر إلى قائمة الأشخاص في الدراما، عندما قرأ القائمة، نظر وتحول فجأة إلى الكونتيسة عازمًا على أن يطلب منها بعض الشرح.. لكن علقت الكلمات على شفتيه، كان من غير المجدي التحدث إليها، تدلى رأسها على ظهر الكرسي، بدت وكأنها نصف نائمة بالفعل، كان الاحمرار على وجهها قد تعمق، شعر أنها ستصاب بنوبة، قرع الجرس وأمر الرجل الذي أجابه أن يرسل إحدى الخادמות إلى الطابق العلوي، بدا أن صوته أثار الكونتيسة جزئيًا، فتحت عينيها بطريقة بطيئة ناعسة وسألت:

• هل قرأته؟

كان من الضروري أن يسايرها كمجرد فعل إنساني، فقال:

• سأقرأها، إذا ذهبت للنوم في الطابق العلوي، ستسمعين رأبي صباح الغد، سيصبح عقلي أكثر وضوحًا، وسنكون قادرين أكثر على أداء الفصل الرابع في الصباح.

جاءت الخادمة بينما كان يتحدث، همس لها (هنري):

• أخشى أن تكون تلك السيدة مريضة، اصطحبها إلى غرفتها.

نظرت المرأة إلى الكونتيسة، وهمست قائلة:

• هل نستدعي طبيبًا يا سيدي؟

نصحها (هنري) باصطحبها إلى الطابق العلوي أولاً ثم أخذ رأي المدير، كانت هناك صعوبة كبيرة في إقناعها بالقيام، والاستناد إلى ذراع الخادمة، فقط من خلال الوعود المتكررة لقراءة المسرحية في تلك الليلة، والقيام بالفصل الرابع في الصباح، تغلب (هنري) على الكونتيسة وأرسلها إلى غرفتها.

بدأ يشعر وحده بفضولٍ خفيفٍ فيما يتعلق بالمخطوطة، نظر إلى الصفحات، قرأ سطرًا هنا وسطرًا هناك، وفجأة تغير لونه عندما قرأ، ورفع نظريه من على المسرحية بدهشةٍ محدثًا نفسه:

• يا إلهي! ماذا يعني هذا؟

تحولت عيناه بعصبية إلى الباب الذي غادرت (أغنيس) منه، قد تعود إلى غرفة المعيشة، وقد ترغب في رؤية ما كتبه الكونتيسة، نظر مرة أخرى إلى النص الذي أذهله، فكر للحظة ثم انتزع المسرحية غير المكتملة، وغادر الغرفة بهدوءٍ، وفجأة...

## الفصل السادس والعشرون

عند دخوله غرفته في الطابق العلوي، وضع المسرحية على طاولته، مفتوحة على الورقة الأولى، اهتزت أعصابه بلا شك، ارتجفت يده عندما قلب الصفحات، بدأ يقرأ بينما يسمع ضوضاء على درج الفندق.

بدأ سيناريو أو مسرحية الكونتيسة بدون عبارات تمهيدية رسمية، قدمت نفسها وعملها ببساطة كتقديم صديقٍ قديمٍ نفسه.

"اسمح لي يا عزيزي السيد (فرانسيس وستويك) أن أقدم لك الشخصيات في مسرحيتي المقترحة؛ ها هم مرتبون بشكلٍ متناسقٍ في خطٍ واحد..

(سيدي، البارون، الساعي، الطبيب، الكونتيسة)

أنا لا أتكبد العناء - كما ترى - لاستخدام أسماء عائلاتٍ وهمية، فشخصياتي معروفة بشكلٍ كافٍ من خلال ألقابهم الاجتماعية، والتناقض اللافت الذي يقدمونه مع بعضهم البعض.

بداية الفصل الأول:

"لا! قبل أن أبدأ الفصل الأول، أرى لزاماً علي أن أعلن، أن هذه المسرحية هي من اختراعي الكامل، أي من بنات أفكاري، أنا

أنكر الاستعانة بأحداثٍ فعلية؛ والأكثر أهمية من ذلك، أنني لم أسرق أفكار الدراما الفرنسية الحديثة، وبصفتك مديرًا لمسرحٍ إنجليزي، من الطبيعي أنك سترفض تصديق ذلك، لا يعنيني باستثناء افتتاح أول فصلٍ لي.. نحن في هومبورغ، في صالون (دور) الشهر، في ذروة الموسم، تجلس الكونتيسة - ترتدي ملابس رائعة - على الطاولة الخضراء، يقف الغرباء من جميع الدول وراء اللاعبين، يغامرون بأموالهم أو ينظرون فقط، سيدي هناك بين الغرباء، وقد أذهله مظهر الكونتيسة حيث يختلط الجمال والعيوب بشكلٍ خيالي بأكثر الطرق جاذبية، يشاهد لعبة الكونتيسة، ويضع أمواله حيث يراها تودع حصتها الصغيرة، تنظر نحوه قائلة:

• لا تثق بلوئي؛ لقد كان حظي سيئًا طوال المساء، ضع حصتك على اللون الآخر، وقد تحظى بفرصةٍ للفوز.. سيدي (رجل إنجليزي بحق) ينحني ويطيع.

تثبت الكونتيسة أنها صادقة، تخسر مرة أخرى، ويكسب سيدي ضعف المبلغ الذي خاطر به.

تقوم الكونتيسة من على الطاولة، لم يعد لديها نقود، وتعرض على سيدي كرسيها.

بدلاً من أخذها، يضع مكاسبه في يدها بأدب، ويطلب منها قبول الرهن كخدمة له، تراهن الكونتيسة مرة أخرى وتخسر، يتسم سيدي بشكلٍ رائع ويضغط عليها بمبلغٍ ثانٍ، في تلك اللحظة يتحول حظها، تفوز وتفوز إلى حدٍ كبير، شقيقها (البارون) الذي كان يجرب

حظه في غرفةٍ أخرى، يسمع بما يجري، وينضم إلى سيدي والكونتيسة.

انتبه - إذا سمحت - إلى (البارون) فقد تم الحديث عنه كشخصيةٍ رائعة ومثيرة للاهتمام.

لقد بدأ هذا الشخص النبيل حياته بتفانٍ واحدٍ في علم الكيمياء التجريبية، وكان مفاجئًا للغاية، رجل شاب وسيم، أمامه مستقبل باهر، أقنعت المعرفة العميقة بعلوم السحر والتنجيم (البارون) بإمكانية حل المسألة الشهيرة المسماة (حجر الفيلسوف).. لقد استنفدت موارده المالية منذ فترةٍ طويلة بسبب تجاربه المكلفة، قامت أخته بعد ذلك بتزويده بثروة صغيرة كانت تحت تصرفها، محتفظة فقط بمجوهرات العائلة، التي توكلت إلى وصيها المصرفي وصديقتها في فرانكفورت، ابتلعت ثروة الكونتيسة أيضًا، سعى (البارون) في لحظةٍ قاتلة للحصول على إمدادات جديدة على طاولة الألعاب، لقد أثبت - في بداية حياته المهنية المحفوفة بالمخاطر - أنه محبوب الثروة؛ يفوز إلى حدٍ كبير، وللأسف! يدنس حماسه النبيل للعلم من خلال تسليم روحه إلى العاطفة التي تحطم اللاعب.

في فترة المسرحية، هجر (البارون) حظه الطيب، يرى طريقه في تجربة التتويج في البحث القاتل بعد سر تحويل العناصر الأساسية إلى ذهب، ولكن كيف سيدفع النفقات الأولية؟ القدر، كصدىٍ ساخر، يجب كيف؟

هل ستكون مكاسب أخته - من مال سيدي - كبيرة بما يكفي لمساعدته؟ يعطي الكونتيسة نصيحته بحرصٍ على هذه النتيجة

حول كيفية اللعب، ومنذ تلك اللحظة الكارثية، تنتشر عدوى اضمحلال الثروة منه إلى أخته، تخسر مجددًا، تخسر حتى آخر قطعة.

"السيد الودود والثري يقدم مبلغًا ثالثًا؛ لكن الكونتيسة الصارمة ترفض أخذه بشكلٍ قاطع، عند مغادرتها المائدة تقدم أخاها للسيد، يقوم السادة بحديثٍ لطيف، يطلب سيدي فرصة لتقديم احترامه للكونتيسة، في صباح اليوم التالي بفندقها، فيدعوه (البارون) بترحابٍ لتناول الإفطار، يقبل سيدي العرض مع نظرة إعجابٍ أخيرة على الكونتيسة، لا تهرب من ملاحظة أخيها، ويغادر في تلك الليلة.

(البارون) وحده مع أخته، يتحدث بصراحة قائلاً:

• أوضاعنا! أصبحت صعبة ويجب أن نجد علاجًا، انتظري هنا بينما أستفسر عن سيدي، من الواضح أنك تركت انطباعًا قويًا لديه، إذا تمكنا من تحويل هذا الانطباع إلى أموال، بغض النظر عن التضحية، عندها يجب أن يتم الأمر.

تشغل الكونتيسة الآن المسرح وحدها، وتنغمس في مناجاة مما يطور شخصيتها، إنها شخصية خطيرة وجذابة في آنٍ واحد، عُرس في طبيعتها قدرات هائلة من أجل الخير، جنبًا إلى جنب مع قدرات مساوية رائعة على الشر، فالأمر يقع على عاتق الظروف لتطویر أحدهما أو الآخر، ونظرًا لأنها شخص يولد إحساسًا أينما ذهب، فإن هذه السيدة النبيلة، تخضع بشكلٍ طبيعيٍّ لجميع أنواع الشائعات الفاضحة، تعود الآن بسخطٍ إلى أحد هذه الشائعات التي تشير بشكلٍ خطأ وبغيبض إلى (البارون) باعتباره عشيقها بدلًا من أخيها، لقد أعربت للتو عن رغبتها في مغادرة هومبورغ، المكان الذي ظهر

فيه الافتراء الديني لأول مرة، عندها يعود (البارون) لسمع كلماتها الأخيرة، ويقول:

• نعم، غادري هومبورغ بكل الوسائل؛ بشرط أن تغادريها في شخصية زوجة سيدي المستقبلية!

تحتج الكونتيسة المذهولة والمصدومة بأنها لا تقابل إعجاب سيدها بالمثل، حتى أنها ترفض رؤيته مرة أخرى، فيجيب (البارون):

• يجب أن أتحكم بالمال بطريقةٍ ما، اتخذني خيارك، بين الزواج من مال سيدي، في سبيل اكتشاف العظیم، أو دعيني أبيع نفسي ولقي لأول امرأة غنية من مكانةٍ متدنية مستعدة لشرائي!

تستمع الكونتيسة في دهشة وفزع، هل من الممكن أن يكون البارون جادًا؟ إنه جاد بشكلٍ مروع، يقول:

• المرأة التي ستشتريني، في الغرفة المجاورة لنا الآن، هي الأرملة الثرية لمرابٍ يهودي، لديها المال الذي أريده للتوصل إلى حل المشكلة الكبرى، فقط عليّ أن أكون زوج تلك المرأة، وسأجعل نفسي سيد ملايين الذهب التي لا توصف، خذي خمس دقائق للتفكير فيما قلته، وأخبريني عند عودتي؛ من سيتزوج من أجل المال الذي أريده، أنت أم أنا؟

عندما استدار، أوقفته الكونتيسة.. كل المشاعر النبيلة في داخلها ترتفع إلى أعلى درجة، وتصرخ قائلة:

• أين المرأة الحقيقية، التي تريد وقتًا لتضحى بنفسها، عندما يطلب التضحية منها الرجل الذي كرس له؟ لا تريد خمس دقائق، ولا تريد خمس ثوانٍ، تمد يدها إليه وتقول: لا بد أن تضحى بي على

مذبح مجدك! خذني كنقطة انطلاقٍ في طريقك إلى انتصارك يا حي،  
يا حريتي، وحياتي!

"في هذا الموقف العظيم يسقط الستار، بالحكم على فصلي  
الأول يا سيد (ويستويك).. أخبرني حقًا دون مجاملة: ألسنت قادرةً  
على كتابة مسرحية جيدة؟"

توقف (هنري) بين الفصلين (الأول، والثاني) يسترجع أفكاره،  
ليس حول أحداث المسرحية، بل حول التشابه الغريب الذي قدمته  
الأحداث حتى الآن للأحداث التي شهدت زواج اللورد (مونتباري)  
الكارثي الأول.

هل من الممكن أن تكون الكونتيسة، في الحالة الراهنة لعقلها،  
تعتقد أنها تخترع الأحداث في حين أنها تتذكر فقط؟

كان هذا السؤال يتضمن اعتبارات خطيرة للغاية حيث لا يمكن  
جعلها موضوع قرارٍ متسرع، احتفظ (هنري) برأيه، طوى الصفحة  
وانغمس في قراءة الفصل التالي ثم سارت المسرحية على النحو التالي:

يبدأ الفصل الثاني في البندقية؛ انقضى أربعة شهور منذ تاريخ  
المشهد على طاولة القمار، تجري الأحداث الآن في غرفة الاستقبال  
بأحد قصور البندقية.

يقف (البارون) وحده على المسرح، يعود إلى الأحداث التي  
وقعت منذ نهاية الفصل الأول، لقد ضحكت الكونتيسة بنفسها، عقد  
زواج المصلحة، ولكن ليس بدون عقبات، وذلك لاختلاف الآراء  
حول مسألة تسوية الزواج.



لقد أبلغت التحقيقات الخاصة، التي أُجريت في إنجلترا (البارون) أن دخل السيد يُستمد أساسًا مما يسمى بالممتلكات الضمنية، في حالة وقوع حادث، من المؤكد أنه ملزم بعمل شيءٍ لعروسه، دعه - على سبيل المثال - يؤمن حياته مقابل مبلغ يقترحه (البارون) ودعه يقوم بتسوية الأموال التي ستحصل عليها أرملته، إذا مات أولًا.

يتردد سيدي، أما (البارون) فلا يضيع وقتًا في مناقشةٍ غير مجدية.. "دعونا بكل الوسائل" (يقول) "نعتبر الزواج ملغيًا" .. يغير سيدي موقفه، ويطلب مبلغًا أقل من المبلغ المقترح، يجيب (البارون) بإيجاز: "أنا لا أفوض أبدًا."

سيدي واقع في الحب، لذا النتيجة الطبيعية التي تتبع، أنه يستسلم.

حتى الآن، ليس هناك لدى (البارون) سبب للشكوى، ولكن يأتي دور سيدي، عندما يتم الاحتفال بالزواج، وعندما ينتهي شهر العسل، ينضم (البارون) إلى العروسين الجديدين في قصرٍ استأجراه في البندقية، لا يزال عازمًا على حل مشكلة (حجر الفيلسوف).. تم إنشاء معمل له في الأقيصة الموجودة أسفل القصر، حتى لا تضايق الروائح - الناتجة عن التجارب الكيميائية - الكونتيسة، في المناطق العليا من المنزل، العقبة الوحيدة في طريق اكتشافه الكبير هي كالعادة، نقص المال، لقد أصبح موقفه في الوقت الحاضر حرجًا حقيقيًا، إنه مدين لرجالٍ بمبالغ تعادل مرتبة حياته الخاصة بوعود شرف، والتي يجب أن تدفع بشكلٍ مؤكد؛ ويقترح بطريقته الودود اقتراض مال

سيدي، يرفض سيدي رفضًا قاطعًا، فيلجأ (البارون) إلى أخته لتمارس نفوذها الزوجي، لا يمكنها إلا أن تجيب بأن زوجها النبيل - الذي لم يعد يشتم انتباهه جها - يظهر الآن في شخصيته الحقيقية، كأحد البخلاء على وجه الأرض، لقد تمت التضحية بالزواج، وأثبتت بالفعل عدم جدواها.

هذه هي الحالة عند افتتاح الفصل الثاني..

دخول الكونتيسة المفاجئ، يقطع تأملات (البارون).. إنها في حالة قريبة من الجنون، تعبيرات غير متماسكة من الغضب، انفجرت من شفيتها.. تحتاج بعض الوقت قبل أن تتمكن من التحكم في نفسها بما يكفي للتحدث بوضوح، تعرضت لإهانة مضاعفة، أولاً: من قبل شخصٍ وضيعٍ يعمل تحت خدمتها؛ ثانيًا: من قبل زوجها، وقد أعلنت خادمتها، وهي امرأة إنجليزية، أنها لن تخدم الكونتيسة بعد الآن، ستتخلى عن أجرها وتعود على الفور إلى إنجلترا، عندما سُئلت عن سبب هذا الإجراء الغريب، ألححت بوقاحة إلى أن خدمة الكونتيسة ليست خدمةً لامرأة شريفة، منذ دخول (البارون) المنزل، هنا الكونتيسة تفعل ما ستفعله أي سيدة في مكانها؛ تطرد الحقيرة بسخطٍ على الفور.

السيد يسمع صوت زوجته مرتفعًا في حالة من الغضب، يترك مكتبه الذي اعتاد أن يعزل فيه مع كتبه، ويسأل عن سبب هذا الاضطراب، تخبره الكونتيسة بالاتهامات الفاحشة وسلوك خادمتها، السيد لا يعلن فقط موافقته الكاملة على اتهامات المرأة، بل يعبر عن شكوكه المقيتة في إخلاص زوجته بلهجةٍ وحشية رهيبة، لا يمكن لأي

سيدة أن تلوث شفيتها بتكرارها، تقول الكونتيسة: "لو كنت رجلاً، ولو كنت أملك سلاحًا في يدي لأرديته ميتًا عند قدمي!"

استمع (البارون) لما حدث طوال الوقت بصمت ثم تحدث الآن قائلاً: "سمح لي بإنهاء الجملة من أجلك، ستردين زوجك ميتًا عند قدميك؛ وبهذا التصرف المتهور، ستحرمين نفسك من أموال التأمين التي تستحقها الأرملة، الأموال نفسها التي تريدتها لإعفاء أخيك من وضعه المالي الذي لا يطاق!"

تذكر الكونتيسة (البارون) بشدة أن هذه ليست مزحة، بعد ما قاله السيد لها، ليس لديها أدنى شك في أنه سينقل شكوكه الدنيئة إلى محاميه في إنجلترا، إذا لم يحدث شيء لمنع الأمر، ستصبح مطلقة وموصومة بالعار، وتلقى في العالم بلا ملجأ، ولا تجد حلاً سوى بيع مجوهراتها كي لا تجوع.

في هذه اللحظة، يعبر الساعي - الذي كان مرتبطاً بالسفر مع السيد من إنجلترا - المسرح برسالة في يده ليأخذها إلى مكتب البريد، توقفه الكونتيسة، وتطلب إلقاء نظرة على العنوان الموجود على الرسالة، تأخذها منه للحظة، وتعرضها لأخيها، إنه خط يد السيد، والرسالة موجهة لمحاميه في لندن.

يتقدم الساعي إلى مكتب البريد، ينظر (البارون) والكونتيسة إلى بعضهما البعض في صمت، لا حاجة للكلمات، يفهمان تمامًا الموقف الذي تم وضعهما فيه؛ يشاهدان بوضوح العلاج الرهيب للمصيبة، ما البديل الواضح أمامهم؟ عارٌ وخراب أو موت السيد وأموال التأمين!

يسير (البارون) إلى الأمام والوراء في هياجٍ عظيم، يتحدث إلى نفسه، الكونتيسة تسمع شظايا فقط مما يقول، إنه يتحدث عن بنية سيدي الجسدية، عن جسده الذي ربما يكون قد ضعف في الهند، بسبب نزلة برد أصيب بها سيدي منذ يومين أو ثلاثة أيام، عن الطريقة الرائعة التي تنتهي بها أشياء طفيفة كنزلات البرد أحياناً إلى مرضٍ خطيرٍ ثم موت.

يلاحظ أن الكونتيسة تستمع إليه، ويسأل عما إذا كان لديها ما تقترحه، إنها امرأة برغم العديد من عيوبها إلا أن لها ميزة كبيرة في التحدث علانية، سألت: "أليس هناك مرضٌ خطيرٌ في إحدى زجاجاتك بالخزائن في الطابق السفلي؟"

يجيب (البارون) بهزّ رأسه بشدة، ما الذي يخاف منه؟ فحصرٌ محتمل للجسم بعد الموت؟ لا.. يمكنه أن يحد من أي تشريحٍ بعد الوفاة، إن عملية إعطاء السم هي ما يخاف منه، لا يمكن أن يصاب رجل ميمز مثل سيدي بمرضٍ خطيرٍ بدون رعاية طبية، وحيثما يوجد طبيب، يوجد دائماً خطر الاكتشاف، وأيضاً هناك الساعي المخلص لسيدي ما دام سيدي يدفع له، حتى لو لم ير الطبيب شيئاً مريباً، فقد يكتشف الساعي شيئاً، يجب إعطاء السم بشكلٍ متكررٍ وبجرعاتٍ متدرجةٍ ليسري مفعوله، وأن يتم الأمر بالسرية اللازمة، قد يثير خطأ تافه في التقدير الشك، قد تسمع مكاتب التأمين بذلك، وقد ترفض دفع المال، في ظل هذه الاحتمالات، لن يخاطر (البارون) بالمحاولة، كما لن يسمح لأخته بالمخاطرة أيضاً في مكانه.

سيدي بنفسه هو الشخصية التالية التي تظهر، لقد قرع مرارًا وتكرارًا للساعي، ولم يجب، ماذا تعني هذه الوقاحة؟  
الكونتيسة (تحدث بهدوء متحفظ وكبرياء، فلماذا يجب أن يشعر زوجها السيئ بالرضا لمعرفة عمق جرحه لها؟) تذكر سيدي أن الساعي قد ذهب إلى البريد.

يسأل السيد بارتيا ب عما إذا نظرت إلى الرسالة، فتبلغه الكونتيسة ببرود أنه ليس لديها فضول بشأن رسائله، تشير إلى البريد الذي يعاني منه، وتساءل عما إذا كان يفكر في استشارة طبيب، فيجيب سيدي بفضافة أنه كبير بما يكفي ليكون قادرًا على مداواة نفسه.

أثناء حديثه مع الكونتيسة، يظهر الساعي عائدًا من مكتب البريد، يأمره سيدي بالخروج مرة أخرى وشراء بعض الليمون، يقترح تجربة عصير الليمون الساخن كوسيلة ليتعرق في النوم، وبهذه الطريقة يعالج البريد الذي يعاني منه الآن.

الساعي يطيع في صمت، لكن إذا حكمنا من خلال المظاهر، فهو ذاهب على مضضٍ في هذه المهمة الثانية.

ينتقل سيدي إلى (البارون) - الذي لم يشارك حتى الآن في المحادثة - ويسأله بنبرة ساخرة عن المدة التي ينويها لإطالة أمد إقامته في البندقية، يجيب (البارون) بهدوء: "لنتكلم بصراحة يا سيدي، إذا كنت ترغب في أن أغادر منزلك، فما عليك سوى قول الكلمة، وأنا سأذهب."

ينظر إلى زوجته ويسألها عما إذا كان بإمكانها تحمل مصيبة غياب أخيها، مشددًا بنبرة إهانة صارخة على كلمة (أخ).. تحافظ الكونتيسة على رباطة جأشها؛ لا شيء في داخلها يخون الكراهية المميتة التي تنظر بها إلى الهمجي الذي أهانها.. "أنت سيد هذا البيت، يا سيدي."

هذا كل ما تقوله..

"افعل ما يحلو لك."

ينظر سيدي إلى زوجته ثم إلى (البارون) وفجأة يغير نبرته؛ هل يرى في هدوء الكونتيسة وأخيها شيئًا كامنًا تحت السطح يهدده؟ هذا أقل ما يقال عنه مؤكد، فهو يقدم اعتذارًا أخرقًا عن الكلمات التي قالها.. (البائس المدقع!)

اعتذارات سيدي تنقطع عند عودة الساعي بالليمون والماء الساخن.

لاحظت الكونتيسة لأول مرة أن الرجل يبدو مريضًا، ترتحف يده حين يضع الصحيفة على الطاولة، يأمر خادمه بأن يتبعه ويعد له عصير الليمون في غرفته، تلمح الكونتيسة بأن الساعي يبدو بالكاد قادرًا على إطاعة أوامره، وبسماعه هذا يعترف الرجل بأنه مريض، هو يعاني من البرد أيضًا، فقد ظل ينتظر في الهواء البارد بالمتجر الذي اشترى منه الليمون؛ والآن يشعر بالسخونة والبرودة بالتناوب، ويتوسل الإذن بالاستلقاء لفترة قصيرة على سريره.

شعرت بإنسانيتها تناشدها، تطوعت الكونتيسة أن تصنع عصير الليمون بنفسها، يجذب سيدي ذراع الساعي ويقوده جانبًا،

يهمس له بهذه الكلمات: "انتبه لها، وانتبه ألا تضع شيئاً في عصير الليمون ثم أحضره لي بيدك، بعدها اذهب إلى الفراش إذا أردت."  
بدون كلمة أكثر لزوجته أو ل (البارون) يترك سيدي الغرفة.  
الكونتيسة تصنع عصير الليمون، ويأخذه الساعي إلى سيده.  
بالعودة في طريقه إلى غرفته، يشعر بالألم وكما يقول بدوار شديد، لدرجة أنه يضطر إلى الاستناد إلى ظهر الكرسي أثناء مروره، يقدم (البارون) ذراعه، فهو يراعي دائماً الأشخاص ذوي المكانة المنخفضة، يقول: "أخشى يا صديقي المسكين أن تكون مريضاً حقاً."

فيقدم الساعي هذا الجواب غير العادي: "انتهى أمري يا سيدي، لقد اقترب موتي."  
تقول الكونتيسة مندهشة بشكلٍ طبيعي: "أنت لست رجلاً عجوزاً."

تحاول إحياء روح الساعي..

"بالتأكيد، لا تعني الإصابة بالبرد أنك ستموت؟"

يثبت الساعي عينيه بيأسٍ على الكونتيسة قائلاً: رثاي ضعيفتان يا سيدي.. لقد تعرضت بالفعل لهجومين من التهاب الشعب الهوائية، وفي المرة الثانية، شارك طبيب عظيم (طبيبي الخاص) في علاجي، لقد اعتبر أن شفائي سيتم في ضوء معجزة، وقال: "اعتن بنفسك، إذا أصبت بهجوم ثالث من التهاب الشعب الهوائية - كما هو الحال الآن بالتأكيد - فستكون رجلاً ميتاً لا محالة" أشعر

بالارتعاش الداخلي نفسه يا سيدي، الذي شعرت به في الهجومين السابقين، وأقول مرة أخرى: لقد حصلت على موتى في البندقية.

قال (البارون) بعض الكلمات المطمئنة، وقاده إلى غرفته، تركت الكونتيسة وحدها على المسرح.

تجلس وحدها وتنظر نحو الباب الذي خرج منه الساعي..

"آه! صديقي المسكين، لو استطعت فقط استبدال جسدك بجسد سيدي، كم ستكون نتيجة هذا رائحة بالنسبة للبارون ولي! لو يمكنك الشفاء من نزلة برد بالقليل من عصير الليمون الساخن، وأن يموت هو في مكانك!"

توقفت فجأة، تتأمل لفترة، وتنهض على قدميها بصيحة انتصارٍ مفاجئة؛ الفكرة الرائعة التي لا مثيل لها قد طرأت على ذهنها كوميض البرق، اجعل الرجلين يتبادلان الأسماء والأماكن، ويتم الأمر! أين العوائق؟ أخرج سيدي (بوسائل طبية أو كريهة) من غرفته؛ وأبقيه أسيرًا في القصر سرًّا ليعيش أو يموت حسب ما يتطلبه المستقبل، وأضع الساعي في السرير الشاغر ثم أتصل بالطبيب لرؤيته، مريض تحت اسم سيدي، وإذا مات، يموت باسمه!

سقطت المسرحية من يدي (هنري).. تغلب عليه إحساس رعبٍ مقزز، السؤال الذي جال بخاطره في ختام الفصل الأول من المسرحية، يفرض اهتمامًا جديدًا ورهيبًا الآن، وفيما يتعلق بمشهد مناجاة الكونتيسة، فإن أحداث الفصل الثاني، عكست الأحداث الحقيقية لحياة أخيه الراحل تمامًا كأحداث الفصل الأول، هل كانت الحبكة الوحشية - التي تم الكشف عنها في السطور التي قرأها للتو



- من نسج خيال الكونتيسة المهووس أم أنها في هذه الحالة أيضًا، خدعت نفسها بفكرة أنها كانت تخرع بينما كانت تكتب حقًا تحت تأثير ذكرياتها المذنبه عن الماضي؟ إذا كان التفسير الأخير هو التفسير الصحيح، فقد قرأ لتوه قصة القتل المتوقعة لأخيه، التي خطط لها بدم بارد من قبل امرأة كانت في تلك اللحظة تسكن معه في المنزل نفسه، بينما لجعل الوفاة كاملة، زودت (أغنييس) ببراءة هؤلاء المتآمرين بالرجل الوحيد الذي كان جاهزًا ليكون الجندي المجهول لجرمهم.

حتى الشك المجرد في أن الأمر قد يكون كذلك كان أكثر مما يمكن أن يتحمله، غادر غرفته عازمًا على استخراج الحقيقة من الكونتيسة، أو إدانتها أمام السلطات باعتبارها قاتلة طليقة.

عند وصوله إلى بابها، قابل شخصًا غادر الغرفة للتو، كان المدير ومن الصعب التعرف إليه، بدا وتحدث كرجلٍ في حالة من اليأس.. قال لـ (هنري): "أوه، ادخل إذا أردت! لكن تذكر كلامي يا سيدي! أنا لست رجلًا يؤمن بالخرافات لكنني بدأت فعلاً في الاعتقاد بأن الجرائم تحمل لعناتها معها، هذا الفندق ملعون، ماذا يحدث في الصباح؟ نكتشف جريمة ارتكبت في أيام القصر الخوالي، يأتي الليل، ويأتي معه حدثٌ مروّعٌ آخر، الموت؛ الموت المفاجئ والصادم في المنزل، ادخل وانظر بنفسك! سأستقيل من مناصبي يا سيد (ويستويك).. لا أستطيع تحمل الوفيات التي تلاحقني هنا!"

دخل (هنري) الغرفة.

كانت الكونتيسة على سريرها، الطبيب من جهة، والخادمة من الجهة الأخرى واقفين ينظران إليها، من وقتٍ لآخر، كانت تتنفس بقوةٍ شديدة، كشخصٍ يعذب في نومه، سأل (هنري):

• هل من المحتمل أن تموت؟

أجاب الطبيب:

• لقد ماتت، ماتت لتمزق الأوعية الدموية في الدماغ، هذه الأصوات التي تسمعها هي أصوات ميكانيكية بحتة، قد تستمر لساعات.

نظر (هنري) إلى الخادمة، كان لديها القليل لتقوله، رفضت الكونتيسة الذهاب إلى الفراش وجلست على مكتبها لمتابعة كتابتها، وجدت الخادمة أنه لا جدوى من الجدل معها، وغادرت الغرفة للتحديث إلى المدير، في أقصر وقتٍ ممكن، تم استدعاء الطبيب إلى الفندق، ووجد الكونتيسة ميتة على الأرض، كان هذا ما لديها لتقوله، وليس أكثر.

نظر (هنري) إلى طاولة الكتابة أثناء خروجه، ورأى الورقة التي تابعت فيها الكونتيسة سطور كتابتها الأخيرة، كانت الشخصيات تقريباً غير مقروءة، وبإمكان (هنري) التمييز فقط بين كلمات (الفصل الأول) و(شخصيات المسرحية).. كانت البائسة ضائعة تفكر في مسرحيتها حتى النهاية، وبدأت في كتابتها كلها مرة أخرى!

## الفصل السابع والعشرون

عاد (هنري) إلى غرفته.

كان دافعه الأول هو التخلص من المسرحية، وعدم النظر إليها مرة أخرى، لقد أباد موت الكونتيسة فرصته الوحيدة لإراحة عقله من حالة الشك المروعة التي اضطهدته، الفرصة بالحصول على دليل حاسم على الحقيقة، ما المغزى من المتابعة؟ وأي راحة يمكن أن يتوقعها إذا قرأ المزيد؟

مشى سريعاً في الغرفة، وبعد فترة، اتخذت أفكاره اتجاهًا جديدًا، تأمل بمسألة المسرحية من وجهة نظرٍ أخرى، حتى الآن أبلغته قراءته فقط أنه تم التخطيط للمؤامرة، كيف علم أن الخطة وضعت موضع التنفيذ؟

كانت المسرحية أمامه مباشرةً على الأرض، تردد قليلاً ثم التقطها، وعاد إلى الطاولة، أكمل القراءة من النقطة التي توقف عندها.

بينما لا تزال الكونتيسة مستغرقة بالتفكير في المزيج الجريء والبسيط من الظروف التي اكتشفتها، يعود (البارون) ليأخذ حالة الساعي بجديّة؛ يعتقد أنه قد يكون من الضروري الاستعانة بطبيب،

لم يبقَ خدَم في القصر، والآن رحلت الخادمة الإنجليزية، يجب على (البارون) نفسه إحضار الطبيب، إذا احتاجوه حقًا.

أجابت أخته: "لنجلب المساعدة الطبية بجميع الطرق، لكن انتظر وسمع شيئًا يجب أن أقوله لك أولاً."

ثم قامت بإشعال فتيل خطتها الكارثية في رأس (البارون).. ما الخطر الذي يخشونه؟ كانت حياة سيدي في البندقية حياة عزلةٍ مطلقة، لا أحد يعرفه سوى مصرفيه، حتى من خلال المظهر الشخصي، فقد قدم خطاب الاعتماد الخاص به واعتبر أنه شخص غريب تمامًا؛ لم يلتق برجاله قط منذ تلك الزيارة الأولى، لم يقم بأي احتفالات، وفي المناسبات القليلة التي استأجر فيها زورقًا أو تمشى، كان دائمًا بمفرده، الفضل يعود للشك الفظيع الذي جعله ينجل من أن تتم رؤيته مع زوجته، فقد عاش الحياة نفسها التي تجعل المشروع المقترح سهل الإنجاز.

يستمع (البارون) لكنه لا يعطي موافقته حتى الآن..

• انظري ماذا يمكنك أن تفعلي مع الساعي، وسأقرر عندما أسمع النتيجة، قد أعطيك تلميحًا قيمًا قبل أن تذهبي، يسهل إغراء هذا الرجل بالمال، إذا قدمت له ما يكفي فقط، فذات يوم سألته مازحًا: ماذا تفعل مقابل ألف جنيه؟ فأجاب: "أي شيء!" ضعي ذلك في الاعتبار؛ وقدمي أعلى عرضٍ لديك دون مساومة.

يتغير المشهد إلى غرفة الساعي، ويظهر البائس الفقير مع صورة فوتوغرافية لزوجته في يده باكيًا، تدخل الكونتيسة، تبدأ بالتعاطف مع شريكها المفترض بدهاء، الساعي ممتن على النحو الواجب؛

يشكو أحزانه لسيدته الكريمة، الآن وقد اعتقد أنه على فراش الموت، فإنه يشعر بالندم على معاملته المهملة لزوجته، يمكنه أن يستسلم للموت لكن اليأس يغلبه عندما يتذكر أنه لم يدخر مالا، وأنه سيترك أرملته بلا موارد لرحمة العالم.

عند هذا التلميح، تتحدث الكونتيسة قائلة: "لنفترض أنه طُلب منك القيام بأمرٍ سهل للغاية، لنفترض أنك كوفئت بمهدية ألف جنيه كإرثٍ لأرملتك؟"

يرفع الساعي نفسه على وسادته، وينظر إلى الكونتيسة بتعبير مفاجأة لا تصدق، بالكاد يمكنها أن تكون قاسية بما يكفي (كما يعتقد) لتمزج مع رجلٍ في محنته البائسة؛ هل ستقول بوضوح: ما هذا الشيء السهل تماماً، والذي سيقابل القيام به بمثل هذه المكافأة العظيمة؟

تجيب الكونتيسة على هذا السؤال بكشف مشروعها إلى الساعي دون أدنى تحفظ.

تتبع بعض دقائق من الصمت عندما تنتهي، الساعي ليس ضعيفاً لدرجة التحدث دون التوقف للتفكير أولاً الآن، لا يزال يراقب الكونتيسة ثم يدي بملاحظةٍ وقحة وغريبة على ما سمعه للتو..

• لم أكن حتى الآن رجلاً متديناً، لكنني أشعر بنفسي في ذلك الطريق، فمنذ أن تحدثت معي سيادتك، وأنا أوّمن بالشیطان."

من مصلحة الكونتيسة أن ترى الجانب الفكاهي لهذا الاعتراف بالإيمان، لا تعتبرها إهانة، فقط تقول:

• سأمنحك نصف ساعة بمفردك، للتفكير في اقتراحي، أنت في خطر الموت، قرر لمصلحة زوجتك، ما إذا كنت ستموت بلا قيمة، أو ستموت بألف جنيه؟

يترك الساعي بمفرده، يفكر بجديّة في موقفه ويقرر، يقوم بصعوبة، يكتب بضعة سطور على ورقة مأخوذة من دفتر جيبه؛ وبخطواتٍ بطيئة ومتعثرة، يغادر الغرفة.

الكونتيسة عادت عند انتهاء فترة نصف الساعة لتجد الغرفة فارغة، بينما تتساءل، يفتح الساعي الباب..

• ماذا كنت تفعل خارج فراشك؟

• لقد كنت أحمي حياتي يا سيدي، على الأرجح أن أتعافى من التهاب الشعب الهوائية للمرة الثالثة، إذا حاولت أنت أو (البارون) استعجالي بالخروج من هذا العالم، أو حرمانى من مكافأة قدرها ألف جنيه، فسأخير الطبيب بمكان السطور المكتوبة التي تصف حبكة سيادتك، قد لا أملك القوة الكافية - في الحالة المفترضة - لأخونك من خلال تقديم اعترافٍ كامل بلساني.. لكن يمكنني استخدام أنفاسي الأخيرة لأتكلم نصف دزينة من الكلمات التي ستخبر الطبيب عن مكانها، هذه الكلمات، لا داعي لإضافة أنها ستوجه إلى سيادتك، إذا بقي اتفاقك معي محفوظاً بأمانة.

بهذه المقدمة الجريئة، يشرع في تحديد الظروف التي سيلعب فيها دوره في المؤامرة، ويموت - إذا مات - بقيمة ألف جنيه.

على الكونتيسة أو (البارون) تذوق الطعام والشراب الذي يحضر إلى سريره في حضوره، وحتى الأدوية التي قد يصفها له

الطبيب، أما بالنسبة للمبلغ الموعدود به، فيجب أن يكون في ورقة بنكية واحدة، مطوية في ورقة، يُكتب عليها سطر، يوجهه الساعي ثم يتم ختم الورقتين في ظرفٍ موجه إلى زوجته ومختوم جاهزًا للبريد، وبهذا يتم وضع الرسالة تحت وسادته؛ يتمتع (البارون) أو الكونتيسة بالحرية الكاملة للتأكد، يومًا بعد يوم، وبقما يريدان بأن الرسالة ستظل مخنومة وفي مكانها، ما دام لدى الطبيب أي أمل في شفاء مريضه، الشرط الأخير يتبع، للساعي ضمير، ولتسهيل الأمر، يصر على أنه سيترك جاهلاً بذلك الجزء من المؤامرة الذي يتعلق بحجز سيدي، لا يعني ذلك أنه يهتم بشكلٍ خاص بما سيؤول إليه مصير سيده البخيل، لكنه لا يحب أن يحمل مسؤولية الآخرين على عاتقه.

تمت الموافقة على هذه الشروط، نادى الكونتيسة (البارون) الذي كان ينتظر الأحداث في الغرفة المجاورة.

يعلم أن الساعي استسلم للإغراء لكنه لا يزال حذرًا جدًا للإدلاء بأي تصريحات مساومة سانداً ظهره على السرير، يظهر زجاجة للكونتيسة، مكتوب عليها (كلوروفورم).. تدرك أنه يجب إخراج السيد من غرفته في حالة مريحة من عدم الإحساس، في أي جزء من القصر سيتم تحبثته؟ بينما يفتحون الباب للخروج، همس الكونتيسة بهذا السؤال لـ (البارون) فيرد هامسًا: "في الأقبية!"

ويسقط الستار.





## الفصل الثامن والعشرون

وهكذا انتهى الفصل الثاني.

بالانتقال إلى الفصل الثالث، نظر (هنري) بإنهاكٍ إلى الصفحات بينما يتركها تفلت من بين أصابعه، بدأ يشعر بالحاجة إلى الراحة سواء في العقل والجسد.

من ناحية مهمة، اختلف الجزء الأخير من المسرحية عن الصفحات التي كان يقرأها للتو، تظهر علامات الإجهاد العقلي المفرط، هنا وهناك، مع اقتراب نص المسرحية من نهايته، أصبح خط اليد أسوأ وأسوأ، تركت بعض الجمل الطويلة غير مكتملة، في تبادل الحوار، لم تُنسب الأسئلة والأجوبة دائماً على التوالي إلى المتحدث الصحيح، وفي أجزاء معينة، بدا أن أفكار الكاتبة المختلة قد استردت نفسها لبعض الوقت لتعود للانتكاس مرة أخرى، وفقدان خيط السرد بشكلٍ ميؤوس منه أكثر من ذي قبل.

بعد قراءة قطعةٍ أو قطعتين من الأجزاء الأكثر تماسكاً، انتفض (هنري) من رعب القصة الذي يزداد قتامة، أغلق المسرحية، وألقى بنفسه على سريره ليسترخ، لقد أنهكه ما مر به عندما فتح الباب تقريباً في اللحظة نفسها، ودخل اللورد (مونتباري) الغرفة قائلاً:

• لقد عدنا للتو من دار الأوبرا، وسمعنا نبأ موت تلك المرأة البائسة، يقولون أنك تحدثت معها في لحظاتها الأخيرة؛ وأريد أن أسمع كيف جرى الحديث.

أجاب (هنري):

• ستسمع ما حدث، وأكثر من ذلك، أنت الآن رب الأسرة يا (ستيفن) وأشعر بالالتزام، في الموقف الذي يسيطر علي لأتركك تقرر ما يجب القيام به.

بهذه الكلمات التمهيدية، أخبر شقيقه كيف وصلت مسرحية الكونتيسة بين يديه، فقال: "اقرأ الصفحات القليلة الأولى، لدي رغبة في معرفة ما إذا كان سيتولد الانطباع نفسه عند كلِّ منا." قبل أن يصل اللورد (مونتباري) إلى منتصف الفصل الأول، توقف ونظر إلى أخيه قائلاً:

• ما الذي تقصده بالتبجح بأن هذا من بناء أفكارها؟ هل كانت مجنونة لتنسى أن هذه الأشياء حدثت حقاً؟! كان هذا كافيًا بالنسبة لـ (هنري).. فلديهما الانطباع نفسه.. قال:

• ستفعل ما يحلو لك، ولكن إذا كنت ستأخذ نصيحتي، فتجنب قراءة تلك الصفحات القادمة، التي تصف كفارة أخي المروعة عن زواجه المحفف.

• هل قرأتها كلها يا (هنري)؟

• لا.. لقد امتنعت عن قراءة بعض الجزء الأخير منه، فنحن لم نرَ أخاننا الأكبر كثيرًا بعد أن تركنا المدرسة؛ ومن ناحيتي، شعرت ولم

أتردد أبدأ في التعبير عن شعوري، أنه تصرف بشكل سيئ مع (أغنييس) لكن بعدما قرأت ذلك الاعتراف اللاواعي بالمؤامرة القاتلة التي وقع ضحيتها، تذكرت بشيء من الندم أن الأم نفسها قد حملتنا، لقد شعرت به هذه الليلة، أشعر بالخجل لأنني لم أشعر به من قبل.

جذب اللورد (مونتباري) يد أخيه قائلاً:

• أنت رجل جيد يا (هنري).. لكن هل أنت متأكد أنك لم تزعج نفسك دون داعٍ؟ لأن بعض ما كتبه هذه المجنونة، يروي بالصدفة ما نعرفه باعتباره الحقيقة، فهل يمكن الاعتماد على أن الباقي أيضاً حقيقي وحتى النهاية؟

أجاب (هنري):

• ليس هناك شك في ذلك.

كرر شقيقه قائلاً:

• لا شك! سأستمر في قراءتي يا (هنري) وأرى التبرير الذي قد يكون هناك لهذا الاستنتاج الواثق الذي توصلت إليه.

استمر في القراءة بثباتٍ حتى وصل إلى نهاية الفصل الثاني ثم نظر، وتساءل:

• هل تعتقد حقاً أن البقايا المشوهة التي اكتشفتها هذا الصباح هي بقايا أختينا؟ وهل اعتقادك هذا مبني على هذا الدليل؟  
أجاب (هنري) بإيماءة موافقة.

حاول اللورد (مونتباري) ضبط نفسه، من الواضح أنه كان على وشك الدخول في احتجاجٍ ساخط.. فقال:

• أنت تقر بأنك لم تقرّ المشاهد اللاحقة من المسرحية، لا تكن صبيانيًا يا (هنري)! إذا أصرت على تثبيت إيمانك بمثل هذه الأشياء، فأقل ما يمكنك فعله هو أن تكون على دراية كاملة بما كتب، هل ستقرأ الفصل الثالث؟ لا؟ إذًا سأقرأه لك.

التفت إلى الفصل الثالث، وراجع تلك المقاطع المجزأة التي كانت مكتوبة بشكلٍ كافٍ لتكون غير مفهومة لعقل شخصٍ غريب.

بدأ "هنا مشهد في أقبية القصر" ضحية المؤامرة ينام على فراشه البائس، و(البارون) والكونتيسة يفكران في الموقف الذي أصبحا عالقين فيه، قامت الكونتيسة - كما يمكنني أن أرى - بجمع الأموال المطلوبة عن طريق الاقتراض بضمان جواهرها في فرانكفورت؛ ولا يزال الطبيب يعلن عن وجود فرصة لشفاء الساعي، فماذا يفعل المتآمرون إذا تعافى الرجل؟ يقترح (البارون) الحذر إطلاق سراح السجين، فإذا غامر بالاستغاثة بالقانون، سيكون من السهل الادعاء بأنه ضحية جنون الوهم، واستدعاء زوجته كشاهد، من ناحيةٍ أخرى، إذا مات الساعي، فكيف يتم إبعاد النبيل المحتجز المجهول عن الطريق؟ احتجازه وتركه يتضور جوعًا في سجنه؟ لا.. البارون رجلٌ ذو ذوقٍ راقٍ، يكره القسوة التي لا داعي لها، هل السياسة النشطة التي لا تزال قائمة - على سبيل المثال - هي اغتيالٌ بسكينٍ قاتلٍ مستأجر؟ لا، يعترض (البارون) على الوثوق بشريك، وكذلك على إنفاق الأموال على أي شخصٍ غير نفسه، هل يلقون أسيرهم في القناة؟ يرفض (البارون) الثقة بالمياه أيضًا، سيطفو جسده على سطح

الماء، هل يحرقون فراشه؟ فكرة ممتازة، لكن سينبعث الدخان، إن تسميمه سيكون أسهل طريقة لإتمام الأمر، لقد أصبح ببساطة شخصًا لا جدوى منه، ستقوم أرخص السموم بالمهمة، أعتقد يا (هنري) أن هذا ما قد تم بالفعل؟

لم يرد (هنري).. إن تتابع الأسئلة التي قُرئت عليه للتو، يتبع تمامًا سلسلة الأحلام التي أرعبت السيدة (نوربري) في الليلتين اللتين مرت بهما في الفندق، كان من غير المجدي أن يشير إلى هذه المصادفة لأخيه، قال فقط: "استمر."

قلب اللورد (مونتباري) الصفحات حتى وصل إلى المقطع التالي الواضح، وتابع: "هنا..."

إنه مشهد مزدوج على المسرح، بقدر ما أستطيع أن أفهم الوصف، الطبيب في الطابق العلوي، يكتب ببراءة شهادته عن وفاة سيدي، بجانب سرير الساعي الميت، أما في الأسفل في الأقبية، يقف (البارون) بجانب جثة السيد المسموم محضراً الأحماض الكيميائية القوية التي ستخترها إلى كومة من الرماد، بالتأكيد لا يستحق الأمر أن نتعب أنفسنا في فك رموز مثل هذه الأهوال الميلودرامية! دعونا نبدأ! دعونا نبدأ!

قلب الأوراق مرة أخرى، يحاول عبثًا اكتشاف معنى المشاهد المشوشة التي تلت ذلك، لم يجد سوى واحدة في الصفحة الأخيرة، آخر الجمل المعقولة.. فقال: يبدو أن الفصل الثالث مقسم إلى جزأين أو جدول، أعتقد أنه يمكنني قراءة الكتابة في بداية الجزء الثاني.. يفتح (البارون) والكونتيسة المشهد، يدا (البارون) تحتبئان في

ظروفٍ غامضة بالقفازين، لقد حول الجسد إلى رمادٍ من خلال نظام حرق الجثث الخاص به باستثناء الرأس..

هناك قاطع (هنري) شقيقه، وصاح قائلاً:

• لا تقرأ أكثر!

أصر اللورد (مونتباري) قائلاً:

• دعنا نصف الكونتيسة، ليس هناك نصف دزينة من السطور التي يمكنني تفسيرها! تسبب حدث كسر وعاء الحمض في يدي (البارون) بجروقٍ شديدة، لا يزال غير قادر على المضي قدمًا في تدمير الرأس، والكونتيسة هي امرأة (بكل شرها) بما يكفي لتجنب محاولة أخذ مكانه، عند تلقي أول خبر عن وصول لجنة التحقيق المرسلة من قبل مكاتب التأمين.. (البارون) لا يشعر بأي قلق، يستفسر كما قد تفعل اللجنة، فإن الوفاة الطبيعية للساعي - في شخصية سيدي - هي ما يحققون به بشكلٍ أعمى، لم يتم تدمير الرأس.. لذا البديل الواضح هو إخفاؤه، و(البارون) هو سيد الموقف، علمته دراسته في المكتبة القديمة بوجود مكانٍ آمن للاختباء في القصر، قد تمتنع الكونتيسة عن التعامل مع الأحماض ومراقبة عملية حرق الجثة، لكنها تستطيع بالتأكيد رش القليل من المسحوق المطهر.

كرر (هنري):

• لا أكثر! لا أكثر!

• لم يعد هناك ما يمكن قراءته يا صديقي العزيز، تبدو الصفحة الأخيرة كأنها محض هذيان، ربما أخبرتك أن خيالها قد خذلها!

• واجه الحقيقة بصدقٍ يا (ستيفن) وقل ذكراها.

نُحِض اللورد (مونباري) من المنضدة التي كان يجلس عليها، ونظر إلى أخيه بشفقةٍ قائلاً:

• أعصابك قد تلفت يا (هنري) ولا عجب بعد هذا الاكتشاف المخيف تحت حجر الموقد، لن نجادل في ذلك، سننتظر يوماً أو يومين حتى تعود إلى طبيعتك مرة أخرى، في غضون ذلك، دعنا نفهم بعضنا البعض على الأقل في نقطةٍ واحدة، هل تترك السؤال عما يجب فعله بهذه الصفحات من الكتابة إلي، بصفتي رب الأسرة؟

• أفعّل.

حمل اللورد (مونباري) المسرحية بهدوءٍ، وألقى بها في النار ثم قال ممسكاً الصفحات لأسفل مع عصا النار:

• دع هذه القمامة نستغلها لعمل شيءٍ ما.

• الغرفة تزداد سخونة، مسرحية الكونتيسة ستجعل بعض هذه الأخشاب المتفحمة تشتعل مرة أخرى.

انتظر قليلاً عند المدفأة ثم عاد إلى أخيه قائلاً:

• الآن يا (هنري) لدي كلمة أخيرة لأقولها ثم سأنتهي، أنا على استعداد للاعتراف بأنك تعثرت بصدفةٍ سيئة، في إثبات جريمة ارتكبت في الأيام الخوالي للقصر، لا أحد يعرف منذ متى! بهذا

الإقرار الوحيد الذي أعارض كل شيءٍ غيره، سأوافق على الرأي الذي كونه، ولن أصدق أي شيءٍ حدث، التأثيرات الخارقة للطبيعة التي شعر بها البعض منا عندما نمنا لأول مرة في هذا الفندق، فقدان شهيتك، أحلام أختنا المروعة، الرائحة التي هاجمت (فرانسيس) والرأس الذي ظهر لـ (أغنيس).. أعلن أنهم جميعًا مجرد أوهام! لا أو من بأي شيء، لا شيء، لا شيء!

فتح الباب ليخرج ونظر إلى الغرفة مرة أخرى، استأنف قائلاً:

• نعم، هناك شيءٌ واحدٌ أو من به، لقد تملكك زوجتي الثقة، أعتقد أنك ستتزوج بـ (أغنيس).. ليلة سعيدة يا (هنري).. أول شيءٍ نفعله صباح الغد، أن نغادر البندقية.

هكذا تخلص اللورد (مونباري) من لغز الفندق المسكون.



## ملحق

بقيت الفرصة الأخيرة لتقرير الخلاف في الرأي بين الأخوين بحوزة (هنري).. كانت لديه فكرة عن كيفية استخدام الأسنان الاصطناعية كوسيلة في التحقيق عندما عاد هو وزملاؤه المسافرون إلى إنجلترا.

كان الوديع الوحيد الباقي للعائلة من السنوات الماضية؛ ممرضة (أغنيس لوكوود) العجوز، انتهز (هنري) فرصته الأولى لمحاولة إحياء ذكرياتها الشخصية للورد (مونتباري) المتوفى، لكن الممرضة لم تغفر أبداً لرجل العائلة العظيم لتركه (أغنيس) ورفضت رفضاً قاطعاً العودة بذكرياتها، قالت المرأة العجوز: "حتى مشهد سيدي، عندما رأيته آخر مرة في لندن، جعل أظافر أصابعي تتوسل لتضع بصماتها على وجهه، أرسلتني الأنسة (أغنيس) في مهمة، والتقيته بينما يخرج من باب طبيب أسنانه، والحمد لله هذه آخر مرة رأيته فيها!"

بفضل انفعال الممرضة السريع، وطريقتها الغريبة في التعبير عن نفسها، حصل (هنري) على إجابة لاستفساراته بالفعل! غامر بالسؤال عما إذا كانت قد انتهت إلى مكان المنزل، لقد لاحظت

المكان ولا تزال تتذكره، هل يفترض السيد (هنري) أنها فقدت القدرة على استخدام حواسها لأنها اقتربت من سن الثمانين؟ في اليوم نفسه، أخذ الأسنان الاصطناعية إلى طبيب الأسنان، ووضع المزيد من الشك - إذا كان الشك لا يزال ممكناً - في موضع الراحة الأبدية، تم صنع الأسنان للورد (مونباري) الأول.

لم يكشف (هنري) أبداً عن وجود هذا الرابط الأخير في سلسلة الاكتشاف لأي كائن حي، بما في ذلك شقيقه (ستيفن).. حمل سره الرهيب معه إلى القبر.

كان هناك حدث آخر في الماضي الذي لا يُنسى، حافظ فيه على الصمت الرحيم نفسه، لم تكن السيدة (فيراري) الصغيرة تعلم أن زوجها كان - ليس كما افترضت - ضحية الكونتيسة، ولكن شريك الكونتيسة، كانت تعتقد أن الراحل (اللورد مونباري) قد أرسل لها ورقة الألف جنيهه، وما زالت تنأى بنفسها عن استخدام هدية استمرت في التصريح بأن "دم زوجها عليها" وبموافقة الأرملة الكاملة، أخذت (أغنيس) الأموال إلى مستشفى الأطفال؛ وأنفقتها في زيادة عدد الأسرة.

وفي ربيع العام الجديد، تم الزواج، كان أفراد العائلة هم الأشخاص الوحيدون الذين حضروا الحفل بناءً على طلب خاص من (أغنيس).. لم يكن هناك إفطار زفاف، وقضيا شهر العسل في كوخ تقاعد على ضفاف نهر التايمز.

خلال الأيام القليلة الماضية من إقامة العروسين الجديدين على ضفاف النهر، تمت دعوة أطفال السيدة (مونباري) للاستمتاع بلعب

يوم في الحديقة، وسمعت الفتاة الكبرى - وأبلغت والدتها - حوارًا زوجيًا صغيرًا، تطرق إلى موضوع الفندق المسكون.

- (هنري) .. أرغب في قبلة.
- ها هي ذا يا عزيزتي.
- هل لي أن أتحدث معك عن شيءٍ ما؟
- ما هو؟
- شيءٌ ما حدث في اليوم السابق لمغادرة البندقية، لقد رأيت الكونتيسة خلال الساعات الأخيرة من حياتها، ألن تخبرني ما إذا كانت قد اعترفت لك؟
- لا يوجد اعتراف واعي يا (أغنيس) وبالتالي لا يوجد اعتراف أضايقك بتكراره.
- ألم تقل شيئًا عما رأيته أو سمعته، في تلك الليلة الرهيبة في غرفتي؟
- لا شيء، نحن نعلم فقط أن عقلها ما زال يعاني من الرعب منها.

لم تكن (أغنيس) راضية تمامًا، أزعجها الموضوع حتى أن جماعها القصير مع منافستها البائسة في الأيام الأخرى، طرح أسئلة حيرتها، تذكرت تنبؤات الكونتيسة..

"ستأخذيني إلى يوم الحساب، وإلى العقوبة التي ستكون مصيري."

هل تلاشى التنبؤ ببساطة، مثل النبوءات الميتة الأخرى أم أنها تحققت في الليلة الرهيبة عندما شاهدت ما ظهر، وعندما أغرت الكونتيسة ببراءة مراقبتها في غرفتها؟

ومع ذلك، يجب أن يُسجل، من بين مزايا السيدة (هنري ويستويك) أنها لم تحاول مرةً أخرى إقناع زوجها بخيانة أسرارها، عند سماع زوجات الرجال الآخرين لهذا السلوك الاستثنائي (وحقيقة تعلمها في المدرسة الحديثة للأخلاق والآداب) كان من الطبيعي أن ينظرن إليها بازدراءٍ رحيم، وأصبحن يتحدثن عن (أغنيس) منذ ذلك الوقت..

"شخص قديم الطراز."

هل هذا كل شيء؟

هذا كل شيء.

ألا يوجد تفسيرٌ لسر الفندق المسكون؟

اسأل نفسك عما إذا كان هناك أي تفسيرٍ لسر حياتك

وموتك!

الوداع.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## ويلكي كولينز الفندق المسكون

"مجموعة من الألغاز الصغيرة المترابطة بطريقة مريبة، لن يشعر بها إلا من يقضي ليلة في الغرفة 14 بارقي فنادق البندقية.. اكتشف الحقيقة إذا كنت تجرؤ."  
أكاتشيا جريمسايز

"إن (الفندق المسكون) رواية رعب كلاسيكية، تستحوذ على الحواس لكنها أكثر من مجرد قصة أشباح! فيسيطر الرعب، والجريمة، القدر والجنون على الأحداث، تمامًا كما يسيطر اللغز على الفندق."  
جريدة النيويورك تايمز

"لقد قَدَم (ويلكي كولينز) مزيجًا ذكيًا من الجريمة والرعب اللذين يغلفان لغزًا، يتم الكشف عنه عبر أحداثٍ أليمة نوعًا ما ومخيفة، وتجري هذه الأحداث في فندق القصر بمدينة البندقية ذات الممرات المائبة القاتمة، وظلال الموت الداكنة!"

والتر وايلدينغ

  
دار الحلال  
للطباعة والنشر  
العراق / بغداد - شارع المتنبي  
email: dar.alhallaj@yahoo.com

  
مكتبة  
خوارزمي

  
نيلا ووفرات.كوم  
تتوفر جميع إصداراتنا  
على موقع نيل ووفرات للتوصيل حول العالم

ISBN:978-9922-9485-5-3

  
9 789922 948553

Design by: younis.zeidan@gmail.com